الجامعة الاردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري

اعداد
جهاد شاهر المجالي

اشراف
الأستاذ الدكتور محمود السمرة
أستاذ النقد الأدبي والبلاغة
نائب رئيس الجامعة الأردنية

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الاردنية .

١٩٨٥م — ١٤٠٥ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــــداء

ـ الى والـــــدي ..... ثمـرة من ثمـار غرسهمـــــا .

ـ الى الانسانـة التي ستشاركني حياتي بحلوها ومرّهـا .

أهـــدي هـذه الرسالـــة .

جهـــاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــكر وتقديـــــر

أســتاذي الكريم الدكتور محمـود الســـمرة . . .

أعذرني أستاذي العزيز ،فانّ قلمي عاجز الآن كما هي حال لسانـــي في كل آن عن أن يفيك حقّك من الشكر والتقدير ، واني أخشى ان نطق لسانـي أو كتب قلمي أن أسلبك بعض فضلك عليّ . ولكنني أجد نفسي ملزما بقول كلمـــة حق منزهة عن كل هوى أو غايـة ، وهي أنك غرست فينا مزايا رفيعة نعتـــزّ بها دوما وستكون هي شهادتنا التي نفخر بها ونتسامى . ولن أنسى ما منحتـــني من وقتك على كثرة مشاغلك ومسؤولياتك ،وما أسبغته عليّ من حنانك ودفء لسانك فاليـك كل محبتي واخلاصي ،داعيا المولى القدير أن يحفظك للعلم وطلابـــــه وأن يسبغ عليك الصحـة والعافيـة .

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للأخ الدكتور محمد شاهـين على ما قدّمه لي من جهد ،وما غمرني به من كرم أخلاقـه ورحابة صـــدره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

صفحة

الفهرس م
المقدمة . ١ — ٤
الفصل الاول : البدايات الاولى للطبقات. ٦—٤٣
— مفهوم الطبقة اللغوى . ٦ — ٨
— مفهوم الطبقة الاجتماعي . ٩ — ١٤
— مفهوم الطبقة الديني . ١٥—٢٧
— بذور فكرة الطبقات عند اللغويين . ٢٨—٣٤
— أولية فكرة الطبقات عند النقاد . ٣٥—٤٣

الفصل الثاني : الطبقات بين النظرية والتطبيق . ٤٥—٨٢
— كتب الطبقات . ٤٥—٥١
— مفهوم الطبقات عند نقّاد الأدب . ٥٢—٥٣
— مناهج أصحاب الطبقات . ٥٤—٧٢
— الطبقات بين التأثر والتأثير . ٧٣—٧٦
— القيمة النقدية لكتب الطبقات . ٧٧—٨٢

الفصل الثالث: مقاييس تصنيف الشعراء في طبقات . ٨٤ — ١٢٠
— تمهيد . ٨٤—٨٦
— الزمان (القدم والحداثة) . ٨٧—٩٤
— المكان (البيئة) . ٩٥—١٠٠
— الكم والجودة . ١٠١—١٠٤
— القدرة على التصرف في أغراض الشعر. ١٠٥
— الموضوع الشعرى : ١٠٦—١١٦
أ. الرثاء . ١٠٧
ب. المديح . ١٠٨—١٠٩
ج. الهجاء . ١١٠—١١١
د. الوصف . ١١٢—١١٣
هـ. النسيب . ١١٤
و. المجون . ١١٥—١١٦
— الدين . ١١٧—١١٨
— الفن الشعرى (الرجز) . ١١٩—١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفحـــــــة

الفصل الرابـــع : قضايا نقدية في كتب الطبقـات . ١٢٢—١٦٠

— تمهيـــــد . ١٢٢—١٢٣

— أستقلالية النقد واستقلالية الناقـد . ١٢٤—١٣٠

— الوضع في الشـــعر . ١٣١—١٣٧

— السرقات الشعريـــة . ١٣٨—١٤٢

— طبقات الشعر والوجوه التي يختار عليها . ١٤٣—١٤٦

— نشأة الشعر العربي وتحوله بين القبائل . ١٤٧—١٤٩

— بناء القصيدة العربيـــة . ١٥٠—١٥٢

— الشعر بين الطبع والصنعـــة . ١٥٣—١٥٥

— بواعث الشعر وأوقاتـــــه . ١٥٦—١٥٧

— النقـد اللغوي والفني في كتب الطبقـات . ١٥٨—١٦٠

خاتمـــــة . ١٦٢—١٦٣

المصادر والمراجـع . ١٦٥—١٧٤

خلاصة باللغة الانجليزيـــــة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمـــــــة

ترجع صلتي بهذا البحث الى أيام كنت أدرس على أستاذي الدكتور محمود السمرة مادة النقد الأدبي كمادة تحضيرية في برنامج الماجستير، ولمّا كان عليّ أن أقوم ببحث في موضوع من موضوعات النقد في هذه المادة، فقد تلطّف أستاذي بأن خيّرني بين عدة موضوعات كان من بينها موضوع " الطبقات"، فاخترته بعد أن راقت لي فكرته. وبدأت أبحث في هذه الظاهرة النقدية وأجمع مادتها، فأحسست حينئذ أن فكرة الطبقات في الشعر فكرة فريدة في تاريخ النقد العربي من حيث بواعثها وآثارها، اضافة الى أنها أفرزت قضايا نقدية قيمة شغلت النقاد طويلا فيما بعد، فكان فضل من ألفوا في الطبقات أنهم أول من نبّه اليها وأبدى فيها رأيا. وقد شدّني هذا البحث أكثر، حين شعرت بأنه سيفتح لي نافذة واسعة على حركة النقد العربي منذ بداياتها الاولى، وحتى نهاية القرن الثالث الهجري. وبعد أن انتهيت منه تقدّمت به الى أستاذي الذي تفضّل بأن خصّص احدى محاضراته لمناقشته، وقد أبدى لي ارتياحه منه ورضاه عنه. وحينها بدأت بعد ذلك بالبحث عن موضوع أشتغل عليه في اطروحتي للماجستير، عانيت ما يعانيه كل باحث في سبيل العثور على موضوع مناسب، وحينها تشعّبت بي السبل، وتعدّدت الاختيارات أمامي، فكنت أختار في كل يوم موضوعا وقبل أن يزول نهار ذلك اليوم أكون قد تحوّلت عنه لأسباب كثيرة يعرفها كل باحث، وعندها ضقت بالأمر فنقلت همّي الى أستاذي الذي يجد في همّ كل واحد منّا همّا له، فاقترح عليّ أن أمضي قدما في بحثي في موضوع " الطبقات " وأن أتوسع فيه، وأدرس جذوره ومفاهيمه وامتداداته عند النقّاد العرب، فاقتنعت بعرض أستاذي، وزاد في همّتي واقبالي على هذا الموضوع أنه لم يحظ بأي دراسة على مستوى أكاديمي، ولم يكتب فيه أي بحث جاد يعالج هذه الظاهرة النقدية كظاهرة مستقلة عند كل من ألف في الطبقات. وكل ما نجده عبارة عن دراسات وبحوث تناولت من ألفوا في طبقات الشعراء وكتبهم بشكل مستقل، من مثل الدراسة التي قام بها الدكتور منير سلطان بعنوان " ابن سلام وطبقات الشعراء "، ودراسة الدكتور عبد الحميد الجندي " ابن قتيبة العالم الناقد الأديب "، ودراسة الدكتور اسحق الحسيني " ابن قتيبة " ودراسة محمد عبد المنعم خفاجي " ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ".

ان هذه الدراسات وغيرها كانت دراسات مستقلة يأتي الحديث فيها عن موضوع الطبقات حديثا موجزا وعابرا. ومن هنا فانني من خلال بحثي واستقصائي لم أجد من أولى موضوع الطبقات عنايته، فدرس جذور هذه الفكرة ودوافعها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشكالها وامتداداتها ، فكان هذا حافزا قويا لي حثّني على دراسة هذا الموضوع من خلال ما وصلنا من مؤلفات في طبقات الشعراء . وقد كان من المقرر لهذا البحث أن يشمل فترة أطول من الفترة التي حددت بها نهاية هذا البحث ، الّا أنني اقتصرته على الفترة التي تنتهي بالقرن الثالث ، ذلك أن فكرة الطبقات بمفهومها الذى توصلنا اليه من حيث اختيار الشعراء وتصنيفهم لم تعش أبعد من نهاية هذا القرن . فنحن لا نجد لها صدى بعد ذلك ، وما نجد من مؤلفات في الشعراء بعد هذه الفترة انما جرى فيها مؤلفوها وراء التقليد ، وهي لم تتعدّ أن تكون كتب معاجم أو تراجم ، رتّب مؤلفوها تراجمهم حسب الحجم ، أو حسب مقاييس خاصة لا تمتّ للنقد بصلة . ثمّ ان هذا التقليد انسحب بعد ذلك على المؤلفات الأخرى في غير موضوعات الشعر والشعراء ، فنجد مؤلفات في طبقات النحاة ، واللغويين ، وفي موضوعات أخرى بعيدة عن ميدان الأدب .

أما عن منهجي في هذا البحث فقد جعلته في أربعة فصول ، درست في الفصل الأوّل منه المفهوم اللغوى والاجتماعي والديني لفكرة الطبقات . وقد وجدت أن هذه الفكرة أقدم في المجال الاجتماعي منها في أى مجال آخر ، ذلك أن فكرة الانشطار في طبقات داخل المجتمع هي التي أوحت للانسان أن ينظر الى كل ما حوله نظرة تصنيفية يقيس من خلالها الأشياء ويزن الامور . ثم وجدت أن علماء الحديث قد تنبّهوا للفكرة قبل نقاد الأدب ، وكانت الدوافع التي حدت بالعلماء الى تصنيف رجال الحديث في طبقات تتمثل في ضياع كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي كانت في الصدور ، مما أدى الى وضع الأحاديث ، فاندفع العلماء يصنفون الرجال في طبقات حسب صدقهم ودرجة ثقة العلماء بهم . وبعد أن تعرض الشعر الى مثل الظروف التي تعرض لها الحديث من انتحال ووضع ، وجد ناقد كابن سلام الفرصة مناسبة لاقتباس هذه الفكرة وتطبيقها على الشعراء . غير أنه لم يكتف بنقلها ، وانما ألبسها ثوبا جديدا لم يتسع للشعراء ثم عزف النقاد فيما بعد عن الفكرة بشكلها الذى تجده عند ابن سلام . وبعد ذلك بحث في الارهاصات والظاهر الاولى لفكرة الطبقات عند النقاد والتي مهّدت الطريق لابن سلام كي يدخل هذه الفكرة الى ميدان الأدب .

وفي الفصل الثاني قمت بحصر كتب الطبقات التي حملت هذا العنوان من خلال مصادر الأدب والتاريخ ، خاصة عند ابن النديم في كتابه " الفهرست " فوجدتها تزيد على عشر كتب لم يصلنا منها سوى ثلاثة كتب هي : " طبقات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعراء " لمحمد بن سلام ،و " طبقات الشعراء " لابن قتيبة ، و " طبقات الشعراء " لابن المعتز. كما وصلتنا بعض الكتب في الطبقات ، ولكن من غير أن تحمل هذا العنوان ،اذ أنه ليس شرطا كي يكون الكتاب في الطبقات أن يحمل هذا العنوان . ومن هذه الكتب ،كتاب أبي زيد القرشي " جمهرة أشعار العرب" وهو قد صنّف القصائد العربية في سبع طبقات موازية لطبقات الشعراء المعروفين آنذاك. وبعد ذلك تبينت مناهج مؤلفي الطبقات في انزال الشعراء منازلهم ، ومدى التأثر والتأثير بين هؤلاء النقاد ، سواء من حيث الاتفاق أم الاختلاف فيما بينهم . ثم اختتمت هذا الفصل باظهار القيمة النقدية التي أدتها كتب الطبقات للنقد العربي .

وفي الفصل الثالث درست المقاييس النقدية التي صنّف النقّاد وفقها الشعراء في طبقات. وكان من أبرز هذه المقاييس: مقياس" الزمان " ومقياس " البيئة " ،ومقياس" الجودة والكم " ،ومقياس" القدرة على التصرف في موضوعات الشعر المختلفة " ،ومقياس" الموضوع الشعرى " ، الذى يعني تفوق بعض الشعراء في موضوعات محددة اختصّوا بها .

أما الفصل الرابع فقد درست فيه أبرز القضايا النقدية التي وجد مؤلفو الطبقات لزاما عليهم أن يخوضوا في هذه القضايا قبل أن يشرعوا في عملية اختيار الشعراء وتصنيفهم ،فابن سلام على سبيل المثال لم يُقْدِمْ على تصنيف الشعراء قبل أن يدرس الوضع والانتحال في الشعر ،وبعد أن تأكد من نسبة ما بين يديه من شعر لأصحابه ،ونبّه الى هؤلاء الوضاعين صنف طبقاته . ومن هذه القضايا : استقلالية النقد واستقلالية الناقد ،والانتحال والوضع في الشعر ، والسرقات الشعرية ،ونشأة الشعر العربي ،والطبع والصنعة ،وبواعث الشعر، وتنقل الشعر بين القبائل .

أما مصادر هذا البحث فهي ثلاثة مصادر أساسية ،هي : " طبقات الشعراء " لمحمد بن سلام ،و " طبقات الشعراء " لابن قتيبة ،و " طبقات الشعراء " لابن المعتز . اضافة الى بعض المصادر الأخرى ككتاب" فحولة الشعراء " للأصمعي ،وكتاب" جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي . وكتاب" الورقة " لابن الجراح ،وكتابا الجاحظ : " البيان والتبيين " و"الحيوان". وكذلك كتب الحماسات والاختيارات الشعرية كالمفضليات والأصمعيات وغيرها .

وكنا نتمنى لو أن كتبا أخرى من كتب الطبقات التي ذكرتها المصادر قد وصلتنا ،فلربما كنّا حينها نستطيع الوصول الى تصور أكثر دقة ووضوحا لمفهوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبقات ، غير أنه من المؤسف أن معظم هذه الكتب قد ضاعت ولم يصلنا الا أقلّها ، وان كان هناك أي قصور في تصوري لمفهوم الطبقات فمردّه الاول الى قلة ما وصلنا من كتب الطبقات .

وبعد ، فهذا بحث لا أدّعي فيه الكمال ، فالكمال لله وحده ، راجيا منه سبحانه وتعالى أن أكون قد وفّقت الى ما ندبت نفسي لتحقيقه ، فان حالفني التوفيق ، فهذا بفضل الله وعونه ، وان تعثّرت في بعض المواطن فحسبي أنني لم أقصد الى خطأ أو تحريف ، وانني طالب ينشد الحقيقة ، أخطيء وأصيب ، وعذري أنني لم أدّخر جهدا ولا وقتا في سبيل ما نصبت نفسي له ، ولم يجتذبني غير طلب الحقيقة المنزهة عن كل ميل أو هوى .

ويطيب لي قبل أن أضع القلم ، أن أتوجه بالشكر والامتنان لكل من مدّ لي يد العون في هذا البحث وساهم في اخراجه الى حيّز النور ، جزاهم الله عنّي أحسن الجزاء ، والله نسأل أن يبلغنا الغاية ويجنّبنا الضلال .

جهاد العجالي

عمّان في ١٠ / ٤ / ١٩٨٥ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى".

الفصـــل الأول : " البدايات الاولـى للطبقـــــات " .

١ . مفهوم الطبقة اللغـــوى .
٢ . مفهوم الطبقة الاجتماعـي .
٣ . مفهوم الطبقة الديـــــني.
٤ . بذور فكرة الطبقات عند اللغويـين .
٥ . أوليـة الطبقات عنـد النقّـــاد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهوم الطبقة اللغوي :

لا بدّ لنا في بداية الأمر من التوقف قليلا عند لفظة " طبقة " لبيان مدلولها اللغوي وتطور هذا المدلول ، لما لذلك من ضرورة في فهم المعاني التي ستؤديها هذه الكلمة في الميادين المختلفة التي استخدمت فيها .

ان كلمة " طبقة " متعددة المعاني والدلالات . وإذا نظرنا في معاجم اللغة العربية عثرنا على معان متعددة لهذه الكلمة ، تنصب في معظمها على معنى المساواة والموافقة ، فقد جاء في اللسان : " وطبق كل شيء : ما ساواه ، وتطابق الشيئان : تساويا . والمطابقة : الموافقة " . (١)

ان هذه المساواة متحققة داخل الطبقة الواحدة للعناصر التي تتألف منها ، لأن هذه العناصر أو الأشياء الداخلة في الطبقة تشترك في ميزات تجعلها في وضع متشابه ، وبهذا تنغلق مثل هذه الطبقة على ما في داخلها ، فلا تعود تسمح بالدخول ولا بالخروج ، الا ضمن اطار محدّد يحافظ على هذا النسق الواحد المتشابه ، الذي لا يخل بتركيبه الطبقة ومن هنا أطلق على مثل هذه الطبقات " الطبقات المغلقة " .

ان وجود طبقة يوحي بضرورة وجود طبقات أخرى متفاوتة معها رأسيا أو أفقيا . أما التفاوت الرأسي " السلمي " فهو تفاوت تفاضلي تتوالى درجاته من أعلى الى أسفل أو العكس ، تماما كما هو حاصل بين طبقات الجو العليا أو طبقات الارض . يقول الزجاج : " معنى طباقا مطبق بعضها على بعض "(٢) . وكل شيء غطى شيئا آخر سموه بالطبق ، لأنه حين غطاه طابقه وساواه . فكأنه أصبح غطاء أو غشاء له . والماء اذا عمّ الارض فهو طبق لها أو غشاء ، يقول امرؤ القيس :

دِيَمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَقُ الأرْضِ تحرّى وتَدُرّ (٣)

والتفاوت الرأسي الذي تحدثنا عنه غالبا ما يكون في موضوع واحد ، استطاعت كل طبقة فيه الوصول الى مستوى معيّن منه . فالسموات على سبيل المثال تتفاوت في موضوع الارتفاع ، وطبقات الارض تتفاوت في بعد غورها . . .

---

(١) أنظر : لسان العرب ، مادة طبق .
(٢) أنظر : المصدر نفسه ، مادة طبق .
(٣) امرؤ القيس : الديوان ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ؟ ، ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند الزمخشري : " والناس طبقات : منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض" (١) . وهنا تتضح الفكرة السالفة ، فالناس في المركز أو القيمة الاجتماعية ليسوا في درجة واحدة ، وانما هم متفاوتون في طبقات ، أفضلها في أعلى السلم ، ثم تتابع في درجات السلم حسب الافضلية . والموضوع هنا واحد ، وهو الاعتبار الاجتماعي الذي صنف الناس في هذه المنازل .

ان وحدة الموضوع ضرورية حين نطابق بين الاشياء طباقا رأسيا ، فالسموات السبع متفاوتة في درجة علوها ، فمنها ما وصل الى قمة الهرم كما هو الحال في السماء الاولى ، ثم تلتها السموات الاخرى التي لم تستطع مداناتها فاتخذت لها مواقع أدنى بالترتيب ، فنحن لا نستطيع أن نطابق الا بين سماء وسماء أو بين أرض وأرض .

أما في حالة التفاوت الافقي بين الطبقات فيعني وجود عدد من الطبقات تساوت أفقيا في الوصول الى درجة أو منزلة واحدة ولكنها تفاوتت في الموضوع فكل طبقة استطاعت الوصول في موضوعها الى درجة واحدة في السلم ، فالتقت جميعها عند الدرجة نفسها ، ولكنها تباينت في الموضوع ، ومن هنا نرى أنه لا ضرورة أبدا للتفاضل رأسيا بين هذه الطبقات لأنها جميعها وصلت الى المرتبة ذاتها في موضوعاتها ، وان كل طبقة من هذه الطبقات هي رأس في موضوعها ، فالتطابق هنا هو من حيث الوصول الى هذه الدرجة الرفيعة من التميز .

ومن المعاني التي تدل عليها كلمة " طبقة " معنى الحال ، فلقد أطلقوا على أحوال الناس كلمة " طبقات" وبالتالي أصبحت كل حال مفردة " طبقة" . فقالوا : " فلان من الدنيا على طبقات شتى " أي أنه ذو أحوال ومذاهب مختلفة . وفي الامثال العربية : " كما وافق شن طبقة " (٢) وهو يضرب في كل اثنين اتصفا بحال واحدة .

ونحن نخلص من كل ما قدمنا الى ما وصل اليه الاستاذ محمود شاكر في مقدمة كتابه " طبقات فحول الشعراء " حين قال : ان كلمة "طبقة " موجودة في كلام العرب منذ القديم ، وقدمها قدم اللغة ذاتها ، ولكنها تطورت مع الزمن وأخذت مدلولات متعددة في حياة العرب . ولكن صار لهذه الكلمة

---

(١) أنظر : أساس البلاغة ، مادة طبق .

(٢) هذا مثل يضرب في كل أمرين اتصفا بحال واحدة ، ويقال : ان شنّا وطبقة حيان ، كما يقال : ان شنا رجل وطبقة امرأة اتصفا بالذكاء وشدة الفطنة . أنظر لسان العرب وتاج العروس : مادة طبق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجاز آخر عند الكتاب والمؤلفين حين جاء عصر التدوين ، فتناول المؤلفون والكتّاب في مختلف العلوم والفنون الى أن وصلنا بهذا المعنى المعروف المتداول . (١)

(١) انظر ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، ط٢ ، ج١ مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، مقدمة المحقق ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهـــوم الطبقـة الاجتماعـــي :

ان تقسيم المجتمع الى طبقات حسب مستوياتها بالنسبة للثروة والسيطرة من أهم ميزات البناء الاجتماعي التي أولاها المفكرون والفلاسفة انتباههم علـى مرّ العصور (١) . وان الاختلافات بين بني البشر وبين الاشياء موجودة في كـل زمان ومكان . وهي ظاهرة عامة أينما توجهنا نحس بها ونلمس آثارها . ومنـذ أن وجد الانسان على ظهر هذه الارض أخذ يحس بهذه الظاهرة ، فـرأى الانسان القوى والى جانبه الانسان الضعيف ، والغني والى جانبه الفقيـر . وحين صوّب الانسان نظره الى السماء أحس بحجم هذه الاختلافات فالنجـوم والكواكب ليست على نسق واحد وهي متفاوتة في الحجم والسرعة كما بدت لـه حينئذ . ورأى أمام عينيه المرتفعات الشاهقة والمنخفضات السحيقة الى آخر هذه الظواهـر .

لقد وقف الانسان أمام هذه الاختلافات وهذا التباين مذهولا وقتا طويلا الاّ أنه أخذ يتقبل هذه الاختلافات وعدم التساوى بين الاشياء التي أمامـه كحقيقة واقعة لا يملك ازاءها أى شيء . وهذا مما سهّل فيما بعد قبـول التفاوت في البناء الاجتماعي الذى بدأ يظهر مع ظهور المجتمعات الاولـى .

لقد بدأ الانسان يدرك هذه الظواهر بجلاء حين أخذ يستقر فـي مجتمعاته الاولى ، وكذلك مع بداية ظهور قوى الانتاج ونشوء الملكيات الخاصـة ، وحين تعدت حاجة الانسان مجرد اشباع مايلزم لمعيشته أخذ يفكر ببسـط سيطرته والتملك ولو كان ذلك على حساب الآخرين ، فأدت الزيادة في الثـروات الاقتصادية الى تغير نمط العلاقات القائم بين الافراد ، وظهور فئة من النـاس أعطت لنفسها الحق في التحكم بمقدرات الآخرين ، فأدى ذلك الى تغير النظـرة الاجتماعية بين هذه الفئة القليلة المستبدة وبين قطاع كبير من الناس أصبحـوا تحت ضغط الحاجة تابعين لهذه الفئة القليلة ، ومن هنا نجد أن نشوء الملكيـات الخاصة أو ما يسمى بنظام " الاقطاع " هو الذى أفرز طبقتين رئيسيتين في المجتمع هما : طبقة الملاك " السادة " . وطبقة العمال " العبيد " الذين يعملـون في اقطاعات السادة . يقول بوتومور : " فالطبقات الاجتماعية قد نشأت مـع أول توسع تاريخي لقوى الانتاج بحيث تجاوزت المستوى اللازم لمجرد الاعاشـة ، بما في ذلك توسيع تقسيم العمل خارج نطاق الاسرة ، وتراكم فائض الثـروة ،

٣٣١٠٣٦

---

(١) أنظر بوتومور : الطبقات في المجتمع الحديث ، ط١ ، ترجمة وتقديـم د . محمد الجوهرى وآخرين ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهور الملكية الخاصة للموارد الاقتصادية. لذلك كانت علاقات الافـــراد ــ المتفاوتة ــ بأدوات الانتاج المملوكة ملكية خاصة هي التي تمثل أســـاس قيام الطبقات الاجتماعيـــة ... " (١)

وكما أوجد نظام " الاقطاع " هاتين الطبقتين ،فان طبيعة الحيـــاة الجديدة تطلبت وجود نظام سياسي ينظم العلاقات بين أفراد الطبقـــة الواحدة أولا ثم بين هاتين الطبقتين ، ولم يكن دور النظام السياسي أقـــل من دور النظام الاقتصادي " نظام الاقطاع " في افراز طبقات جديدة داخـــل المجتمع تشمل القطاعات المختلفـــة .

وعلى هذا فان فكرة الطبقات في المجتمع افراز قديم ،وهي أقدم منهـــا في أي مجال آخر من مجالات الحياة ،وقياسها في الأصل يعود للخلل فـــي تركيبة المجتمع وفي العلاقات بين أفراده. وان أي صراع طبقي يعكس عـــدم التلاؤم بين أساليب مختلفة في الانتاج ،ولا يتم الانتقال من نمط اجتماعـــي الى آخر الا بواسطة الصراعات الطبقية ، ولا تتفوق طبقة على أخرى الا بظهـــور وسائل انتاج أكثر تفوقا لصالحها. (٢)

لقد وجد نظام الطبقات هذا في حياة العرب الاجتماعية منذ القديـــم واستمر وجوده في مختلف العصور التي تعاقبت . واذا ألقينا نظرة على تركيبـــة المجتمع في العصر الجاهلي وجدنا أن هنالك ثلاث طبقات رئيسية كانت تتألـــف منها القبيلة العربية ، فالطبقة الاولى هي أبناء القبيلة الأصلاء الذيـــن يشتركون في علاقتي الدم والنسب . أما الطبقة الثانية فهي طبقة العبيد الذيـــن جلبوا من بلاد مختلفة ثم أسترقوا . والطبقة الثالثة هي طبقة الموالي ،وهـــم الذين تقوم القبيلة بعتقهم وينضوى تحت لوائهم المخلوعون من القبيلة الذيـــن أهدرت دماؤهم لجنايات وجرائم ارتكبوها فأصبحت القبيلة لا تطيق وجودهـــم. ومثال هؤلاء الخلعاء طبقة الصعاليك العرب الذين هاموا على وجوههم فـــي الصحارى وأمثالهم كثر ومعروفون كتأبط شرا والسليك بن السلكة والشنفـــرى وآخـــرين . (٣)

لقد كانت تركيبة المجتمع العربي في العصر الجاهلي على هذه الصورة ولكنها سرعان ما تغيرت عندما حدث انقلاب في حياة العرب الاجتماعية حين أطل

---

(١) بوتومور :ص٧٨ .
(٢) المرجع نفسه : ص ٧٩.
(٣) أنظر د. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي / العصر الجاهلي ،ط٧ دار المعارف بمصر ،القاهرة ،١٩٧٦، ص ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نور الاسلام الذى قلب كل هذه الموازين رأسا على عقب ومحى الفوارق بين الناس وآخى بينهم تحت ظله بحيث يشكلون أمة متماسكة متوحدة كالأسرة الواحدة، فأزال الاسلام كل الفوارق القبلية والجنسية ،وكذلك فوارق السيادة والشرف ، فساوى بين الحرّ والعبد وميّز بينهم في التقوى والايمان ،وهو بذلك ضمن احترام الانسان لانسانيته فعمل على تخليص العبيد من عبوديتهم والرقيق من ذل رقهم بل دعا المسلمين الى هذا العمل الجليل فقام كثير من الصحابة كأبي بكر بتحرير هؤلاء العبيد ،وشراء رقابهم ،لأنهم أصبحوا والحالة هذه في درجة واحدة مع غيرهم من الاحرار، ولا يمتازون عنهم الاّ بتقواهم (١) . قال تعالى : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ". (٢)

لقد غرس الاسلام هذه المفاهيم في عقول المسلمين وأوصاهم بالتمسك بها وحرص المسلمون في حياة الرسول الكريم ومن خلفوه على تطبيقها واننا نلمس ذلك واضحا جليا في هذه الفترة . غير ان الحياة الجديدة للمجتمع الاسلامي في بداية فترة الحكم الاموى حين امتدت الفتوحات الاسلامية وتوسعت حدود الدولة واختلطت الاجناس من كل مكان وتدفق الرقيق والجوارى ،كل هذا ساعد على تفشي حياة اللهو والترف وظهور طبقة ثانية بعد طبقة الخاصة ،وهي طبقة الرقيق والجوارى ، وكذلك طبقة ثالثة هي طبقة الموالي بمختلف أشكالها ،وحين أخذ العهد يبعد شيئا فشيئا عن العهد الاول للاسلام نلاحظ أن الفوارق الطبقية في ملامح المجتمع الاسلامي اصبحت أشد وضوحا .

ففي العصر العباسي على سبيل المثال نجد ان نظام الطبقات في الحياة الاجتماعية أصبح في صورة قد تكون أكثر تنظيما ، حيث صب النظام الاجتماعي والسياسي الناس كما يقول الاستاذ جرجي زيدان في طبقات مغلقة وأصبح الناس في هذا العصر طبقتين : خاصة ،وعامة ،وكل واحدة منها عبارة عن مظلة تتفرع في داخلها الى طبقات مختلفة . فلو نظرنا الى طبقة الخاصة لوجدنا ان هنالك خمس طبقات تنضوى تحتها . فالخليفة أولا ثم عائلته وهم بنو هاشم ،فرجال الدولة من وزراء وقادة وكتّاب ومن على شاكلتهم ، فأرباب البيوت وهم الاشراف من غير الهاشميين ويتصل نسبهم بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بقريش ،ثم ما يتبع هذه الطبقة وهم اربع طبقات : الجند والاعوان والموالي والخدم . ونحن نلاحظ ان طبقة الخاصة ذات صبغة سياسية بحتة . فرجال

---

(١) انظر د . شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي / العصر الاسلامي ، ط٤ دار المعارف بمصر، القاهرة ، ؟ ،ص ١٩ — ٢٣ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكم وعلى رأسهم الخليفة وأسرته هم المقدمون ، أما من سواهم فهم معزلون في طبقة خاصة بهم ، وحتى هذه الطبقة العامة فليس كل من فيها متساوين، فهم في درجات سلمية حسب الاهمية . كما نلاحظ أن هاتين الطبقتين، الخاصة والعامة تنقسم الطبقات المتفرعة عن كل واحدة منها في هذا النظام السلّمي . ولا يشترط في مثل هذه الطبقات المساواة بين من يستطلون فيها . ولقد رأينا في الطبقة الخاصة كيف ان الخليفة كان على رأس الهرم ثم تلاه من هم دونه في درجات الى ان وصلنا الى آخر درجة وهي التي نجد فيها توابع هذه الطبقة ، وحتى هؤلاء التوابع نجدهم أيضا في طبقات متفاوتة فالجند طبقات ، ثم الخدم طبقات ، والموالي طبقات . . . . ، أما طبقة العامة فقد كان تفاوتهم في المنزلة حسب النسب والثقافة والفنى والمركز. والطبقة الاولى من العامة هم المقربون من الطبقة الخاصة ، والذين استطاعت عقولهم وفطنتهم تقريبهم من الخاصة ، وهذه الطبقة أيضا تنقسم الى طبقات: أهل الفنون والأدباء والتجار والصناع. أما الطبقة الثانية من العامة فهم مزارعو القرى وعامة سكان المدن . (١)

وملاحظة أخرى وهي ان الدخول على الخليفة لم يكن عشوائيا ، وانما كان مرتبا حسب أولويات تحددها الامور التي ذكرناها ، فنجد أن زياد ابن أبيه رتّب الناس في طبقات من أجل الاستئذان لهم في الدخول على الخليفة ، وهي عادة اقتبست عن الفرس وذلك لمنع الازدحام على باب الخليفة وأولويات الدخول كانت على النسب ثم السن ثم الآداب فاذا تساوى اثنان في النسب قدّم الأسنّ منهم ، واذا تساويا في السن قدّم أكثرهم علما ، ثم استن الامويون هذه السنّة فيما بعد وتبعهم فيها من خلفوهم . (٢)

وهكذا أصبح نظام الطبقات نظاما مألوفا في كل المجتمعات لأن له ارهاصاته ودوافعه التي تكون في الغالب نتيجة ظروف حياتية أقوى من أن تتغير بسهولة ، ومن هنا نجد أن مثل هذه الطبقات التي تحدثنا عنها طبقات مغلقة تفتقر الى المرونة ، لأن الانتقال من طبقة الى أخرى أمر ليس باليسير الا ضمن ظروف تكون مفاجئة وغير اعتيادية في أكثر الاحيان . فليس للعبد أي أمل في مغادرة طبقته التي وجد فيها ، وأمل الفقير أضئل من أن ينتقل الى طبقة الملاك " الاقطاعيين " وليس من المتوقع أن يتحول المحكوم الى حاكم أو العكس بسهولة ، الا حين تجد أوضاع تقلب كثيرا من الموازين المتعارف عليها .

---

(١) أنظر جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق د حسين مؤنس ، ج ٥ ، دار الهلال ، ؟ ، ص ٢٦ — ٥١ .

(٢) المرجع نفسه : ص ١٥٢ — ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذا التفاوت الطبقي الذى أشرنا اليه يقع في داخل المجتمع الواحد ، الاّ أن الفكرة تمتد الى أبعد من ذلك ، حتى تشمل الاطار الانساني بين مجتمع وآخر ، وبين أمة وأخرى ، وذلك لأن هنالك فروقا تميز كل جماعة عن الاخرى وتضعها في مرتبة مختلفة عنها ، قال الجاحظ : " وانما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ، وفارس ، والهند ، والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا . على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضا . " (١)

ومن هنا نرى أن الانشطار في فئات متباينة داخل الجماعة الواحدة عملية واسعة وغير محدودة ، والجاحظ يؤكد لنا ان طبقة الخاصة تنقسم في داخلها الى طبقات متفرعة متباينة . وهو من خلال تقسيمه هذا أراد أن يصنف الأمم في طبقات ، فوجدها تنحصر في هذه الطبقات الاربع ، فوضع العرب في رأس السلّم وانتهى الى الدرجة السفلى ليضع فيها طبقة الهمج كما يسميها .

وحتى كلام الناس لم يسلم من هذا التصنيف ، كما صُنّف الناس أنفسهم في طبقات . قال الجاحظ : " وكلام الناس في طبقات كما ان الناس أنفسهم في طبقات . " (٢) بل تعدى ذلك الى حاجات الانسان الاساسية التي يستخدمها في حياته فوضعها في طبقات مختلفة ، ويمثل لنا بالرمح الذى صنفه العرب في طبقات : " وأما ما ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهمون . للرماح طبقات : فمنها النّيزك ، ومنها المربوع ، ومنها المخموس ، ومنها التام . . . " (٣)

ومن هذا كله ندرك ان فكرة الانشطار في طبقات داخل المجتمع الواحد فكرة قديمة جدا قدم الانسان على هذه البسيطة ، وهي التي أوحت للانسان أن ينظر الى كل ما حوله نظرة خاصة أو نظرة تصنيفية ، من خلالها يقيس الاشياء ويزن الامور من حوله .

ومن الميدان الاجتماعي هذا انسحبت فكرة الطبقات الى الميادين الاخرى وأولها الميدان الديني فصنّف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط٢ ، ج١ ، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٤٤ .
(٣) المصدر نفسه : ٣ / ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في طبقات سلمية متفاوتة في المنزلة حسب درجة قربهم منه ، ثم وضع المحدّثون في طبقات حسب درجة توثيقهم ، ثم شيئا فشيئا انتقلت هذه الفكرة الى الميدان الأدبي وغيره من الميادين فألفت الكتب في طبقات اللغويين والادباء والشعراء والأطباء وغير ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهوم الطبقة الديني :

انتهينا الى أن مصطلح " طبقة " موجود في لغة العرب منذ القديم بمعانيه المختلفة التي أشرنا اليها . ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بلغة قومه العرب . قال تعالى : " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (١) . وبالطبع فقد احتوى على كثير من التعابير والمصطلحات التي كانت شائعة على اللسان العربي آنذاك . ومصطلح " طبقة " من هذه المصطلحات ، فقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات في ثلاث آيات . قال تعالى : " ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا " (٢) ، وفي آية ثانية : " الذى خلق سبع سموات طباقا " (٣) ، وفي الثالثة : " والقمر اذا اتّسق ، لتركبنّ طبقا عن طبق " (٤) . ومعنى لفظة " طبقة " بتصريفاتها المختلفة في الآيات السالفة كما هو واضح موافق لمعنى التطابق الرأسي الذى أشرنا اليه ، بمعنى آخر فالطباق هنا أن تجعل الشيء فوق آخر بقدره . (٥)

وكما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ، فقد وردت كذلك في كتب الأحاديث . ومن تتبعي لمعناها بشتى تصريفاتها في الاحاديث الشريفة في الكتب الستة (٦) وفي مسند احمد بن حنبل وجدتها قد وردت تسعا وسبعين مرة في سبعة وستين حديثا ، وبمعان مختلفة ، فلقد وردت بمعنى المطابقة

---

(١) سورة يوسف : ٢ .
(٢) سورة نوح : ١٥ .
(٣) سورة الملك : ٣ .
(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .
(٥) أنظر هذا المعنى في لسان العرب: مادة طبق ، تاج العروس: مادة طبق ، أساس البلاغة: مادة طبق .
ولقد فسرها الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بهذا المعنى . أنظر المفردات في غريب القرآن : تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ؟ ، مادة طبق ، وفسرها كذلك ابن الاثير الجزرى (ت٦٠٦هـ) . أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر : تحقيق طاهر احمد الزاوى ومحمود الطناحي ، ج ٣ ، دار احياء الكتب العربية ، ؟ ، مادة طبق .
(٦) الكتب الستة هي : صحيح كل من البخارى ومسلم والترمذى ، وسنن كل من ابن ماجة وأبي داود والنسائي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما بين الشيء وما دونه ، حين يصبح بمثابة الخطأ له خمسين مرة،(١) وهو المعنى ذاته الذى تذهب اليه هذه اللفظة في الآيات الكريمة السابقة .

أما بمعنى الجيل ، فقد وردت ست مرات في حديثين (٢) " وهذا المعنى في اصطلاح المحدثين يعني جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ١ ، المكتب الاسلامي ودار صادر ، بيروت ، ؟ ، ص١٨١ ؛ ٣٧٨ ، ٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٥٩ ؛ ٢/ ٤٤ ، ٥٢ ؛ ٧٨ ، ٨١ ، ١١٦ ، ٣٦٧ ، ٣/ ٤٦٧ ؛ ٤/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ؛ ٥/ ٣ ؛ ١٢٢ ، ١٤٣ ؛ ٦/ ١٢ ؛ البخارى : الصحيح ، شرح الكرماني ، ط١ ، ج ٥ ، ؟ ، ؟ ، ١٩٣٣ ؛ باب الاذان ١١٨ ، ص ١٤٨ / ج ٢٥ ، المطبعة البهية بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، باب التوحيد ٣٧ ، ص ٢٠٥ / ج ١٣ ، ط١ ، المطبعة المصرية ، ؟ ، ١٩٣٥ ، باب بدء الخلق ٧ ، ص ١٧٨ / ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخارى (المتن) ، ج ٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، باب الاستسقاء ١٣ ، ص١٦٥ / ج ٢ ، باب الصلاة ١ ، ص٥ / ج ٥ ، باب الحرث ١٣ ، ص ٤١٣ / ج ٦ ، اشراف محب الدين الخطيب وآخرين ، دار المعرفة ، بيروت ، ؟ ، باب الانبياء ٥٣ ، ص ٥٠٦ / ج ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ؟ ، باب الحج ٧٦ ، ص ٤٩٢ / ج ٦ ، باب الانبياء ٥ ص ٣٧٤ ؛ مسلم : الصحيح ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، باب المساجد ٢٦ ، ص ٣٧٩ / باب المساجد ٢٨ ، ص ٣٨٠ / باب المساجد ٣٠ ، ص ٣٨٠ / ج ٤ ، باب الايمان ٢٦٣ ، ص ١٤٨ / ج ٣ ، باب توبة ٢١ ص ٢١٠٩ / ج ٣ ؛ باب الجهاد ١١١ ، ص ١٤٣١ / ج ٣ ؛ باب الصيام ١٤ ، ص ٧٦١ / باب الصيام ٢٤ ، ص ٧٦٤ ؛ ابن ماجة : السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١ ، دار الفكر ، ؟ ، ؟ ، باب الاقامة ١٥٤ ، ص ٤٠٤ / باب الاقامة ١٧ ، ص ٢٨٣ ؛ أبو داود : السنن ، تعليق الشيخ احمد سعد علي ، ط١ ، ج ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، باب الاستسقاء ٢ ، ص ٢٦٦ / باب الصلاة ١١٦ ، ص ١٧٣ / باب الصلاة ٢٠٠ ، ص ١٤٦ ، النسائي : السنن ، شرح السيوطي ، ط١ ، ج ٢ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ؟ ، باب التطبيق ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن ماجة : السنن ، ج ٢ ، باب الفتن ٢٨ ، ص ١٣٤٩ .
وقد فسّرها التهانوى بهذا المعنى. انظر موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، ج ٤ ، المكتبة الاسلامية ، بيروت ، ؟ ، ص ٩١٧ ؛ انظر كذلك لسان العرب : مادة طبق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأخذ عنهم ، فاما أن يكون شيوخ هذا الراوى شيوخ ذلك ،أو يماثل شيوخ هذا شيوخ ذلك ، وبهما اكتفوا بالتشابه في الأخذ " (١) . ولقد حاول العلماء تحديد الفترة الزمنية لكل طبقة ،فمنهم من رأى أنها تعادل عشرين سنة ،وذهب بعضهم الى عشر سنوات اعتمادا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمتي على خمس طبقات : كل طبقة أربعون عاما "(٢) . ولفظة " طبقة " كما هو واضح هنا بمعنى الجيل .

ولقد وردت بمعنى الحال أو المذهب اثنتي عشرة مرة ،في سبعة أحاديث (٣) ،ففي حديث ابي سعيد الخدرى على سبيل المثال ،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى ،منهم من يولد مؤمنا ،ويحيا مؤمنا ،ويموت مؤمنا ؛ ومنهم من يولد كافرا ،ويحيا كافرا ،ويموت كافرا ،ومنهم من يولد مؤمنا،ويحيا مؤمنا،ويموت كافرا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ،ويموت مؤمنا "(٤) . وفي هذا الحديث توضيح لمذاهب الناس في حياتهم . ووردت بمعنى فقار الظهر ثلاث مرات في حديثين (٥) ، ففي صحيح

---

(١) التهانوى : ص ٩١٧ .

(٢) ابن ماجة : ص ١٣٤٩ .

(٣) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٤ ،ص ١٩٩ / ج ٣ ،ص ١٩ ،ص ٦١ ؛ مسلم : الصحيح ، ج ١ ،باب الايمان ١٩٢ ،ص ١١٢ ؛ ابن ماجة : السنن ج ٢ ،باب الفتن ٢٨ ،ص ١٣٤٩ ، الترمذى : الصحيح ،شرح الامام الحافظ بن عربي ، ج ٩ ، دار العلم للجميع،بيروت ، ؟ ،باب الفتن ٢٦ ،ص ٤٢ . (وردت هنا ست مرات بمعنى الجيل اضافة الى معنى الحال) . أنظر هذا المعنى في لسان العرب ؛ مادة طبق ؛ تاج العروس ؛ مادة طبق ؛ أساس البلاغة ؛ مادة طبق . وانظر كذلك ابن الاثير الجزرى : النهاية في غريب الحديث والاثر مادة طبق .

(٤) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٣ ،ص ١٩ ، ٦١ ؛ الترمذى : الصحيح ، ج ٩ باب الفتن ٢٦ ،ص ٤٢ ، ٤٣ . (هنالك اختلاف في لفظ الحديث والمعنى واحد) .

(٥) البخارى : الصحيح شرح الكرماني ، ج ٢٥ ، المطبعة البهية بمصر القاهرة ، ١٩٣٨ ،باب التوحيد ٢٤ ،ص ١٤٨ ؛ ج ١٨ ، ط ١٩٣٧ باب تفسير سورة (ن والقلم) ،ص ١٦٣ ؛ مسلم : ج ١ ، باب الايمان ٣٠٢ ،ص ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسلم : " ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء ألا جعل الله ظهره طبقة واحدة " (١) .

ولقد وردت بمعنى الوعاء أو ما يوضع عليه الطعام تسع مرات في سبعة أحاديث (٢) ، ففي مسند ابن حنبل : " فجاء رجل بطبق عليه تمر (٣) " . ووردت بمعنى آلة الطرب والغناء مرة واحدة . " فأعطاها طبقا ففنتها " (٤) . وجاءت بمعنى رقعة الكتابة مرة واحدة أيضا : " فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده " (٥) . ووردت بمعنى الحمق وعدم القدرة على التصرف مرتين . ففي صحيح البخاري : " زوجي غياياء أو عياياء طبقاء " (٦) . ونجد أنها وردت بمعنى العضو من أعضاء الانسان كاليد مثلا مرتين . (٧)

---

(١) مسلم : ج ١ ، باب الايمان ٣٠٢ ، ص ١٦٩ . أنظر هذا المعنى في لسان العرب مادة طبق ؛ تاج العروس ، مادة طبق . وانظر كذلك عند ابن الاثير الجزري : النهاية في غريب الحديث والاثر مادة طبق ؛ ولقد فسرها كذلك الراغب الاصفهاني بهذا المعنى . أنظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة طبق .

(٢) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٣ ، ص ٤٨٩ / ج ٦ ، ص ٢٩٨ / ج ٢ ، ص ١٨٦ ؛ ابن ماجة : السنن ، ج ٢ ، باب الصيد ٩ ، ص ١٠٧٣ / ج ٢ ، باب الاطعمة ١١ ، ص ١٠٩٠ ؛ ابوداود : السنن ، ج ١ ، باب الطهارة ٥٦ ، ص ٣١ ؛ الترمذي : الصحيح ، ج ٨ ، باب الاطعمة ٤١ ، ص ٤٠

(٣) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٣ ، ص ٤٨٩ .
أنظر هذا المعنى في لسان العرب ، مادة طبق ؛ تاج العروس مادة طبق ؛ أساس البلاغة ، مادة طبق ، وانظر كذلك النهاية في غريب الحديث والاثر ، مادة طبق .

(٤) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٣ ، ص ٤٤٩ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٩٠ .

(٦) البخاري : الصحيح ، شرح الكرماني ، ج ١٩ ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، باب النكاح ٨٢ ، ص ١٣٤ ؛ مسلم : الصحيح ، ج ٤ ، باب فضائل الصحابة ٩٢ ، ص ١٨٩٨ .
أنظر هذا المعنى في لسان العرب : مادة طبق ؛ النهاية في غريب الحديث والاثر : مادة طبق .

(٧) أحمد بن حنبل : المسند ، ج ٤ ، ص ٤٢٨ .
أنظر هذا المعنى في لسان العرب : مادة طبق ؛ تاج العروس : مادة طبق ؛ النهاية في غريب الحديث والاثر : مادة طبق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اننا نلاحظ أن معنى " الطبقة " انصبّ في معظمه على معنى التطابق الرأسي ، وأن المعاني الاخرى لهذه اللفظة قليلة مقارنة مع هذا المعنى . وكما وردت لفظة " طبقة " بمعنى التطابق الرأسي ، فقد وردت كذلك بمعنى التطابق الافقي في المنزلة ، ففي حديث أورده القاضي ابوالحسين بن ابي يعلى في " طبقات الحنابلة " باسناده الى العباس بن محمد بن حاتم الدورى (م ١٨٥ — ٢٧٠هـ) أنه قال : " انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة نفر ، من الصحابة رضي الله عنهم : عمر بن الخطاب ، وعلى بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت . فهؤلاء طبقات الفقهاء . وأما الرواة فستة نفر أيضا : أبوهريرة ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وعائشة رضي الله عنهم . وأما طبقات أصحاب الأخبار ، والقصص ، فستة نفر : . . . . ، وأما طبقات خزان العلم : فستة نفر أيضا . . . ، وأما طبقات الحفاظ ، فستة نفر : . . . " (١) .

وفي هذا الحديث تتضح فكرة التوافق الافقي بين الطبقات ، فلكل طبقة موضوعها المحدد وكل طبقة منها تتوافق مع الطبقة الاخرى في تميز أصحابها في موضوعاتهم . والطبقة هنا بمعنى المنزلة ، وهي منزلة رفيعة يتبوؤها ستة أشخاص ، على الرغم من أنه يعتبر كل واحد من هؤلاء الستة طبقة قائمة بذاتها ، ويشكل الستة مع بعضهم طبقة واحدة متميزة ، فهو حين ذكر طبقات الفقهاء على سبيل المثال ذكر ستة أسماء ، كل واحد منهم رأس في موضوعه . وهنا يتضح مبدأ التساوى داخل الطبقة الواحدة ، فلا يوجد واحد أفضل من الآخر داخل هذه الطبقة . وكأن كل واحد من الستة طبقة فرعية ، ومجموع هذه الطبقات المتفرعة الست يشكل الطبقة الأم المتميزة في موضوعها .

لقد جاءت لفظة " طبقة " في الحديثين السابقين بمعنى المذهب أو المنهج ، ومن تاريخ وفاة راوية الحديث الثاني وهو العباس بن محمد ابن حاتم الدورى (ت ٢٧٠هـ) نلاحظ أنه قريب العهد من ابن سلام (ت ٢٣١هـ) . ويرى الاستاذ محمود شاكر أن هذا اللفظ لم يجر على لسانه الا بمعناه شائع ومألوف في أيامهما ، وهذا المعنى يدل على التفرد والتفوق في مجال من المجالات ، أو موضوع من الموضوعات ، كالحديث أو الفقه أو التفسير أو الأخبار . وهذا المعنى هو الذى جعل الاستاذ شاكر يذهب الى أن ابن سلام عني بطبقاته المناهج ، فكل طبقة عنده تمثل منهجا مستقلا ومتميزا

---

(١) أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ، ج ١ ، مطبعة السنّة المحمدية ، القاهرة ، ؟ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في عالم الشعر (١)، ولهذا بيان في موضعه.

ان الأصل في تأليف الطبقات هو تصنيف جماعة من الناس اشتركوا في فن من الفنون، أو علم من العلوم، وأن أول من قام بهذا العمل هم علماء الحديث الذين ارادوا تصنيف رواته في طبقات زمانية، فوضعوا كل جيل في طبقة، حتى تعرف أزمانهم وأجيالهم مما يساعد فيما بعد على دراسة أسانيدهم والتأكد من صحتها. غير أن هذه الفكرة لم تقتصر على ميدان الحديث، بل امتدت الى ميادين أخرى، فوضع العلماء مؤلفات في طبقات الفقهاء والحكماء والقراء والأطباء والنحاة ثم الشعراء. ولكن لم يقتصر معنى الطبقات هذا على المعنى الزمني، بل تعداه الى المعنى القيمي حسب مكانتهم ودرجاتهم كما هي الحال عند ابن سلام، على الرغم من ان محقق الكتاب الاستاذ شاكر ينفي المعنى القيمي للطبقات ويذهب الى المعنى الذي ذكرناه.

لقد استمر التأليف في الطبقات مع اختلاف في المدلول، اذ لم يعمد المعنى الزمني او القيمي هو الدافع وراء التأليف، وانما حملت الكثير من الكتب هذا العنوان جريا وراء التقليد، وهي لم تتعد أن تكون كتب معاجم أو تراجم رتب مؤلفوها تراجمهم حسب المعجم. (٢)

ومن هذه الكتب على سبيل المثال كتاب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة "٢٨٦ هـ"، وعنوانه: "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم" وفي القرن الرابع يكثر التأليف على هذا النحو فيؤلف ابن درستويه "أخبار النحويين" والسيرافي "طبقات النحاة البصريين". الى أن يصل العهد الى السيوطي في أواخر القرن التاسع الهجرى فيؤلف كتابه "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" (٣).

لا بدّ لنا من أن نقرّر أسبقية فكرة الطبقات في الميدان الديني عليها في الميدان الادبي، وذلك لأسباب وأدلة كثيرة، منها أن اهتمام المسلمين انصبّ على علوم الدين من حديث، وفقه، وتفسير، وغير ذلك، فأعطوها جلّ عنايتهم، فتفرغوا لها وتتبعوا رجالها بالبحث والتدقيق في أحوالهم من حيث صدقهم وثقتهم.

---

(١) أنظر ابن سلام: مقدمة المحقق، ص ٦٥ — ٦٩.
(٢) أنظر د. أمجد الطرابلسي: حركة التأليف عند العرب، ط٦، دار الفتح، دمشق، ١٩٧٦، ص ١٧٧ — ١٧٨.
(٣) المرجع نفسه: ص ٢٠١ — ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذه الاسبقية تبدو أكثر وضوحا في التأليف ، فظهور المؤلفات في طبقات الفقهاء وعلماء الحديث ورواته أقدم منها في الأدب والشعر ، لأن الدوافع وراء التأليف في الطبقات الدينية أكثر الحاحا منها في غيرها من المعارف فلقد ضاع كثير من الاحاديث التي كانت في الصدور قبل أن تنتقل الى السطور ، وظهر الوضع في الحديث ، وكثر الدس والتدليس ، مما حدى بكثير من العلماء الذين ساءهم هذا الوضع الى التأليف في طبقات الرجال في علوم الدين المختلفة فبحثوا ودققوا في أحوالهم عن طريق الاسناد والتثبت منه الى أن انتهوا الى هذه الفكرة التي استطاعوا من خلالها ان يفرزوا ثقات الرواة والمحدّثين والفقهاء عن غيرهم .

لقد كانت دراسة القرآن الكريم وعلوم الحديث بغية العلماء ، ولما كانت تستوجب معرفة باللهجات العربية المختلفة ، فان العلماء وجدوا في الشعر العربي خير معين لهم ، ولذلك اضطروا الى دراسة فروع المعرفة المختلفة ، ولقد كانت هذه المعارف مفتوحة على بعضها ، فلم تكن هناك حدود تفصل ما بين العلوم الدينية والادبية ، لأن استقلال فروع المعارف المختلفة لم يبدأ الا في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين ، وما لبثت ان أصبح لها أشكالها واهتماماتها المحددة . وكان الباعث وراء هذه الاستقلالية أن المعارف الرئيسية في الاصل وصلت الى حد من التضخم فأصبحت تشمل فروعا كثيرة من المعارف ، من مثل : التفسير ، والمعاني ، والنحو ، وعلم اللغة وغريبها ، والتاريخ والانساب ، الى غير ذلك . ولقد أصبح من العسير مع هذا التضخم دراسة هذه المعارف مجتمعة ، فأدى ذلك الى ضرورة انفصال بعض فروع المعرفة عن بعضها الآخر فأصبح لكل فرع شكله الخاص به ، وموضوعه المستقل . ومما يجدر ذكره أن هذه الفروع كلها كانت تنطوي تحت لواء الادب في عهد ابن قتيبة ؛ لأنه كان ادراج موضوعات تفسير القرآن والحديث ضمن باب الادب أيسر وأسهل من ادراجها تحت باب العلوم الدينية ؛ لأن هذه العلوم كانت لا تستغني بحال عن دراسة اللغة بلهجاتها المختلفة . (١)

وحين اطلع علماء الحديث على مادة الادب والشعر استهواهم التأليف فيها كما فعل كل من ابن سلام ، وابن قتيبة الذي ألف في الحديث كتبا متعددة ، منها كتاب " تأويل مختلف الحديث " ، وان أثر ثقافته الدينية جليّ واضح في كتابه " الشعر والشعراء " .

---

(١) أنظر د . اسحاق الحسيني : ابن قتيبة ، ترجمة د . هاشم ياغي ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٩٨، ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد فاق اهتمام المسلمين بعلوم الدين اهتمامهم بأى شيء آخر من معارفهم ، لما لهذا الدين من سيطرة على عقولهم وأفئدتهم ، حتى أننا نجد الشعر الذى هو ديوان العرب وعنوان معارفهم ، والذى نال كل عنايتهم قبل حلول الاسلام ، بدأوا يتشاغلون عنه بمجيء الاسلام ، وانصرفوا الى هذا الدين الجديد ، والى كتاب الله ، لما وجدوا فيه من بلاغة واعجاز شديدين لم يعهدوهما في كلام العرب ، حتى ان ابن سلام يقول : " فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته " (١) .

وفي هذا دلالة واضحة على مدى اهتمام المسلمين بتعاليم هذا الدين وفروضه ، وانشغالهم به عن الشعر ، واستمر هذا التشاغل فترة طويلة حتى أنهم بعد ان استقروا واطمأنوا في أمصارهم ؛ فان علوم الدين بقيت تحظى بالمكانة الاولى في تفكيرهم ، وان تتبع الطريق الذى سار فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلنا على ما كان يلح على العلماء من أوضاع مضطربة اضطرتهم الى تصنيف رواة الحديث في طبقات ، وتعقبهم بالتدقيق والاستقصاء في أحوالهم ، وتعيين طريق الاسناد ، ومن ثمّ الحكم له أو عليه (٢) . ومعلوم ان الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ/ ٧٢٠م) هو أول من أولى عملية جمع الاحاديث اهتماما كبيرا ، فأناط هذه المهمة بأبي بكر بن محمد ابن حزم (ت ١٢٠ هـ/ ٧٣٧م) ، وقال له : " أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء " (٣) .

ان علماء الحديث محقون في هذا الاجراء الذى حدّ من عملية الوضع والتدليس في الحديث فلقد تقولت الاحاديث على لسان رسول الله (ص) وتزيد فيها وانتقص منها ، حين وجد من يهمهم الطعن في هذا الدين ممثلا بشخص الرسول ، فقامت المفاضلة بين المحدّثين من حيث الفطنة والصدق والامانة والدقة والنزاهة ، وبهذا استطاعوا معرفة ثقات المحدّثين من المغمورين والضعاف الذين لا يعتد بما يروون ، ولذلك تحرز العلماء منهم وجرحوهم . ان هذه الاسباب التي دعت الى نظام الطبقات عند علماء الحديث تلتقي مع الاسباب التي حدت بابن سلام وغيره من نقاد الشعر الى تعقب الشعراء ودراسة حياتهم ومعرفة ما قيل فيهم ثم تصنيفهم في طبقات . وسنلاحظ بعد قليل

---

(١) ابن سلام : ص ٢٥ .

(٢) انظر د . منير سلطان : ابن سلام وطبقات الشعراء ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٣٧ .

(٣) البخارى : الصحيح ، شرح الكرمانى ، ج ٣ ، دار احياء الكتب العربية ؟ ، ؟ ، ص ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن اللغويين اقتفوا أثار المحدّثين في اقتباس العبارات والاصطلاحات الدالة على درجة الأخذ والتحمل في السند .

لقد اعتمد علماء الحديث في نقدهم للرجال على مقياس الجرح والتعديل، بينما سنجد أن نقاد الشعر اعتمدوا في طبقاتهم على مقاييس متعددة ، منها الجودة والكم ، والجودة كمقياس في نقد الشعر تلتقي مع الدقة في ضبط الرواية في الحديث .

ولقد تأثر الادباء والنقاد تأثرا سريعا بطريقة علماء الحديث ومنهجهم في تصنيف المحدّثين واستخدام مصطلحاتهم ، وليس هذا مستغربا ، اذ أن كثيرا من الشعراء كانوا رواة حديث ولهم صحبة ، ومنهم عروة بن أذينة ، الذى يقول فيه ابن قتيبة : " وكان شريفا ثبتا يحمل عنه الحديث " (١) . وفي موضع آخر يقول فيه : " وحدثني سهل بن محمد عن الاصمعي قال : كان عروة ابن أذينة ثقة ثبتا يروى عنه مالك بن أنس الفقيه " (٢) . ويقول في العجاج الراجز : " كان لقي أبا هريرة ، وسمع منه أحاديث " (٣) . وكان ابن سلام نفسه راوية للادب والحديث ، وهذا جعله متأثرا برجال الحديث ، فاقتبس منهم هذه الطريقة وأضاف اليها من عنده ما جعلها بهذا الشكل (٤) .

ان أقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات الدينية ، هو طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) وكتاب طبقات ابن خياط (ت ٢٤٠هـ) (٥) . الا أن هناك تاليف في الطبقات الدينية أقدم من طبقات ابن سعد ، الا أنها لم تصلنا كطبقات أستاذه أبي عبد الله بن عمر الواقدى ، وقد ذكر له ابن النديم كتابا في الطبقات (٦) وهذا يعطي للكتاب قيمة كبيرة ، خصوصا وأنه أنموذج أول في موضوع " الرجال " .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح احمد شاكر ، ط٣ ، دار التراث العربي ، ؟ ، ١٩٧٧ ، ص ٥٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٨٣ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٥٩٥ .

(٤) أنظر د . عبد الواحد الشيخ : قضايا النقد الادبي والبلاغة ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٧ .

(٥) ابن خياط : الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، ق ١ ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٦ ، مقدمة المحقق ، ص : ز ، ح .

(٦) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، مطبعة دانشگاه ، طهران ، ؟ ، ص ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد استقى ابن سعد معلوماته من مصادر سابقة له أكثر دقة، وخليفة ابن خياط، ممن ألفوا في الطبقات قبله، الا ان ابن سعد يرتكز ارتكازا يكاد يكون كليا على طبقات استاذه الواقدي. وهو يذكر الواقدي في معظم ما كتب لأن جل علمه مأخوذ عن الواقدي، حتى أن ابن النديم يقول فيه — ابن سعد —: "ألف كتبه من تصنيفات الواقدي". (١)

وما يهمنا من طبقات ابن سعد منهاجه الذي صنف من خلاله رجال الحديث في طبقات. هذا المنهاج الذي تأثر فيه فيما بعد من ألفوا في طبقات الشعراء كابن سلام على سبيل المثال. فلقد خصص ابن سعد الجزأين الاولين من كتابه لسيرة الرسول، ثم ترجم بعد ذلك لصحابة رسول الله وللتابعين، وابن سعد في ترجماته هذه اعتمد مقياسين بارزين، هما: مقياس الزمان، ومقياس المكان، وسنلاحظ فيما بعد أثر هذين المقياسين في مناهج نقاد الشعر. ويتضح ذلك أكثر ما يتضح عند ابن سلام في طبقاته، فطبقات ابن سلام لم تخالف في اطارها طبقات ابن سعد لأنه أعجب بمنهج ابن سعد وعمل جاهدا على تطبيقه في الادب.

لقد اعتمد ابن سعد عنصر الزمان وجعله مقياسا في بناء طبقاته جميعها، والمقصود بالزمان عنده القدمة في الاسلام، وهذا مقياسه الاساسي، اذ ابتدأ بالمهاجرين البدريين ثم بالانصار البدريين، ثم من دخل الاسلام قديما ولكنه لم يشهد بدرا، وانما هاجر الى الحبشة أو شهد أحدا. ففاضل بين المسلمين حسب المشاهد التي شهدوها، فابتدأ بالمهاجرين الاولين ثم أهل العقبة الى ان انتهى بالحديبية. ومما يلاحظ أن ابن سعد كان يفضل البدريين على غيرهم كما أنه متأثر بهذا التصنيف بما فعله الخليفة عمر بن الخطاب في تدوينه للدواوين. والطبقات الدينية التي تأثر بها ابن سلام هي طبقات مغلقة بطبيعتها، فالمهاجرون الاولون مثلا طبقة، ويأتي بعدهم أهل العقبة، وهم طبقة ثانية، وكل أهل مشهد من المشاهد هم طبقة منفصلة، فمن غير الممكن أن يكون الشخص ممثلا في أكثر من طبقة، ومن هنا جاءت حدية ابن سلام حين وضع في كل طبقة أربعة شعراء لا يزيدون ولا ينقصون، ولم يورد الشاعر في أكثر من طبقة. (٢)

أما مقياس المكان عند ابن سعد فهو واضح في ترجمته للصحابة وفق أمصارهم التي أقاموا فيها، فابتدأ بمن في المدينة، فمكة، فالطائف، فاليمن،

---

(١) ابن النديم: ص ١١١.
(٢) انظر د. منير سلطان: ص ٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاليمامة ،وبعد أن ترجم لمدن الجزيرة ،انتقل الى العراق ،فابتدأ بالترجمة لمن في الكوفة ثم البصرة، وبعد ذلك انتقل الى الشام،فمصر، ناهجا هذا النهج. وكل طبقة من طبقات ابن سعد هي جيل كامل يعادل عشرين سنة ،فكانت عشرون سنة تفصل ما بين طبقة وأخرى من طبقاته. (١)

لقد كان ابن سعد حريصا أشد الحرص في التعامل مع من كان ينتمي الى أكثر من طبقة ،فاستطاع التخلص من هذا الاشكال ،لأنه كان يتوسع للشخص في الموضع الاول الذى يرد فيه ،ويوجز في ترجمته في المواضع الاخرى. (٢) ولو أخذنا على سبيل المثال الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه، فلقد كان يعد من طبقة العشرة المبشرين بالجنة لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد من حيث صغر السن في طبقة تالية لهم. (٣)

وسنرى الى اى حد وجد هذا الاشكال في بناء طبقات الشعراء، وكيف تعامل معه نقاد الشعر،كابن سلام الذى اضطر لتوزيع المخضرمين على طبقتي الجاهلية والاسلام.

وملاحظة أخرى على منهج ابن سعد ،وهي أن التراجم الاولى كانت تطول ،وكلما ابتعدنا عنها تأخذ هذه التراجم تتضاءل شيئا فشيئا ، الى أن تصبح في النهاية قليلة الفائدة، وهذه الملاحظة نفسها نلاحظها بوضوح في طبقات الشعراء ،فالأولوية في ترتيب الطبقات كانت من نصيب الطبقة الاكثر أهمية أو الاسبق في موضوعها او في تحقيق المنزلة الرفيعة ضمن المقياس الموضوع، وهذا أيضا انسحب على طبقات الشعراء ،لذلك نجد تراجم الشعراء المقدمين مستفيضة وطويلة ،ثم تأخذ بالانحسار شيئا فشيئا. (٤)

لقد خصّص ابن سعد في آخر طبقاته طبقة للنساء الصحابيات، اللواتي روين الحديث ،واننا في تركيزنا على الحديث عن طبقات ابن سعد دون غيره ، لا لأنها أقدم طبقات دينية وصلتنا فحسب ،بل كذلك لأن المنهج الذى رسمه ابن سعد لطبقاته كان أكثر ملاءمة لنقاد الشعر كابن سلام الذى يبدو تأثره بمنهج ابن سعد واضحا جليا، فلقد وصلتنا طبقات معاصرة " خليفة بن خياط " ت ٢٤٠ هـ، الا أن منهجه لم يستهو نقاد الشعر فيما بعد ، فهو لم يرتب الصحابة

---

(١) أنظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، م١ ، دار صادر، بيروت ، ؟ ، ص١٢-١٣ .
(٢) انظر ابن سعد : مقدمة احسان عباس ، ص ١٢ — ١٣ .
(٣) انظر التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، ج ٤ ، بيروت ، ؟ ، ص٩١٧ .
(٤) انظر ابن سعد : مقدمة احسان عباس ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفق سابقتهم في الاسلام كما فعل ابن سعد ، بل رتبهم حسب أنسابهم ودرجة قربهم من الرسول (ص) . فكتاب خليفة هو بالدرجة الاولى في الانساب قبل أن يكون في الطبقات . وفائدة منهج لخليفة تفيد في دراسة التاريخ ، فطبقاته مقسمة حسب القبائل مما يتيح معرفة قبائل كل مصر من الامصار . مما يسهل كذلك التعرف على حركة انتشار القبائل العربية ودرجة توزيعها . (١)

ومن معاصري ابن سعد الذين الفوا في الطبقات ، الهيثم بن عدي الذي كان معاصرا للواقدي ، أستاذ ابن سعد ، فله كتاب " طبقات الفقهاء والمحدثين " وله أيضا كتاب " طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه " (٢) ، والاثنان من وفيات سنة (٢٠٧ هـ) (٣) . كما أن واصل بن عطاء " ت ١٣١ هـ " سبقهم في التأليف في الطبقات ، ويذكر ابن النديم له كتاب " طبقات أهل العلم والجهل " . (٤)

لقد قامت فكرة التأليف في طبقات الشعراء عند الادباء والنقاد على تقليد علماء الدين في طبقاتهم ، وذلك نتيجة للتشابه في الموضوع والظروف التي أحاطت بهذين الموضوعين ، ولو لم يكن هناك تشابه في الاغراض والمعطيات لما انسحبت هذه الفكرة ولو الى حد ما على الشعر والشعراء . وما ساعد على انتقال هذه الفكرة من الميدان الديني الى الميدان الادبي ، ان الادباء والنقاد كانوا على صلة وثيقة بالحديث ، فوجدت هذه الفكرة قبولا حسنا عندهم ، فعملوا بها على سبيل التقليد ، وسنرى ان هذه الفكرة لم تعط ثمرتها المرجوة منها في الادب كما أعطتها في مجال الحديث وغيره من علوم الدين ، فهي لم تنصف الشعراء في تصنيفهم ، والدليل على ذلك ان وضع الشعراء في طبقات كان دائما عرضة للاضطراب ، وهذا يتضح تماما عند ابن سلام الذي ضيق على نفسه كثيرا في هذا الشأن .

ان هذا النظام يصلح في الميدان الديني أكثر من غيره ، لأن موضوعه واحد ، وهو أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاحاديث محدودة وثابتة ، والمقاييس التي وضعت لتصنيف المحدثين أيضا واضحة ومحددة ، وهذا التحديد والثبات هو الذي يجعل فكرة الطبقات في هذا الميدان أكثر قوة ومرونة

---

(١) أنظر ابن خياط : مقدمة المحقق .
(٢) ابن النديم : ص ١١٢ .
(٣) د . منير سلطان : ص ١٣٩ .
(٤) ابن النديم : ص ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه في المجال الادبي ، لأن علماء الحديث اذا اتفقوا على ان فلانا ضعيف أو مدلّس، فلا مجال للوثوق فيه بعد هذا ، بينما نجد ان الآراء متفاوتة في الشعراء بين ناقد وآخر نتيجة لاختلاف الآراء وتعدد الموضوعات وتدخل الاهواء والعصبيات، فقد يضع ابن سلام شاعرا ما في طبقة متقدمة ، بينما يرى ناقد آخر كابن قتيبة أو ابن المعتز أن مكانة هذا الشاعر دون المكانة التي وضعه فيها ابن سلام(١). ومرونة لفظة " طبقة " في الميدان الديني تأتي من أنها تذهب الى أكثر من معنى حسب ما يقتضيه السياق الذي هي فيه ، فهي عند المحدثين تعني اشتراك جماعة في السن ولقاء المشايخ (٢) ، وتعني عند غيرهم المنزلة او المرتبة، وفي بعض الاحاديث تعني المنهج أو الحال ، كما هو في حديث ابي سعيد الخدري (٣) ، وحديث ابي الحسين بن ابي يعلى (٤) .

---

(١) د . منير سلطان : ص ١٣٩ — ١٤٠ .
(٢) التهانوي : ٤/٩١٧ .
(٣) احمد بن حنبل : ٣/١٩ ، ٦١ .
(٤) ابوالحسين بن ابي يعلى : ١/٢٣٧ — ٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـذور فكرة الطبقات عند اللغويـيـن :

يعود الفضل الاول في دخول فكرة " الطبقات " ميدان الادب الى اللغويين الذين مهدوا السبيل لهذه الفكرة حتى استوت ونضجت ، فتناولها نقاد الأدب والشعر فيما بعد وتعمقوا فيها ، وأضفوا عليها من تصوراتهم وعلمهم ما أوصلها الى الشكل الذى نراه عند ابن سلام ومن ألفوا بعده في الطبقات . ولكن كيف قامت الارهاصات الاولى لهذه الفكرة على أيدى اللغويين ؟

لقد قام اللغويون سواء أكانوا بصريين أم كوفيين بجمع مواد اللغة العربية من الرواة وذلك في حدود مطلع القرن الثاني ، حين استقرت امور الدولة ، وأمن العرب في أمصارهم ، وراجعوا تراثهم وآدابهم ، فلم يجدوا شيئا مدونا من هذا التراث ، وفاتهم شيء كثير منه بوفاة من كانوا يحملونه في صدورهم ، مما اضطرهم الى تدوين ما بقي من هذا التراث كي يحفظوه من الضياع ، ولأن الشعر العربي هو ديوان العرب ، وسجل حضارتهم وتراثهم ، وفيه مفاخرهم ومآثرهم ، فان فترة انشغالهم عنه بعد مجيء الدعوة الاسلامية لم تطل ، فعادوا اليه كما كانوا بعد أن توطدت أمورهم (١) .

ومن هنا بدأ عصر التدوين ، وهب علماء اللغة يجوبون البوادى والحواضر لجمع ما تبقى من هذا التراث كي يصونوه من الضياع ، وينقلوه من الصدور الى السطور . ومن اللغويين البصريين الذين قاموا بهذا العمل الجليل : الاصمعي ، وخلف الاحمر ، وأبوزيد الانصارى ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وأبوعبيدة معمر ابن المثنى . ومن الكوفيين : المفضل الضبي ، وأبوعمرو الشيباني ، وحماد الراوية ، وابن الاعرابي .

الا أن الفضل في جمع الشعر العربي يعود الى عالمين لغويين جليلين ، هما : الاصمعي ، الذى جمع شعر نيف وعشرين شاعرا من شعراء الجاهلية والاسلام ، والآخر ، هو ابوعمرو الشيباني ، الذى جمع شعر نيف وثمانين قبيلة . وهذان العالمان مشهود لهما بالثقة والامانة ، وهذا يجب ألا يغفلنا عن دور اللغويين الآخرين الذين قاموا أيضا بجهود لا يستهان بها في جمع الشعر العربي وحمل الصحيح منه كابني زيد الانصارى ، وابن الاعرابي ، وحماد الراوية ، وخلف الاحمر ، وآخرين . (٢)

---

(١) أنظر ابن سلام : ص ٢٥ .

(٢) أنظر طه ابراهيم : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الحكمة ، بيروت ، ؟ ، ص ٥٣ — ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا نتبين الجهد الكبير الذي بذل في استقصاء الشعر العربي والبحث عن رواته ، فلولا جهود هؤلاء اللغويين لضاع قسم كبير من الشعر العربي ، وبالتالي لما استطعنا أن نصل الى هذا القدر الهائل من الشعر العربي .

وقام اللغويون بهذه المهمة الجليلة نتيجة لدوافع كانت تفرض وضعا جديدا عليهم ، فمع نهاية القرن الاول ومطلع القرن الثاني كانت الحياة الاجتماعية والعقلية قد تبلورت بشكل جديد ، مما دعاهم الى اتخاذ الخطوة الاولى ، وهي جمع وتدوين التراث العربي بما فيه الشعر ، ولقد كانت حاجة اللغويين الى استقصاء الشعر وجمعه ملحة ، لأنهم كانوا يبحثون عن الشواهد والامثلة التي يسندون بها نظرياتهم وآرائهم اللغوية . (١)

يقول الجاحظ : " ولم أر غاية النحويين الاّ كل شعر فيه اعراب " (٢) ، وهذا هو ما يسمى بالنقد اللغوي ، وهو الذي يصدر فيه الحكم وفق أسس اللغة وقواعدها المتعارف عليها (٣) ، ومن هنا ابتدأ اللغويون بممارسة هذا النوع من النقد حين اضطروا الى الاستشهاد بشعر الشعراء ومعرفة خصائص كل شاعر ، وما يميزه عن غيره ، حتى تقوى شواهدهم ، وبالتالي تكون لهم حججهم الثابتة .

ان المرحلة الاولى من النقد كما هو معروف هي تلك المرحلة الانطباعية ، والتي كان عماد النقاد فيها الاهواء والعصبيات القبلية والآراء التأثرية المتسرعة . غير أن هذه المرحلة لم تستمر طويلا ، فلقد احتدت الصراعات بين النقاد ، مما حدى بهم الى الاستعداد ودراسة الشعر والشعراء وما قيل فيهم من آراء دراسة دقيقة متأنية ، استطاعوا معها الوصول الى قاعدة ثقافية نقدية أضفت على النقد بعدا أعمق وأثبت ، فاستطاع هؤلاء اللغويون جمع أقوال النقاد الذين سبقوهم ، والحجج التي أبداها أنصار كل شاعر في تقديمه .

وتمّ جمع هذه الآراء والأحكام النقدية في أوائل القرن الثاني للهجرة وسجلت في كتب الأدب والنوادر مع بداية القرن الثالث ، ومن ثمّ سارت على الالسن بعد ذلك . ومن هذه الآراء المتفرقة هنا وهناك ، وجدت الأسس الاولى في الساحة النقدية ، التي استند عليها فيما بعد نقّاد متميزون ، تخصصوا في النقد ، وأبدعوا فيه ، وانتشلوه من مرحلة الانطباعية الى مرحلة التأصيل ، التي أبرزته

---

(١) انظر طه ابراهيم : ص ٥٥ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٤/ ٢٤ .
(٣) قدامه : نقد الشعر ، تحقيق وتعليق د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كعلم له أصوله ومفاهيمه (١) ؛ التي تصل بالعقل الى درجة عالية من الاقناع ، على العكس من النقد الذاتي الذى لا يصل بالانسان الى هذه الدرجة الرفيعة من الاقناع ، لأن مقياس الناقد فيه هو شعوره وعواطفه وميوله وذوقه الخاص ومثل هذا النقد لا يركن اليه ولا يعتد بـــه . (٢)

واستطاع اللغويون التوصل الى الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين ، بعد تمحيص وتدقيق للشعراء ، اذ أنهم كانوا يريدون الحقيقة ، ولما كان هـــذا هو هدفهم فاننا لن نشك في حيدتهم وبعدهم عن الهوى . خاصة أنهم لـــم يقصدوا في أول الامر الى هذا الاطار التصنيفي " الطبقة " . فبعد أن تكلمـــوا وأسهبوا في الحديث عن الشعراء وقدراتهم توصلوا الى ثلاثة من الشعـــراء الاسلاميين ، كان الناس قد أجمعوا على أنهم في الذروة ، وهم جرير ، والفـــرزدق ، والأخطل . ونحن ندرك ان معيار اللغويين في تقدمة الشعراء هو قدرتهم علـــى تسخير اللغة ، واصابة المعنى مع التفنّن في أساليب اللغة ، ولا عجب في ذلـــك ، فكلّ ينظر الى أى موضوع من الزاوية التي يعلم فيها ، فاللغويون وضعوا اللغـــة نصب أعينهم حين فاضلوا بين الشعراء . ومن الشعراء من استطاعوا أن يصلـــوا الى مستوى الذوق العام في لغتهم ، كجرير لسهولة ألفاظه ومباشرتها ، وهـــذا الذى كان يناسب عامة الناس آنـــذاك . أما العلماء والمثقفون ، وهم الخاصـــة وكانوا يؤثرون جزالة الالفاظ وقوة السبك واستغلاق المعاني أحيانا ، ومثّل هـــذا النوع الفرزدق ، والأخطل . الاّ ان نظرة اللغويين للشعراء تبقى بعيدة عـــن الناحية الفنية والاسلوبية لأنها تنصب على القوالب اللغوية ، وما في هذا الشعـــر من شواهد تخدم غايتهـــم .

ان اللغويين لا يستطيعون تجاهل الذوق العام ، وما يقبل عليـــه الناس ، فوجدوا أن هؤلاء الثلاثة وهم ؛ جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، استطاعـــوا أن يشقوا طريقهم بثبات في عالم الشعر ، فملأوا الدنيا وشغلوا الناس ، ولامســوا عقول وقلوب الجمهور آنذاك ، فأجمع الناس على تقديمهم ، وتبعهم اللغويـــون في ذلك حين تيقنوا من ذلك بعد دراسة كل واحد منهم ، ومعرفة خصائصـــه وميزاتـــه .

ان وجود طبقة أولى بين الشعراء الاسلاميين أعاد اللغويين الى الـــوراء كي يبحثوا عن الطبقة الاولى المماثلة بين الشعراء الجاهليين ، فدرسوا شعـــراء

---

(١) انظر د . احسان عباس: تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ط ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٤٥ .

(٢) أنظر قدامة : ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاهلية بنفس الدقة والعمق ، وأفاضوا في الحديث عن مشهوري شعراء الجاهلية ، واعتمدوا في ذلك على الآراء النقدية المطروحة ، وعلى نتائج تحليلاتهم ودراستهم لهؤلاء الشعراء .

اننا نلاحظ أن دراسة اللغويين للشعراء الاسلاميين كانت أسبق منها للجاهليين ، وذلك بحكم معايشتهم لهم وقربهم منهم ، وما قاله يونس بن حبيب : " ان علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر ، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الاعشى ، وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرا والنابغة . " (١)

وقال من قدّم الاعشى : " هو أكثرهم عروضا ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا ، كل ذلك عنده . " (٢)

وقال من قدم زهيرا : " كان زهير أحصفهم شعرا ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح ، وأكثرهم أمثالا في شعره . " (٣)

لقد سبق هؤلاء الاربعة الى مكانة رفيعة في فنهم لم يدانهم فيها أحد من الشعراء ، لذلك استحقوا التقدمة على غيرهم . فامرؤ القيس أحسن طبقته تشبيها ، لأنه سبق الى أشياء اتبعته فيها الشعراء . والنابغة كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا . كأن شعره كلام ليس فيه تكلف . (٤) وزهير كان لا يعاضل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه (٥) . والأعشى أكثرهم عروضا وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء ونظرا ووصفا كل ذلك عنده . (٦) فهؤلاء الاربعة رأس بين الشعراء ، وكل واحد منهم رأس في موضوعه لما يمتاز به عن غيره ، اضافة الى أنهم حققوا شرطا كان على درجة كبيرة من الاهمية عند ابن سلام ، ومن قبله الاصمعي ، ألا وهو الكثرة مع الجودة .

اننا نرى أن اللغويين والنقاد اجتهدوا ودققوا كثيرا في دراسة شعراء الجاهلية الى أن انتهوا الى ما انتهوا اليه ، فاستطاع هؤلاء أن يصوروا ما كان

---

(١) ابن سلام : ص ٥٢ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٤ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٥٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٦٣ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدور في خلد الناس وأن يصلوا في قوة تصويرهم للمثل الاجتماعية والانسانية عند الناس الى درجة جعلتهم في الصفوف الاولى عند أغلب الناس ، مما ساعد في حسم القضية بسهولة أمام اللغويين لأن هؤلاء المقدمين كانوا قد تمكنوا من نفوس الناس وعقولهم ، فارتفعوا عندئذ الى هذه المنزلة الرفيعة .

أخذ اللغويون بعد ذلك بالمقارنة بين شعراء الطبقة الاولى من الاسلاميين وهؤلاء المبرزين من شعراء الجاهلية من حيث الاغراض والاساليب والطبع ، فربط أبو عمرو بن العلاء بين جرير والاعشى ، وبين الفرزدق وزهير ، وبين النابغة والاخطل ؛ (١) " وكان الحذاق يقولون ؛ الفحول في الجاهلية ثلاثة ، وفي الاسلام ثلاثة متشابهون ، زهير والفرزدق والنابغة والاخطل والاعشى وجرير . " (٢)

واننا نذهب الى ما ذهب اليه الاستاذ طه ابراهيم من استنتاج بأن اللغويين هم أسبق من حدد المتفوقين من شعراء الجاهلية ، فكل المعطيات تدل على اهتمام اللغويين البالغ بهذه القضية ، وتتبعهم لها .

لقد وصل اللغويون من خلال تحليلاتهم ومقارناتهم الى تفوق الشعراء الجاهليين الثلاثة الذين ذكرناهم ، ثم أتوا برابع لهم ، هو امرؤ القيس ، وبذلك يكون اللغويون قد حددوا مرة أخرى طبقة مميزة من الشعراء الجاهليين ، بعد أن امتدوا الى الطبقة الاولى من الاسلاميين .

اعتمد اللغويون في تقديمهم للشعراء على مقاييس محددة ، سنرى فيما بعد كيف تأثر بها النقاد الذين صنفوا شعراءهم ضمن هذا الاطار ، ومن هذه المقاييس الزمان ، والكم في الانتاج مع الجودة ، والتصرف في فنون الشعر المختلفة ، اضافة الى آراء متقدمي العلماء في هؤلاء الشعراء ، (٣) وقد مرّ بنا كيف ان من فضلوا الاعشى نظروا الى هذه المقاييس بعناية حين قدموه ، فوجدوه أكثر عدد طوال جياد ، وكثير التصرف في أغراض الشعر المختلفة ، فوضع لذلك في الطبقة الاولى ، بينما وضع طرفة في الرابعة لقلة في شعره . (٤)

ومما لا شك فيه أن مقياس الجودة مع الكثرة ، هو مقياس يركن اليه ويعتمد به في النقد ، وعلى هذا الاساس قامت كثير من الموازنات بين الشعراء .

---

(١) انظر طه ابراهيم : ص ٦٤ .
(٢) ابن رشيق : العمدة ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ط ٣ ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٩٥ .
(٣) انظر طه ابراهيم : ص ٦٥ .
(٤) انظر ابن سلام : ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هنالك مسألة داخل الطبقة تستحق الوقوف عندها ، وهي لماذا وقف هؤلاء اللغويون عند اربعة شعراء فقط في الطبقة الاولى من شعراء الجاهلية؟

يقول الاستاذ طه ابراهيم : " والحق ان ليس للاربعة الجاهليين خامس يماثلهم حتى يوضع بينهم : فطرفة مثلا صادق الشعور ، قوى المعاني ، مطّرد النفس ، حسن الصياغة ؛ ولكن ثروته الادبية من القلة بحيث لا تشفع لناقد أن يضعه في طبقة الاعشى وزهير ". (١)

ومما يلاحظ على اجابته أنه متأثر بمقياس الكم عند ابن سلام وغيره من قدامى النقاد ، وهو يتخذ من طرفة مثلا على ما ذهب اليه كما أنه يأتي بأمثلة أخرى كالشماخ بن ضرار ، وعلقمة الفحل ، وأوس بن حجر ، الذين لم يستطيعوا مداناة هؤلاء الاربعة في مستواهم ، وبالتالي لم يجد لهؤلاء الاربعة شاعرا خامسا يكون على شاكلتهم ، تماما كما هي الحال بالنسبة لشعراء الطبقة الاولى من الاسلاميين حتى ان ابن سلام حينما اراد أن يضيف الراعي الى رجال هذه الطبقة ، لم يجد من يؤيده في ذلك ، بل ان الناس حين اختلفوا في شعراء هذه الطبقة ، لم يميزوا الراعي الاهتمام الذى أعطوه للثلاثة الآخرين . يقول ابن سلام : " فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره . وعامة الاختلاف ، أو كله في الثلاثة . ومن خالف في الراعي قليل ، كأنه آخرهم عند العامة ". (٢)

لقد واجه اللغويون أثناء جمعهم للشعر تلك المشكلة التي أشرنا اليها ، وهي أنهم وجدوا شعرا كثيرا منسوبا الى غير أصحابه ، وشعرا تُقُوِّل على ألسنة شعراء لم يقولوه ، وهي قضية سوف نجد ابن سلام قد درسها من جوانبها كافة في مقدمة طبقاته ، وكان علماء الحديث قد واجهوا هذه المشكلة في الاحاديث الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعالجوها بأن ألفوا في موضوع الرجال وصنفوهم في طبقات . ولوجود الرواية وسلسلة الرواة في كلا الميدانين ، فان اللغويين نمّوا فكرة الطبقات ، واقتفوا أثر المحدّثين في درجة الأخذ والتحمل في السند ، فاعتبروا " أملى علينا " أرفع من " سمعت " و " سمعت " أعلى من " حدثني " و " حدثني " خير من " أخبرني " ، تماما كما فعل المحدثون . ولم يكتفوا بذلك ، بل انهم رتبوا ما جاء في اللغة كما فعل المحدثون ، فقالوا : فصيح وأفصح ، وجيد وأجود ، وضعيف ومنكر ومتروك ، مقلدين ما ورد في الحديث من صحيح وحسن وضعيف .

---

(١) انظر طه ابراهيم : ص ٦٦ .
(٢) ابن سلام : ص ٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعدى اللغويون هذه الامور الى تعديل الرجال وتجريحهم، فاتبعوا طريقة المحدثين فيها، فعدلوا على سبيل المثال الخليل بن احمد وأبا عمرو ابن العلاء، وجرحوا قطربا المتوفى سنة ٢٠٦هـ، معتمدين في تجريحهم له على شهرته بالكذب، غير ان هنالك تفاوتا بين اللغويين والمحدثين في درجة التمحيص والتدقيق فلم يستطع اللغويون الوصول الى مستواهم في ذلك.(١)

---

(١) أنظر احمد أمين: ضحى الاسلام، ج ٢، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ؟، ص ٢٥٨ — ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوليّـــــة فكـرة الطبقـــات :

ليس هنالك من شك في أن الموازنات والمفاضلات بين الشعراء قضيـــة رافقت وجود الشعر والشعراء منذ القديم ، فحتى يعرف المتفوق من الشعراء أو مـــن هو دونه ، فلا بدّ من أن يقرن بغيره ، لتتضح مزايا كل واحد منهم ، وبالتالـــي تسهل عملية تفضيل واحد على الآخر .

لقد تكلم الناس في الشعراء ، وحددوا من برع منهم في الوصف ، أو مـــن برع في الهجاء ، او المدح ، وهم لم يتوصلوا الى هؤلاء المتفوقين في أغراضهم الاّ بعد أن عقدوا مقارنات طويلة بينهم الى أن انتهوا الى شاعر بعينه هو السابق في موضوع معين من موضوعات الشعر . ولقد كانت الموازنات بين الشعراء أهـــم ما يشغل النقد القديم ونقاده أما أصول هذه الموازنات فقد كانت بسيطة وساذجة تعكس الاعجاب العام بواحد من الشعراء دون الآخـــر . (١)

ان الانسان يهوى المفاضلة بين الاشياء التي هي من أصل واحـد ، أو التي تتشابه بالفكرة أو المنهج ، والموازنة هي فن يتميز من خلاله الجيد من الردىء ، فهي احدى طرق النقد التي اعتمدها النقاد العرب في النظر الى الشعر والشعـــراء منذ القديم ، وان أسواق الشعر العربي تشهد على ذلك ، كما ان قبة النابغـــة الحمراء هي اصدق مثال ، فعلى بابها كان يقف الشعراء المتنافسون ، كل يقـــول ما عنده ، والنابغة يسمع ثم يعطي رأيه في كل واحد ، ويحدد المتفوق منهم . (٢)

ان الموازنة طريقة من طرق البحث العلمي في الاستدلال والوصل الـــى النتائج ، فهي لم تقتصر على الادب ولا على موضوع محدد فقط ، بل انها لازمـــة في مختلف مجالات العلوم ؛ فعلماء النبات يقارنون بين نوع من النبات وآخـــر لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، ويقوم علماء الكيمياء بتحليل العناصـــر المتشابهة في الكون ومقارنتها ، ويقارن علماء الجغرافيا بين الاقاليم والمناطـــق المتماثلة ويبنون نظرياتهم وآرائهم على أساس هذه المقارنة . فالموازنة فنّ قائـــم في كل مجالات الحياة المختلفة ، لأنها بمعنى آخر تقوم بتحديد الظواهـــر المتشابهة بين نوعين من الاشياء لتحديد ما يسير على نسق واحد منها أو عكـــس ذلـــك . (٣)

---

(١) انظر د . احسان عباس : ص ٨٧ .

(٢) انظر د . زكي مبارك : الموازنة بين الشعراء ، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابـي الحلبي بمصر ، القاهرة ، ؟ ، ص ١ .

(٣) انظر احمد الشايب : أصول النقد الادبي ، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصريـة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان عملية الموازنة تشتد حاجتها وتكون ملحة أكثر حين يجد أمر ما في أي مجتمع فيأخذون بمقارنته بما هو مثله أو بما كان يقوم في مقامه ، فحين نزل القرآن الكريم أذهل الناس بفصاحته وقوة بلاغته ، فوازنوا بينه وبين كلام العرب ثم بعد ذلك جرت الموازنات بين شعراء الرسول وخطبائه من جهة ، وشعراء الوفود العربية وخطبائهم من جهة ثانية ، وفي العصر الاموى اشتدت الموازنات ودخلت في أكثر من مجال وموضوع ، فوازنوا بين شعراء الغزل ، وبين شعراء السياسة وبين الخطباء . . . . (١)

لقد تبين لنا أن اللغويين هم الذين نمّوا فكرة الطبقات ، بعد أن نقلوها من ميدانها الديني الى الميدان الادبي ، واقتفوا خطى علماء الحديث في منهجهم. وان المهم في الامر ما تحقق على أيديهم من جمع للآراء النقدية المتناثرة في تفضيل الشعراء ، وهي الحجج التي كان يستند اليها من يفاضلون بين الشعراء . ومع نهاية العصر الاموى ، أو في الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة كانت هذه الحجج قد جمعت من مصادرها المختلفة ، وعند بداية القرن الثالث الهجرى دونت في كتب الادب والنوادر وأخبار الشعراء. (٢) وقد كانت هذه الآراء والحجج في معظمها لا تخضع للأسس الفنية ، وانما للذوق الخاص والميل والانفعال .

يقول ابن سلام : " وأخبرني أبان بن عثمان البجلي قال : مرّ لبيد بالكوفة في بني نهد ، فأتوه رسولا سؤولا يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل. فأعادوه اليه ، قال : ثم من ؟ قال : الغلام القتيل ، وقال غير أبان : ابن العشرين — يعني طرفة — قال : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل — يعني نفسه — " . (٣)

كما أن هذه الآراء النقدية لم تكن ثابتة ، فقلما يتفق على شاعر بعينه ، بل ان كثيرا من النقاد كانوا يناقضون أنفسهم وبسرعة عجيبة ، وهذا ان دلّ على شيء انما يدل على عدم وجود أصول نقدية ثابتة يقفون عليها ، لأن ما يتكئون

---

(١) انظر احمد الشايب : ص ٢٨١ .

(٢) انظر د . محمد زغلول سلام : تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ؟ ، ص ٦٢ .

(٣) ابن سلام : ص٥٤ ؛ وانظر ابو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ، تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، ج ١ ، ط ١ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ؟ ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٤—١٦٥ ؛ وانظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه هو الهوى والتعصب والانفعال . يقول الاصمعي : " لقي رجل كثير عـــزة ، وهو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي بن أبي جمعة ، فقال له : يا أبا صخر . أي الناس أشعر ، قال الذى قال :

آثَرْتُ إذْ لاجي عَلَى لَيْلِ حُـرَّةٍ هَضِيمِ الحَشَا حُسّانَةِ المتجـرَّدِ

وهذا للحطيئة . قال ثم تركه حينا حتى اذا ظنه قد نسي ذلك لقيه . وقال يا أبـا صخر أي الناس أشعر قال الذى يقول : " قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ " يعـني امرأ القيـس " . (١)

ان هذه الاحكام ، على الرغم من ذاتيتها وتحيزها أحيانا ، الا أنها أدت خدمة جلّى لمن اهتموا بالنقد فيما بعد ، فهي تشكل النواة الاولى للنقد العلمـي المدروس . وانها عكست اجماعا على تفوق عدد من الشعراء ، ومن هنا فان الذوق العام هو الذى حدّد شعراء الطبقة الاولى من الجاهليين ، لأنهم كانوا متميـزين عن جدارة واستحقاق فان الخلاف حولهم قليل ، فهم استطاعوا تصوير حيـــاة العرب الروحية والاجتماعية تصويرا يتلاءم مع نفسية العربي وشعوره فاستحقوا التقديم .

ثمّ مضى النقاد بعد ذلك الى ترتيب الشعراء في طبقات ، حـــتى أوصلوها الى عشر كما هو عند ابن سلام في طبقات الجاهليين ، وكذلك فعـــل بالاسلاميين ، فقد أوصلهم الى عشر أيضا . وهذا الترتيب هو الذى شاع علـــى الرغم من وجود تصنيفات أخرى كالتصنيف التاريخي الذى يجعل الشعراء فـــي ثلاث طبقات : جاهليين ، واسلاميين ، ومولّديـــن . (٢)

ان هذه الموازنات بين الشعراء لم تقتصر على شعراء عصر واحد ، فكلمـــا وازن النقاد بين كبار الشعراء في العصر الجاهلي ، فانهم وازنوا بين نظرائهـــم في العصر الاموى كجرير والفرزدق والاخطل ، وفي العصر العباسي وازنوا بـــين أبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبي العتاهية ، وبين ابن المعتز ، وابن الرومـــي وكذلك بين البحترى وأبي تمام ، فلم تقتصر الموازنات على عصر بعينه ، وانما هـــي موجودة في كل عصر في تاريخ الادب العربـــي . (٣)

ومثلما تقرر الموازنة شاعرا متفوقا وآخر بمستواه أو دونه ، فان ذلك أدى ضرورة الى وضع هؤلاء الشعراء في درجات أو مراتب ، وهي بداية للتفكير فـــي

(١) الاصمعي : فحولة الشعراء ، تحقيق ش. توري ، تقديم د . صلاح المنجد ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، ؟ ، ١٩٧١ ، ص ١٨ .

(٢) انظر د . احمد بدوى : أسس النقد الادبي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ؟ ، ص ٥٥١ — ٥٥٣ .

(٣) أنظر د . زكي مبارك : الموازنة بين الشعراء ، ص ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضوع الطبقات ، لكن تسمية " الطبقة " تأخر ظهورها بشكلها الذى وجدناه عند ابن سلام ومن بعده ، غير أن فكرتها كانت موجودة في عقول كثير من النقاد وعليها اتكأ النقاد في الموازنة بين الشعراء ، ووضع كل واحد منهم في مكانه الذى يستحقه .

ان تسمية مستويات الشعراء بالنسبة لأجادتهم كانت تختلف بين النقاد ، على الرغم من أن الفكرة واحدة ، فمنهم من جعل الشعراء في ثلاث مراتب ، وأطلقوا على المتفوقين منهم ، أى من يحلون في المرتبة الاولى لقب " السابق " ، ومن يليه في المرتبة الثانية لقب " المصلّي " بكسر اللام ، والذى يحل في المرتبة الثالثة والأخيرة لقب " السكّيت " بفتح الكاف وسكون الياء . والسابق هو الذى سبق الشعراء الى أشياء يكون له فضل ابتداعها ، كامرىء القيس الذى سبق الشعراء الى أمور نالت الاستحسان ، واتبعته فيها الشعراء . يقول ابن سلام : " فاحتج لامرىء القيس من يقدمه قال : ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالظباء والبيض ، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ ، وقيّد الاوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى " . (١)

ويركز ابن سلام على تقدم امرىء القيس في فن التشبيه وسبقه لغيره في هذا المجال ، فيؤكد على ذلك بقوله : " كان أحسن أهل طبقته تشبيها ... " . (٢)

وحين نلقي نظرة على شعراء الطبقة الاولى من الجاهليين ، فاننا نجد أن جميع من حلّ فيها هم من السابقين ، ورأى النقاد لكل واحد منهم شأوا بلغ فيه الغاية ، فقد قيل : " أشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا شرب ... " (٣) وهم يريدون من هذا أن امرأ القيس سابق في وصف الصيد وركوب الخيل ، ويصل الى هذه المرتبة الرفيعة زهير اذا رغب في المدح ، والنابغة اذا دفعه الخوف للاعتذار ، والأعشى اذا تناول الخمر فسرت في أوصاله .

---

(١) ابن سلام : ص ٥٥ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٣٤ .
(٢) ابن سلام : ص ٥٥ .
(٣) ابن رشيق : ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهؤلاء هم السابقون ،وكل واحد منهم كما هو واضح متميّز في مجالة وأسلوبه . وقد يكون الشاعر سابقا مرة ،ومُصلّيا ثانية ،وسكّيتا أخرى . وقد كان بعض الشعراء غير مستقرين في مرتبة معينة، فكان الاخطل اذا لم يأت سابقا يكون سكيتا ،أما جرير فيكون سابقا ويكون سكيتا أحيانا ومصليا أحيانا أخرى(١). ويفسر ابن سلام ذلك قائلا : " وتأويل قوله ،ان للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طوالا روائع غررا جيادا ،هو بهن سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما ،فهو فيما بقي بمنزلة السكيت. وجرير له روائع هو بهن سابق ،وأوساط هو بهن مصل ، وسفسافات هو بهن سكّيت " (٢).

ومن النقاد أيضا من جعل مراتب الشعراء ثلاث أيضا ،ولكن بتسميات مختلفة ،وهذه التسميات الثلاث هي : الشاعر ،وهو يقابل بمنزلته منزلة السابق، والشعور وهو يقابل المصلي ،والشويعر ،وهو يقابل السكيت . ومما روى عن الاصمعي أنه قال : " جاء رجل الى أبي عمرو بن العلاء فقال : ان ابني هذا يقول الشعر،فأحب أن تسمع شعره . قال : أنشد . فلما أنشد وفرغ من انشاده قال ابو عمرو لأبيه : الشعراء ثلاثة : شاعر،وشعور ،وشويعر. قال فابني من هو من هذه الثلاثة ؟ قال : ليس هو بواحد منهم ،ابنك شعرة. "(٣) بكسر الشين .

ولقد عبّر الجاحظ عن هذه الفكرة تعبيرا واضحا ،فنقل لنا في بيانه آراء من سبقوه من العلماء في الشعراء ودرجاتهم قبل الوصول الى اطار فكرة الطبقات هذه ،وهو ينقل أقوالهم مستخدما لفظة " طبقة " بعد أن دخلت في عالم النقد وتمكنت . يقول : " والشعراء عندهم اربع طبقات. فأولهم الفحل الخنذيذ هو التام ،قال الاصمعي : قال روءبة : " الفحولة هم الرواة ". ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ،ودون ذلك الشاعر فقط،والرابع الشعرور.ولذلك قال الاول في هجاء بعض الشعراء :

يا رَابِعَ الشُّعَرَاءِ كَيْفَ هَجَوْتَنِي ... وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لا أَنْطِقُ ". (٤)

فالشعراء والحالة هذه أربع مراتب، غير أنه ينقل قولا آخر في مراتب الشعراء ،لكنها هذه المرة لا تتعدى ثلاث مراتب،ولكن بتسميات مغايرة للاولى .

---

(١) انظر المرزباني : الموشح ،اشراف محب الدين الخطيب ،ط٢ ، المطبعة السلفية ،القاهرة ، ١٣٨٥هـ ،ص ١٠٥ .
(٢) ابن سلام : ص ٣٧٥ .
(٣) المرزباني : ص ٣٢٣ .
(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ،٣/٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول : " وقد سمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاث : شاعر ، وشويعر ، وشعرور " (١) . وهو يمثل للطبقة الثالثة بواحد مثل محمد بن حُمران ابن أبي حمران الذى أطلق عليه امرؤ القيس لقب شعرور (٢) . ويأتي بعد ذلك ابن رشيق ليؤكد لنا رأيين في مستويات الشعراء توصل اليها من وازن بينهم من النقاد السابقين ، يقول : " وقالوا الشعراء اربعة : شاعر فحنذيذ ، وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل روبة عن الفحولة ، قال هم الرواة ، وشاعر مفلق ، وهو الذى لا رواية له ، الّا أنه مجوّد كالحنذيذ في شعره ، وشاعر فقط ، وهو فوق الردىء بدرجة ، وشعرور وهو لا شيء ، قال بعض الشعراء لآخر هجاه :

يا رَابِعَ الشُّعَراءِ كَيْفَ هَجَوْتَنِي ... وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لا أَنْطِقُ " (٣)

ونلاحظ على الرأى التالي ، ما لاحظناه على الرأى الاول ، من أنه يؤكد على أن مراتب الشعراء اربع ، يقول : " وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور ، والمفلق هو الذى يأتي في شعره بالفلق ، وهو العجب ، وقيل : الفلق الداهية " (٤) .

ان هذه المراتب بمسمياتها المختلفة هي التي كان النقاد يصنفون الشعراء فيها ، حسب قناعاتهم وميولهم ، وكانت هذه الآراء انعكاسا للاحكام النقدية التي سارت على الالسن الى مرحلة متأخرة بعد عصر التدوين ، وحتى بعد أن حلّ نظام الطبقات في الشعر بشكله الذى نراه عند ابن سلام أو من جاء بعده ، فاننا نجد النقاد يعولون على هذه الآراء المتناقلة ولا يستطيعون التخلص من أثرها في عقولهم ، الّا ما ندر .

ان تاريخ الموازنات بين الشعراء في مرحلة التأليف نلمس أثرها من عند الاصمعي في كتابه " فحولة الشعراء " حين أقام موازناته على أساس مبدأ الفحولة ، حين اعتبر الشعراء في منزلتين ، منزلة الفحول ، ومنزلة غير الفحول . ثم استعار ابن سلام هذا الاساس من الاصمعي وتوسع فيه ، وأصبحت الفحولة عنده درجات ، لا كما كانت عند الاصمعي درجتين اثنتين . فبعد أن وازن بين الشعراء واختار الفحول منهم ، عاد ليوازن من جديد بين هؤلاء الفحول لكثرتهم ، واختار

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٢ / ١٠ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٠ .
(٣) ابن رشيق : ص ١١٤ — ١١٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحول الفحول منهم. واضعا اياهم في طبقات متفاوتة في المنزلة والموضوع، لأنه رأى ان الفحولة تتفاوت من شاعر لآخر ،ومن هنا وصل الى نظريته في الطبقات . (١)

أما ابن قتيبة فقد وازن بين الشعراء على أساس من الغريزة التي توجد مع الشاعر، فنظر فيهم ،فوجد أن الشعراء اثنين: مطبوع ،ومتكلف(٢). وموازنته على هذا الاساس قادته الى وجود مدرستين في الشعر العربي ، المدرسة الاولى ،وهي مدرسة الطبع ، وشعراؤها الذين يقولون الشعر ارتجالا من غير معاناة أو مكابدة. أما شعراء المدرسة الثانية ،وهي مدرسة الصنعة ،فهم الشعراء المتكلفون ،الذين يقولون الشعر بعد شدة عناء وطول تفكر .

وكما قام النقاد بالموازنة بين الشعراء من أجل تحديد المتفوقين منهم في موضوعات الشعر المختلفة ،فان من النقاد من أجرى الموازنة داخل الشعر نفسه ،وكان الدافع وراء ذلك ، هو مبدأ الاختيار،الذى جعل النقاد ينتقون أجود النماذج الشعرية للشعراء ،وعلى هذا فان المختارات الشعرية ، لم يخترها أصحابها الّا بعد أن وازنوا بين قصائد الشعر ،فانتقوا أفضلها ،ثم جمعوها ورتبوها وفق مناهج مختلفة ،ومن بين هذه المختارات " القصائد المعلقات " ، ومختارات المفضل الضبي (ت ١٧٨هـ) المسماة " المفضليات "، ومختارات الاصمعي (ت٢١٦هـ) المسماة " الاصمعيات " ، و " جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي . كما أن هناك نوعا آخر من كتب الاختيار، نجد بداياتها عند أبي تمام الذى ألف ديوان الحماسة ،ثم سار على نهجه البحترى ، والخالديان ،وابن الشجرى ،وأبو هلال العسكرى، والأعلم الشنتمرى في حماساتهم ، وأبو هلال العسكرى ايضا في ديوان المعاني .

ان مبدأ الموازنة في الشعر هو اختيار بحد ذاته ،واستطاع النقاد بفضل ثقافاتهم وأذواقهم وتمرسهم في ميدان النقد أن يحفظوا لنا هذه المختارات الشعرية القيمة ، وهذا لا يعني أن ما اختير من الشعر العربي هو أفضل الموجود ،فعملية الاختيار هذه لم تغط الشعر كله ،كما أنها لم تستطع افراز كل الجيد من اشعر ،اضافة الى أن بعض المجموعات الشعرية لا تخلو من قصائد ليست بمستوى الجودة التي رفعتها الى مكانتها ، غير أنه ما من شك أن الطابع

---

(١) انظر د . احسان عباس : ص ١٥ .
(٢) انظر د . داود سلوم: النقد العربي القديم ،ط٢ ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٨ ؛ أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص ٩٤ — ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العام لهذه المختارات ابتداء من المعلقات هو أنها حاكت المثال الشعري عند العرب وأوشكت على الاكتمال من حيث التقاليد الفنية ، كما أن معظم أصحاب هذه القصائد المنتقاة هم من مشاهير شعراء العرب .

لقد بقيت الاسس التي اختيرت على هديها النماذج الشعرية واحدة ، تخضع في معظمها لعامل الذوق ، الذي كان الفيصل في هذه القضية ، وعلى الرغم مما يجره الذوق من جور وظلم على حركة النقد ، الا انه يجب أن لا نستهين بهذا الذوق ، لأنه كان في كثير من الاحيان يغني عن الشرح والتعليل ، وبيان الاحكام النقدية ، ولقد كان ابن قتيبة من اوائل من تنبهوا الى هذه الاسس ، ودرسها بتفصيل ، وان اهتمامه بها ينبع من كونه يريد تقسيم الشعر في طبقات متفاوتة ، وقضية الموازنة داخل الشعر تظهر عنده بوضوح حين يصنف الشعر في اربع طبقات متفاوتة في القيمة من اعلى الى أدنى . (١)

ان الحديث في الموازنات بين الشعراء ، أو حتى داخل الشعر ذاته عملية ليست سهلة ، لانه كثيرا ما يحار المرء العارف في صناعة الشعر بين اثنين من الشعراء ، ولا يعرف أيهما يقدم ، لأن لكل واحد منهما قدراته ومجاله الذي يبدع فيه ، ومن هنا تطرح قضية نقدية على جانب كبير من الاهمية ، وهي : من هو الذي يستطيع التصدر للموازنة بين الشعراء ؟ ومن الذي يحدد تفوق شاعر ما في غرض من اغراض الشعر على اقرانه ؟ . كل هذه الاسئلة وغيرها وجدت الاجابة عليها عند ناقد نابه كابن سلام في مقدمة طبقاته ، فهو أول من تنبه لهذه القضية وعالجها بتفصيل .

ولكن لا بدّ لنا من القول أن من يتصدر للموازنة بين الشعراء يجب أن يكون كالقاضي ، فعليه ان يبرئ نفسه من كل هوى وميل ، فاذا وجد أنه لا يستطيع ذلك فعليه ان يتنحى عن هذا الميدان (٢) ، ومما يجب عليه كذلك أن يحيط بظروف كل واحد من الذين يوازن بينهم ، وأن يطلع على أحوالهم النفسية ، وأن يعرف لكل واحد منهم ما انفرد به عن غيره من صفات ، وأن يميز بين المعاني المبتدعة ، والمعاني المسبوقة لكليهما ، وأن يورد أسباب سبق الشاعر في غرض من أغراض الشعر ، وأسباب تقصيره ان بدر منه ذلك . (٣)

---

(١) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٠ — ٧٦ .
(٢) انظر د . زكي مبارك : ص ٣٣ — ٣٤ .
(٣) المرجع نفسه : ص ٦٢ — ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان مما يعترض عملية الموازنة بين الشعراء من عوائق ، هو عدم وضوح الحدود الفاصلة بين الشعراء في معظم الاحيان ، وليس من الممكن الوصول في كل الاحوال الى درجة قاطعة من الحسم في المفاضلة بين الشعراء ، وكثيرا ما يتم الترجيح بينهم على سبيل التقريب لا التحقيق .

ان مما يسهل عملية الموازنة بين شاعرين من الشعراء ، توافر ظروف وخصائص مشتركة بينهما ، من مثل الغرض الشعرى ، الذى يفضل ان يكون واحدا لكليهما ، فليس من المعقول أن تجرى الموازنة بين شاعر مشهور في الوصف ، وآخر مشهور في المدح على سبيل المثال ، ويستحسن ان يكون الشاعران متشابهين في الوزن والقافية ، الى غير ذلك من الامور التي تجعل الرؤيا أكثر وضوحا أمام الناقد .

ان مما يرجح شاعرا على آخر في عملية الموازنة ، ان يكون أحدهما قد استطاع تصوير ما لا يعتده من الاشياء ، بعكس الآخر الذى لم يستطع الوصول الى مثل هذه الدرجة من الدقة في التصوير ، على الرغم من الفه لهذه الاشياء .

ان ما يجب قوله في الختام ان عملية الموازنة في تاريخ الشعر العربي لها الفضل الاول في ذكاء الحركة النقدية ، وفي ما بين ايدينا من هذه الثروة النقدية التي حفظتها لنا كتب الادب والنقد ، وقد ساعدت أيضا عملية الموازنة بين الشعراء على صون الشعر العربي ، وابراز مشهورى شعراء العرب الذين اضطر النقاد فيما بعد كابن سلام وغيره الى وضعهم في طبقات حفظا لمكانتهم وانتاجهم الشعرى الذى خلّفوه لنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثانـــي

" الطبقـات بين النظريـة والتطبيـــــق "

١. كتـب الطبقـــات .
٢. مفهوم الطبقات عند نقاد الادب .
٣. مناهج أصحاب الطبقات .
٤. الطبقات بين التأثر والتأثـير .
٥. القيمة النقدية لكتب الطبقـات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب الطبقات

ان فكرة التأليف في الطبقات بمفاهيمها المتعددة هي ابداع اسلامي متميّز ، فلقد رأينا الحاجة الملحة تدفع بعلماء الدين الى تصنيف رجال الحديث في طبقات لتجعل كل واحد منهم في مرتبة متميزة من الدقة والتثبت ، كما رأينا كيف أن هذه الفكرة وجدت لها بعد ذلك ميدانا خصبا هو ميدان الادب ، وحينما نقول الادب فاننا نعني الشعر ، لأن التأليف في الطبقات تركز في الشعر دون غيره من فنون الادب المختلفة ، فتلقف النقاد الادب هذه الفكرة واستخدموها في تصنيف الشعراء ضمن أسس ومقاييس متفق عليها ، غير أن انتشار هذه الفكرة لم يتوقف عند هذا الحد ، بل انها وجدت صدى واسعا في ضروب المعارف المختلفة ، فظهرت المؤلفات في طبقات الفلاسفة والحكماء والمعتزلة والامم والاصوليين والنسابين والرواة والبيانيين . . . الخ . ، حتى أننا نجد ابن أبي أصيبعة في القرن السابع يتوسع في هذه الفكرة ويؤلف كتابا في طبقات الاطباء قسمهم فيه حسب بيئاتهم وأزمانهم كما أنه أورد شيئا من أقوالهم ونوادرهم ومحاوراتهم وذكر بعض كتبهم . (١)

أما في ميدان الادب وهو ميداننا فان استخدام هذه الفكرة بدأ يظهر بوضوح وجلاء مع بداية القرن الثالث الهجرى حين أخذ النقد الادبي يستقل بالبحث والتأليف بفضل نقاد وعلماء الادب كابن سلام (ت ٢٣١هـ) ، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، وغيرهم(٢) فصنفت حينئذ كتب تبحث في أحوال الشعراء وحياتهم ونوادرهم ومراتبهم ، وقد اتخذ هذا التأليف اتجاهين : الاول يعنى بالشعراء ومنازلهم واحوالهم وما قيل فيهم مع ايراد شيء من نماذجهم الشعرية الجيدة . أما الاتجاه الثاني فيعنى أصحابه بانتقاء النماذج الشعرية المتميزة وهي ما يعرف بالمختارات مع ايراد نبذة عن حياة الشاعر . وأصحاب هذا الاتجاه يهتمون بانتقاء طبقات الشعر الرفيعة ، بينما يهتم أصحاب الاتجاه الاول بتخير طبقات الشعراء المبرزين في كل فن . ومن الملاحظ أن بعض هذه الكتب كانت تحمل عنوان " طبقات الشعراء " أو ما شابه هذا العنوان لأنه ليس بالضرورة أن يحمل كل كتاب يبحث في هذا المضمون عنوان " طبقات الشعراء " وكثيرا ما نجد بعض الكتب التي تسير على هذا النهج تحمل عناوين مختلفة غير هذا العنوان ككتاب ابن قتيبة " الشعر والشعراء " وكتاب " الورقة " لمحمد بن الجراح (ت ٢٩٦هـ) وغير هذه الكتب .

---

(١) انظر ابن ابي أصيبعة : طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د . نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٧ ، ٨ .

(٢) انظر قدامة : مقدمة المحقق ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انه لمن المؤسف حقا أن نقول انه لم يصلنا من كتب طبقات الشعراء التي حملت هذا العنوان بنصه في هذه الفترة الا ثلاثة كتب من بين عدد كبير من كتب الطبقات عثرنا عليها من تتبعنا لمصادر الادب وخاصة عند ابن النديم في الفهرست، وسوف نلاحظ أن كتاب ابن سلام يرد عند ابن النديم على أنه كتابان. ولكننا لا نستطيع أن نقبله الا على أنه كتاب واحد، فهكذا عرف في القديم والحديث. وهو يجمع بين دفتيه شعراء من العصرين الجاهلي والاسلامي.

وتفسير ما يظهر لنا من أن كتاب ابن سلام هو كتابان عند ابن النديم، هو أن معظم كتب الادب العربي الاولى لم تجد من يحكم شكلها في اول الامر، فكثيرة هي الكتب التي نعدها كتابا واحدا، وترد في فهرست ابن النديم على شكل جزأين، كما هي الحال بالنسبة لكتاب ابن سلام، ونجد ان هذه الاجزاء تنسب أحيانا الى الرواة المتأخرين، كما حدث مع ابي خليفة راوية ابن سلام الذي ينسب له كتاب طبقات الشعراء الجاهليين كمؤلف له مستقل (١). وكتاب ابن قتيبة هو كتاب طبقات، ويؤيد ذلك أن منهجه في تصنيف الشعراء مماثل لمنهج ابن المعتز، الذي حمل مؤلفه عنوان " طبقات الشعراء " فما الذي يمنع أن يكون كتاب ابن قتيبة كتاب طبقات، خاصة وأنه ورد في ثلاثة من المصادر القديمة الموثوقة تحت عنوان " طبقات الشعراء " (٢)؟ ومن أبرز الكتب التي حملت عنوان " طبقات الشعراء " في المصادر القديمة :

١. كتاب (المذهب) في أخبار الشعراء وطبقاتهم لمحمد بن حبيب (ت. ٢٥٠هـ) (٣)
٢. كتاب طبقات الشعراء الجاهليين لمحمد بن سلام (ت٢٣١هـ) (٤)
٣. كتاب طبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد بن سلام (ت٢٣١هـ) (٥)
٤. كتاب طبقات الشعراء لأبي حسان الزيادي (ت٢٤٣هـ) (٦)
٥. كتاب طبقات الشعراء لدعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ) (٧)

---

(١) ابن النديم : ص ١٢٦ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ؟، ص ٢٤٦ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ١، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص ١٦٩ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م٢، مكتبة المثنى، بغداد، ؟، ص ١١٠٢ .
(٣) ابن النديم : ١١٩، وفي الوافي بالوفيات " المهذب في اخبار الشعراء وطبقاتهم " .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٢٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٢٦ .
(٦) المصدر نفسه : ص ١٢٣ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. كتاب طبقات الشعراء لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).(١)
٧. كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (ت٢٩٦هـ).(٢)
٨. كتاب طبقات الشعراء الجاهليين لابي خليفة الفضل (ت٣٠٥هـ). (٣)
٩. كتاب طبقات الشعراء لابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدى (ت٣١٠هـ). (٤)
١٠. كتاب طبقات الشعراء بالاندلس لعثمان بن ربيعة الاندلسي (ت٣١٠هـ). (٥)
١١. كتاب طبقات الشعراء لابي المنعم. (٦)

ان مما يرتاح له الباحث أن هذه الكتب الثلاثة التي وصلتنا ليست هي الوحيدة التي اهتمت بقضية طبقات الشعراء ، فكما قلنا ان كون هذه الكتب حملت هذا العنوان لا يجعلها تنفرد بالموضوع ، وهناك كتب اهتمت بطبقات الشعراء وكان لها مناهجها المختلفة ، فأقدم من كتاب ابن سلام كتاب " فحولة الشعراء " للاصمعي (ت ٢١٦هـ) الذى بحث في هذا الموضوع ولكن بغير هذا الثوب الذى أصبحنا نعهده عند ابن سلام وابن قتيبة وابن المعتز ، فقد نظر الاصمعي في هذه القضية من خلال موقف " ثابت " (٧) فاعتبر الشعراء طبقتين ، طبقة الفحول ، وطبقة غير الفحول ، ثم جاء بعده ابن سلام واستفاد من نظراته النقدية كثيرا ، ثم انه هذا حذوه في تخير طبقة الفحول من الشعراء فقط يقول : " فاقتصرنا من الفحول المشهورين على اربعين شاعرا" (٨) ، ولهذا فان عنوان كتاب ابن سلام كما عدله أخيرا الاستاذ محمود شاكر هو " طبقات فحول الشعراء" (٩) .

---

(١) ابن خلكان : ص٢٤٦ ؛ ابن العماد الحنبلي : ص١٦٩ ؛ حاجي خليفة : ص١١٠٢.
(٢) ابن النديم : ص١٣٠ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٢٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٥٦ .
(٥) حاجي خليفة : ١٠٣/٢ .
(٦) ابن النديم : ص ١٢٢ . (لم أتبين تاريخ وفاته) .
(٧) د. احسان عباس : ص ١٥ .
(٨) ابن سلام : ص ٢٤ .
(٩) لقد وجدت تسمية الاستاذ محمود شاكر الجديدة لكتاب ابن سلام معارضين من أساتذة الادب العربي والباحثين ، كالاستاذ السيد صقر والدكتور مصطفى مندور والدكتور منير سلطان والدكتور على جواد الطاهر وآخرين من الذين وقفوا في وجه هذه التسمية الجديدة مفندين الحجج التي اتكأ عليها الاستاذ محمود شاكر ، واننا نذهب مع مجمل ما ذهب اليه هؤلاء الباحثون من تأكيد لبطلان التسمية الجديدة ، وذلك أن الكتاب عرف في أكثر المصادر بعنوان " طبقات الشعراء " ومن بين هذه المصادر :

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الكتب التي تبحث في الشعراء على أساس الانتقاء أيضا كتاب " الورقة " لمحمد بن الجراح والكتاب متميز من حيث منهجه في انتقاء طبقات من الشعراء المغمورين او الذين قالوا الشعر ولم يعدوا من الشعراء ، فمنهجه كما نرى مخالف لمناهج كتب الطبقات السابقة .

= ابن النديم : ص ١٢٦ ؛ ياقوت : معجم الادباء ، ج ١٨ ، دار المشرق ، بيروت ، ؟ ، ص ٢٠٤ ؛ السيوطي : المزهر ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ، ج ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ؟ ، ص ٤٠٥ .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان لفظة " فحول " التي وردت عند ابن سلام " فاقتصرنا من الفحول . . . " وعند ابي الفرج في موضعين حين قال في ترجمة المخبل السعدي : " وذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء " ابوالفرج : الاغاني ، م ١٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ١٩٠ ، وفي الموضع الثاني عند ترجمته لعبيد بن الابرص ، حين قال : " وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية " . ابوالفرج : م ٢٣ ، ص ٤٠٤ . أقول ان ورود هذه اللفظة في هذه المواضع لا يدعم العنوان الجديد بشيء ، فورود هذه اللفظة كما يقول الدكتور مصطفى مندور هو من قبيل توضيح لنوع الاختيار او تقدير لمن وقع عليهم اختيار ابن سلام ، ويضيف ان ابن سلام أتى بشعراء ضمن طبقاته لا يصلون الى مستوى الدرجة الثالثة التي أطلق ناقد كالجاحظ على من يحلون فيها لقب الشويعر أو الشعرور . انظر ذلك في : مجلة تراث الانسانية ، م ١ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص ٦٥٤ . وقول الاستاذ شاكر ان عنوان " طبقات الشعراء " ثوب فضفاض لا يستوعب كل الشعراء في ذلك الوقت يصدق كذلك على العنوان الجديد كما يقول الاستاذ السيد صقر ، ويضيف أنه ليس بالضرورة ان تطابق عناوين الكتب محتوياتها ويستشهد بكتاب مثل كتاب المبرد " الكامل " ويتساءل ، هل يطابق عنوانه مضمونه ؟ أنظر ذلك في مجلة الكتاب : م ١٢ ، عدد ٣ ، جمادى الآخرة ، ١٣٧٢ ، مارس ١٩٥٣ ، ص ٣٨١ .

أما الحجة الثالثة والأخيرة التي يتسلح بها الاستاذ شاكر ، وهي في حقيقة الامر عليه وليست له ، وذلك أنه يقول : انه كان يملك نسخة عتيقة من الطبقات تحمل عنوان " طبقات فحول الشعراء " ولكنه يتساءل بعد غياب هذه النسخة عنه ما يقرب من خمسين عاما ، هل وجدت لفظة " فحول " في الأم العتيقة التي كان يملكها أم انه نقلها كما هي ، أو انه أضافها من عنده ؟

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك نمط آخر من كتب الطبقات ، كان الاساس فيه اختيار نماذج رفيعة من القصائد لمشاهير من الشعراء في الغالب ، أو للمغمورين منهم أحيانا ، كما هي الحال عند ابي تمام في حماسته . ومن ابرز هذه المجموعة من الكتب : كتاب أبي زيد القرشي " جمهرة أشعار العرب " ، الذي انتقى سبع طبقات من القصائد المتميزة لسبع طبقات من الشعراء المتميزين ، غير أن صاحب هذا المؤلف مجهول السيرة ، مختلف في زمانه ، وحتى نستطيع دراسة هذا الكتاب ضمن هذه الفترة فلا بدّ لنا من التيقّن من العصر الذي عاش فيه ، والرأي الارجح والاقرب الى الدقة يذهب الى ان أبا زيد من رجال القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، ولقد ذهب كثير من العلماء الى تأكيد هذا الرأي . (١)

= فهو كما نلاحظ يتساءل تساؤل المتشكك ، ولكنه يذهب الى ترجيح الرأي الاول بدعوى أنه كان حديث السن ليس له من العلم ما يعينه على التغيير أو التبديل . وقد أكد صحة ما أذهب اليه الدكتور منير سلطان حين ذهب الى ان عدم النظر الصحيح مع صغر السن وبداية الطلب قد أبعد دقة البحث عن قلم الاستاذ شاكر فزاد لفظة فحول على نسخته الخطية . انظر د . منير سلطان : ابن سلام وطبقات الشعراء ص١٥٣ ، وللاستزادة في هذا الموضوع عند محمود شاكر . انظر مقدمته في تحقيق طبقات ابن سلام ، ص ٢١ — ٢٧ .

(١) ان تحديد الفترة التي عاش فيها ابو زيد قضية شائكة تباينت فيها الآراء ، فالذين ذهبوا الى انه من رجال القرن الثاني اعتمدوا على آراء ظنية يعوزها الدليل الشافي ، ومن هؤلاء الباحثين الذين ذهبوا الى هذا الرأي : اسماعيل البغدادي في كتابيه : ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، م١ ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، ١٩٤٥ ، ص ٣٦٨ ؛ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، م٢ ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، ١٩٥٥ ، ص ٨ . ومن ذهب الى هذا مصطفى صادق الرافعي . انظر : تاريخ آداب العرب ، ط١ ، ج٣ ، مطبعة الاستقامة ، ؟ ، ١٩٤٠ ، ص ١٨٨ ، ٣٦٤ . وكذلك سليمان البستاني . انظر : اليادة هوميروس ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٠٤ ، المقدمة ، ص ١٧٢ . والى هذا ذهب يوسف سركيس في معجمه أنظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بمصر ، ؟ ، ١٩٢٨ ، ص ٣١٣ . وتبع هؤلاء احمد امين في الظن حين قال : " قالوا انه مات سنة ١٧٠ " أنظر : ضحى الاسلام ، ط٦ ، ج٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٧٦ . ويذهب الدكتور =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= عبدالعزيز عتيق الى انه من رجال القرن الثاني معتمدا على الدليل ذاته الذى اعتمد عليه بعض اصحاب هذا الرأى ،وهو ان ابا زيد يورد روايات سمعها من المفضل الضبي المتوفى في حدود سنة ١٧٠هـ. أنظر: تاريخ النقد الادبي ،ط٢ ،دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٧٢ ،ص ٢٩٣. وما يستدلون به بعيد كل البعد عن الصحة وذلك لأن المفضل الذى روى عنه ابو زيد ليس المفضل الضبي ،وانما هو المفضل المجبرى. انظر: بروكلمان تاريخ الادب العربي / القسم الجاهلي ،ج١ ،ص ٧٥، ٧٦ الهامش؛ ناصر الدين الاسد ،مصادر الشعر الجاهلي ،ط٢ ،دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٢ ،ص ٥٨٥ ؛ د. محمد الهاشمي ، مقدمة جمهرة أشعار العرب، ص ٢٧.

أما ما ورد من خطأ مرتين تقريبا من أنه المفضل الضبي فمرده الى النساخ المتأخرين الذين خلطوا بين المفضلين. انظر: د. أمجد الطرابلسي ، حركة التأليف عند العرب ،ص ١٠٩ . وعلى ذلك فان الرأى الاقرب الى الدقة والتثبت هو الذى يجعل حياته في القرن الثالث الهجرى والعقد الاول من القرن الرابع الهجرى ،وهذا الذى توصل اليه كل من بروكلمان والدكتور الاسد والدكتور الهاشمي من خلال دراسة الاسانيد ،وأيدهم في ذلك الدكتور عزالدين اسماعيل. انظر: المصادر الادبية واللغوية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٨١. ولقد اعتمد كل من بروكلمان والدكتور الاسد والدكتور الهاشمي اضافة الى هذا الدليل على دليل آخر وهو أن اقدم من ذكر ابا زيد هو ابن رشيق القيرواني "ت ٤٦٥ أو ٤٦٣هـ". انظر: العمدة ،ص ٩٦.

ومن الباحثين الذين ذهبوا الى ان ابا زيد من رجال القرن الثالث جرجي زيدان ولكن من غير اعتماد على هذه الادلة.أنظر: تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٢٥ — ١٢٦ ،وكذلك الدكتور امجد الطرابلسي الذى سبق وأن أشرنا الى انه أيد قضية الخلط بين المفضل الضبي والمجبرى بل انه يرى أن هذا النمط من التأليف المتأنق عند ابي زيد والاعتماد على الاسانيد لا بدّ وأن يكون من نتاج القرن الثالث الهجرى. انظر: حركة التأليف عند العرب، ص ١٠٩، ١١٢. وقد أيد الدكتور عمر الدقاق ما ذهب اليه الدكتور الطرابلسي. أنظر: مصادر التراث العربي ،المكتبة العربية، حلب ، ؟ ، ص ٤٣. ومن الذين اعتبروه من رجال القرن الثالث الدكتور شوقي ضيف انظر: تاريخ الادب العربي ،العصر الجاهلي ،ص ١٧٨. ومن خالف هؤلاء جميعا فؤاد افرام البستاني الذى عده اعتمادا على الظن من رجال القرن الرابع. انظر: دائرة المعارف ،م٤، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

= ١٩٦٢ ،ص ٢٣١ . كما أن الدكتور مصطفى جواد يرى أنه من رجال القرن الخامس اعتمادا على ما لاحظه في الجمهرة من اشارة الى كتاب الصحاح للجوهرى المتوفى سنة ٣٩٨ . أنظر: مصطفى جواد ، مجلة المجمع العراقي ، م ٧ ، ١٩٦٠ ،ص ١٧٩ ، ١٨٠ . الا أن هذه الاشارة لم تكن في متن الكتاب وانما في حاشيته ،وقد رأى بروكلمان انه لا يجوز الاعتماد على هذه الاشارة لأنها من زيادات النساخ في الحاشية انظر: تاريخ الادب العربي ، ج١ ،ص ٧٥ ، ٧٦ ، الهامش . كما أن الدكتور جواد يعتمد على الاشارات الاخرى التي تعتمد على الاستنتاج الخاص وقد ردها الدكتور محمد الهاشمي بحجج مقبولة . أنظر مقدمة الجمهرة ،ص ١٨ — ٢٠ .

ومن هنا فان كتاب " جمهرة اشعار العرب " يقع ضمن هذه الفترة التي يختص بها هذا البحث وسوف يكون مصدرا غنيا من مصادره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهـــوم الطبقات عند نقاد الادب :

ان مفهوم الطبقات يتضح لنا من خلال المنهج الذى سار عليه مؤلفو كتـــب الطبقات ، ونحن نستطيع أن نميز بين اتجاهين رئيسيين في بناء الطبقات ، يتضح الاتجاه الاول عند ابن سلام الذى سلك في تصنيف شعرائه منهج الطبقـــات الرأسية المغلقة ، وهو ينفرد في اتجاهه هذا عن غيره ، ولا نلمس لهذا المنهـــج أثراً الا عند ابي زيد القرشي في جمهرته ، بينما نجد غيره من المؤلفيـــــن كابن قتيبة وابن المعتز قد ألفوا وفق منهاج الطبقات الافقية المفتوحـــة .

ان ما يميز بين هذين الاتجاهين ، ان الاتجاه الاول أضيق وأكثر حـــدة ، بينما نجد الاتجاه الثاني أكثر مرونة ويسرا . وفي الطبقات الافقية المفتوحـــــة مساواة محققة بين كل طبقة وأخرى من حيث القيمة والمنزلة ، لأن كل طبقـــــة استقلت بموضوع خاص بها ووصلت فيه الى الدرجة التي وصلت اليها مثيلاتهـــــا من الشهرة والمنزلة ، ولذلك فان الاختلاف هنا ليس في القيمة كما هي الحـــال في الطبقات الرأسية المغلقة ، بل هو في الموضوع ، والمرونة تأتي من حيث امكانيـــة انتماء الشاعر الى أكثر من طبقة وعدم تحديد الشعراء داخل الطبقة الواحـــدة ، واضافة الى ذلك فاننا نجد أن الاساس في الطبقات المفتوحة هم الشعراء ، وليـــس كما هي الحال في الطبقات المغلقة ، اذ أن الطبقة هي التي تشغل الناقـــــد وتفرض عليه الوضع الذى يجب ان تكون عليـــــه .

ان المعنى الذى يذهب اليه مفهوم الطبقة عند نقاد الادب ، لم يعد كمـــا كان عند علماء الحديث ، الذين كانوا يهدفون من تصنيف الرجال في طبقـــات الى معرفة ازمانهم وأجيالهم حتى يستطيعوا بعد ذلك دراسة الاسانيد ونقدهـــا بعناية ودقة ، الا أن مفهوم الجيل استبدل به المفهوم القيمي عند نقـــاد الادب اذ ان غرضهم أصبح يهدف تقدير منازل الشعراء ومراتبهم (١) . والحقيقـــة أنه عندما تكون الطبقة بمعنى " الجيل " فان المفاضلة تنتفي بين الطبقات ، لأنـــه لا يعود يجمع بين اصحاب الطبقة الواحدة غير مقياس الزمن . وعلى الرغم من ذلـــك فان مفهوم الطبقة بمعنى " الجيل " بقيت له آثاره ولكن من غير ان تخل بالمعـــنى القيمي ، فابن سلام نظر الى الشعراء من خلال عصورهم ، ولذلك وجدنا عنـــــده قسما للشعراء الجاهليين ، وآخر للاسلاميين ، ووزع المخضرمين على القسمين .
ونلاحظ كذلك ان ابن قتيبة اتبع الترتيب ذاته ، لكنه ترجم أولا لشعراء الجاهليـــة والمخضرمين ثم لعدد من شعراء العصر الاموى ، ثم لشعراء عصر بني العبـــاس

---

(١) انظر د . امجد الطرابلسي : ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا أنه لم يكن دقيقا في ذلك ، فنراه يترجم لشاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام قبل شاعر جاهلي لم يدرك الاسلام ، وتفسير ذلك انه لم يراع في ذلك الترتيب الزمني الفردى دائما ، وانما الترتيب الزمني للمجموع. (١)

والى المعنى القيمي ذهب معظم من ألفوا في طبقات الشعراء. غير أن الاستاذ محمود شاكر يرى ان ابن سلام لم يعن بالطبقة المعنى القيمي ، وانما يعني المنهج أو المذهب الذى يسير عليه الشاعر (٢). والواقع أن ابن سلام لم يرد هذا المعنى ، وانما اراد المعنى القيمي والادلة وفيرة وكثيرة، وهي من اقوال ابن سلام نفسه ، ففي حديثه عن شعراء الطبقة الرابعة الجاهليين يقول : "وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الاوائل وانما أخلّ بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة" (٣). وعلى هذا فالذى أخرّ هؤلاء الشعراء الى المرتبة الرابعة انهم كانوا شعراء مقلين ، وليس مناهجهم. وهو يقول في موضع آخر : "ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر وان لم يكن لهما فوهن فليس موضعهما من الشهرة والتقدمة" (٤). وان كلمة التقدمة وحدها لدليل على المعنى القيمي ، وهو يصرح بأن الذى قدم عبيدا وطرفة الى المنزلة الرابعة لأنه يظن ان لهما قصائد أخرى غير التي صحت لهما (٥). وفي موضع آخر يقول ابن سلام في حديثه عن شعراء الطبقة السابعة : " أربعة رهط محكمون مقلون ، وفي أشعارهم قلة ، فذاك الذى أخرهم" (٦). وفي هذا زيادة في التوكيد والايضاح للمعنى القيمي ودفع للمعنى "المنهج" الذى ذهب اليه الاستاذ محمود شاكر.

اننا من خلال تعرفنا على هذا المفهوم الذى انطلق منه من ألفوا في طبقات الشعراء نستطيع أن نتعرف على المنهج الذى اختطه كل منهج في تأليف طبقاته .

---

(١) انظر د. عبد الحميد الجندى : ابن قتيبة العالم الناقد الاديب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، ؟ ، ؟ ، ص ٢٩٧.
(٢) أنظر ابن سلام : مقدمة المحقق ، ص ٦٨ .
(٣) ابن سلام : ص ١٣٧ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٦ .
(٥) انظر زياد كامل : مجلة "الموقف الادبي" السورية ، عدد (١٤١-١٤٢-١٤٣) ، شباط - آذار ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨١.
(٦) ابن سلام : ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناهج أصحاب الطبقات :

ان فكرة الطبقات في ظل أى منهج هي اختيار محض ، سواء أكان هذا اختيارا لمشاهير الشعراء ، أم اختيارا لأشهر القصائد ، أو في بعض الاحوال اختيارا للمغمورين من الشعراء ، كما هي الحال عند ابن المعتز ، وابن الجراح ، وأبي تمام في حماسته .

ان ما يكمن وراء الاختيار في الغالب هو كثرة المادة الادبية ، أو كثرة الشعراء ، وتفوق بعضهم في مجالات القول المختلفة . ولذلك فان الهدف من التصنيف انما يكون لتمييز الجيد من الردىء ، والمشهور من المغمور . ومن عبّر عن هذا ابن سلام : " فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر " (١) . ويقول ابن قتيبة : " وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل العرب " (٢) . ولقد كانت هذه الكثرة من الكم بحيث ان استقصاءها ليس مستطاعا . ولذلك فان الاختيار كان يقع على أكثرهم شهرة . يقول : " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقائلهم في الجاهلية والاسلام ، أكثر من ان يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف " (٣) . وقد روى ان ابا ضمضم الذى أسنّ قد أنشد لعائة شاعر اسم كل واحد منهم عمرو ، على الرغم من انه لم يكن أروى الناس . (٤)

ان كثرة هذه الاشعار هي التي دفعت النقاد الى الاختصار ، فابن المعتز يكرر قصده الى الايجاز في مواضع كثيرة من طبقاته : " فرأيت الاختصار لأشعارهم عين الصواب ، ولو اقتصيت (٥) جميع ما لهم من الاشعار لطال الكتاب " (٦) . ويقول أيضا : " وانما ذكرت فقرا وعيونا ، ومن اراد شعر القوم على الوجه فان دواوينهم موجودة ، ولا سيما هؤلاء المشهورين عند اكثر الناس " (٧) .

---

(١) ابن سلام : ص ٣ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٦ .
(٤) انظر المصدر نفسه : ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٥) هكذا ترد اللفظة عند ابن المعتز .
(٦) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢ ، ص ١٩ .
(٧) المصدر نفسه : ص ٤٧ ، ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذا الاختيار يعتمد على أسس ومقاييس محددة تختلف في الغالب من ناقد الى آخر، تماما كما هو حاصل بالنسبة للتصنيف ، ومن هنا تتعدد المناهج وتختلف الآراء ، فابن سلام كما أشرنا ارتأى لنفسه منهجا مميزا ابتدعه هو ، ومن هنا اتخذت فكرة الطبقات قالبها المتميز ، الا أن هذه الفكرة كانت موجودة قبل ابن سلام ، فلقد اوجدها اللغويون الاوائل ، فكان دور ابن سلام انه طور هذه الفكرة وأضفى عليها ثوبا جديدا . وعلينا ان ننظر في نظام الطبقات عند ابن سلام — نظام الطبقات الرأسية المغلقة — لنرى كيف تبلورت هذه الفكرة عنده ، وهل كانت ثوبا أتسع لهؤلاء الشعراء ، أم ثوبا ضيقا لم يتسع لهم .

تنبه ابن سلام قبل ان يخوض في انزال الشعراء منازلهم الى عدة قضايا نقدية لها أهميتها ، فهو لم يستطع أن يخطو خطوة واحدة في طبقاته قبل ان يبحث في قضية الشعر الموضوع والشعر المصنوع ، وتمييز الرواة الموثقين من الرواة الوضاعين . كما عرض لقضية الانتحال وفصل في أسبابها ودوافعها . ثم بعد أن فرغ من هذه القضية أحس بأهمية استقلالية النقد والناقد من كل تأثير ، حتى تكون أحكامه خالصة وموضوعية ، ثم تحدث في قضايا كثيرة سنفصل فيها القول ، من مثل نشأة الشعر عند العرب وتحول الشعر بين القبائل وقضايا أخرى . وبعد ذلك انطلق ابن سلام ليحدد منهجه في اختيار الشعراء وتصنيفهم ، " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام ، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر منهم بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء " (١) . وابن سلام يجعل من ظهور الاسلام حدا فاصلا بين عصرين ، ولم يفرد للمخضرمين طبقة خاصة ، بل وزعهم على العصرين الجاهلي ، والاسلامي ، وذلك لأنهم لا يشكلون مرحلة متميزة ، فهم نسيج هذين العصرين . وهو باتباعه هذا المنهج التاريخي يراعي قضية اساسية ، وهي ان لكل عصر قضاياه التي تنعكس على شعرائه سلبا أو ايجابا ، وبالتالي فان اختلاف الظروف وتغير انماط الحياة تترك كثيرا من الآثار والفروقات بين الشعراء في كل وقت . فهو أمام عصرين بكل ما فيهما من مظاهر الاتفاق والاختلاف .

ان ابن سلام ينتقي هؤلاء الشعراء بعناية فائقة ، معتمدا على حجج العلماء الثقات فيهم ، وهو حينما وجد الشعراء كثيرين فقد اختار الفحول منهم ، ولما كان الفحول ايضا لا يستقصون فانه اختار فحول الفحول منهم . " فاقتصرنا من

---

(١) ابن سلام : ص ٢٣ ، ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفحول المشهورين على اربعين شاعراً (١)، وهؤلاء الاربعون هم فحول العصر الجاهلي عنده . ولقد أضاف اليهم أربعين آخرين من شعراء العصر الاسلامي ، وفق المنهج ذاته ،وقد حدد شعراء كل طبقة بأربعة شعراء لا يزيدون ولا ينقصون ، " فوجدناهم عشر طبقات ،اربعة رهط كل طبقة ،متكافئين معتدلين".(٢) فنظامه هذا عشري رباعي طبقي ،ونلاحظ من قوله هذا ان شعراء كل طبقة عند ابن سلام متساوون من حيث القيمة والمنزلة الشعرية ،وهذا هو الاساس الذي ارتآه حين جمع بين شعراء كل طبقة . " فألفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه" (٣) والتشابه هنا هو تشابه في المنزلة الشعرية من حيث القدرة والتفوق ، غير ان هذا التشابه يشمل معاني أخرى في بعض الاحيان غير المقدرة والتفوق ،فنجد أن التشابه سيكون احيانا في الموضوع الشعري ،وأحيانا اخرى من حيث البيئة، أو من حيث الدين .

ان مما لايؤخذ على ابن سلام أنه اضطر الى خرق نظامه هذا في أحيان كثيرة ،فهو يضع شاعرا مثل " الراعي " في الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين، الى جانب جرير ،والفرزدق ، والاخطل ،ومعلوم أن " الراعي " لا يداني هؤلاء الثلاثة في المنزلة ،ومن هنا وجد ابن سلام نفسه مضطرا الى اقحام الراعي معهم ،وذلك لأن طبيعة العدد الرباعي تحتم عليه ذلك ، وهو قد فطن الى هذه القضية ،فقال :" فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره. وعامة الاختلاف ،أو كله ،في الثلاثة . ومن خالف في الراعي قليل، كأنه آخرهم عند العامة "(٤).

ولكن لا بدّ من سبب دفع ابن سلام الى اقحام الراعي هنا ،ألا وهو أنه كان شاعرا هجاء ،بذيء اللسان ، فاشترك مع الثلاثة في الموضوع ،ولهذا فان الموضوع وحده هو الذي أدناه منهم لا القدر ولا المنزلة الشعرية ،كما أن الموضوع الشعري يتدخل كثيرا للجمع بين شعراء الطبقة الواحدة ، مثلما حصل في طبقات الشعراء الاسلاميين ،اذ نجد أن ما يجمع بين شعراء الطبقة السادسة هو موضوع النسيب ،وفي الطبقة التاسعة بحر الرجز. ان ابن سلام تحت ضغط هذا المنهج الحاد الذي الزم نفسه به وقع في مزالق كثيرة كان بمكنته أن يتجنبها لو أنه لم يضيق على نفسه هذا التضييق ،فهو لم يكتف باقحام الراعي على الطبقة

---

(١) ابن سلام : ص ٢٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٤ ، ٢٩٧ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٢٤ .
(٤) المصدر نفسه : ص٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاولى الاسلامية ، بل انه اضطر بحكم القسمة الرباعية الى تأخير شاعر مثل أوس بن حجر من الطبقة الاولى الى الطبقة الثانية ، وهو يعتذر عن ذلك بقوله : " وأوس نظير الاربعة المتقدمين ، الا أنا اقتصرنا في الطبقات على اربعة رهط " (١) .

ان ابن سلام ينص على أنه لا مفاضلة بين شعراء الطبقة الواحدة ، وأن طبيعة التقسيم هي التي تجعل واحدا قبل الآخر ، " وليس تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له ، ولا بدّ من مبتدأ " (٢) . ولكننا لا نستطيع التسلم بهذا لأن هنالك ما يدل على تقديمه لشاعر أو تأخيره لآخر عن قصد ، فهو قدّم امرأ القيس منحازا لمدرسة البصرة التي تقدمه ، بينما نجد أن مدرسة الكوفة تقدم الاعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة . (٣) كما ان ابن سلام أخر الراعي في الطبقة الاولى من الاسلاميين بحكم انه لا خلاف في تأخيره في طبقته بين العامة ، ونحن من هذا نحس ان المفاضلة موجودة بين الشعراء داخل الطبقة الواحدة مع احتفاظ الطبقة بكليتها بما يميزها عن غيرها ، فهو حين يرتب شعراء الطبقة الواحدة اما ان يكون متأثرا بحجج وآراء غيره من العلماء ، أو انه يعتمد على ذوقه الخاص او عصبيته حين ابتدأ بامرىء القيس في الطبقة الاولى ، وفي هذا تناقض واضح مع القاعدة التي أقرها . ومن المآخذ الاخرى عليه ، أنه يخلط بين الشعراء الذين ادركوا الاسلام ولمن لم يدركوه ، فهو يضع بشامة ابن الغدير الشاعر الجاهلي ، وهو خال زهير بن ابي سلمى وأستاذه (٤) مع الشعراء الاسلاميين وهو لم يدرك الاسلام ، كما أنه يؤخر الشاعر قراد بن حنش الى الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين مع أنه ، كما يقول ابن سلام ، شاعر جيد ، وكانت شعراء غطفان ومنهم زهير بن ابي سلمى يغيرون على شعره وينسبونه لأنفسهم (٥) . وابن سلام متعصب للقديم بصورة مطلقة ، فهو يهمل شعراء زمانه ومنهم من كانت شهرته تملأ الدنيا كعمر بن ابي ربيعة أو الطرماح على سبيل المثال .

ان ابن سلام في تقديمه وتأخيره للشعراء لا يظهرنا كثيرا على الاسس التي اتبعها في تصنيفه للشعراء ، فهو أحيانا يلتزم بها ، وأخرى يشذ عنها ، وهو يطلعنا أحيانا على الدوافع التي جعلته يضع بعض الشعراء في طبقتهم ، وأحيانا يغفل ذلك . ولو حاولنا ان نفهم لماذا وضع شاعرا مثل لبيد في الطبقة

---

(١) ابن سلام : ص ٩٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٥٠ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٥٢ .
(٤) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ٢٢٣ .
(٥) ابن سلام : ص ٧٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالثة ، لما عرفنا السبب ، ولو حاولنا أن نعرف لماذا صنف عنترة العبسي ، وعمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وسويد بن أبي كاهل ، في الطبقة السادسة ، في حين وضع في الخامسة شعراء أدنى مستوى منهم لما اهتدينا الى سبب .

انّ مردّ هذا الخلط والاضطراب الذي وقع فيه ابن سلام انه ضيق على نفسه كثيرا ، وان قسمته الرباعية المتزمتة لم تتوافق مع الخصائص الفنية والكفاءة الشاعرية ، (١) " وليس من الممكن بحال ان نعرف من الفروق بين الشعراء ما يمهد لنا أن نوزعهم على طبقات عشر . والخصائص الفنية رقيقة متموجة لا تطيع الباحث الى مثل هذا المدى " (٢) . ثمّ ان ابن سلام لا يتدخل في ابداء رأي او قول في الشعراء المرموقين الذين شهد لهم معظم الناس ، وانما نجده يطلق آراءه الخاصة في الشعراء العاديين ، او الذين لم يتفق عليهم . بل نجده يبين في بعض الاحيان الاسس التي صنفوا من خلالها .

ان ما يشهد على فشل نظام ابن سلام في تأدية أغراضه ، انه حين أحس أن هذه الطبقات بدأت تتفسخ بين يديه ، أضطر الى استخدام الطبقات الافقية المفتوحة ، التي لا تحديد لعدد الشعراء داخلها ، وذلك حين أتى بطبقة لشعراء الرثاء ، وأخرى لشعراء القرى ، وأخرى للشعراء اليهود . وهذا ما كان عليه ان يفعله من قبل .

ان نظام ابن سلام هذا كان من الممكن ان يؤدي اهدافه المرجوة منه لو أنه اعتمد الدراسة التحليلية وتبيان الاسس المشتركة والسمات الغالبة ، وبغير هذا فانه سيبقى قوالب جامدة . (٣) ومن هنا فان من جاء من النقاد بعد ابن سلام تحاشوا استخدام هذا النظام ، وعدلوا عنه الى نظام أسهل وأكثر مرونة ، وهو نظام الطبقات الافقية المفتوحة .

ان ابن سلام حين أتى بهذه الفكرة كان متأثرا بعلماء الحديث كما أشرنا ، سيما وأنه كان راوية للادب والحديث ، لكنّ شتّان ما بين ميدان الادب والميدان الديني ، فهذه الفكرة تصلح في الميدان الديني بسبب وحدة الموضوع ، فالموضوع عند علماء الحديث هو أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي محدودة وثابتة ، غير أن الوضع مختلف عنه في الميدان الادبي لتفاوت آراء النقاد وتعدد أهوائهم وتباين الموضوعات .

---

(١) انظر طه ابراهيم : ص ٨٧ .
(٢) المرجع نفسه : ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٣) د . احسان عباس : ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا فان طبقات ابن سلام لم تعش بثوبها هذا أكثر مما عاشت عنده ، ولذلك فانه أول من عدل عنها ، ولعل من جاءوا بعده لم يتأثروا بها ، حين وجدوه يعزف عنها لما فيها من ضيق وحدّة . ومن هنا وجدنا التأليف في طبقات الشعراء يتخذ ذلك المنهج الافقي المفتوح ، كما سنرى عند ابن قتيبة وابن المعتز وغيرهما .

وكما كانت مقدمة ابن سلام ثرّة غنية ، فان مقدمة ابن قتيبة لا تقل عنها في ذلك ، بل انها تكتسب أهمية متميزة من خلال القضايا الجديدة والجريئة التي تناولها في مقدمته ، فهو قبل أن يخوض في ترتيب شعرائه وجد أن من المناسب أن يمهد لذلك ببعض القضايا النقدية من مثل فتحه باب قضية القديم والمحدث وتنصيب نفسه قاضيا فيها ، كما كان قاضيا في شؤون الدنيا ، وهو قد ميّز بين نوعين من الشعراء ، الشاعر المتخصص والشاعر الهاوى ، ثم تكلم في أقسام الشعر وطبقاته ، وتحدث عن الاسس التي يختار الشعر ضمنها ، ثم تحدث عن منهج القصيدة العربية وضرورة التنسيق بين اجزائها . واذا كان ابن سلام قد طرق قضية الشعر المصنوع ، فان ابن قتيبة تناول قضية الشعر المصنوع والمطبوع ، وتحدث عن شعراء هذين الاتجاهين ، ثم ساقه ذلك الى الحديث عن بواعث الشعر وأوقاته . وبعد ان فرغ من هذه القضايا ، انطلق ليرتب شعراءه في طبقات ويترجم لهم .

ومع ذلك لا نكاد نعثر على أساس محدد اتكأ عليه ابن قتيبة في تقديمه وتأخيره للشعراء ، فهو لم يأت بمعايير وأسس للمفاضلة بين الشعراء كالتي عند ابن سلام ، فلا نجد عنده غير مقياس الشهرة الذى اعتمده الآخرون من قبله ، فهو قد أهمل المقاييس التي نجدها عند ابن سلام ، من مثل الزمان والمكان أو الكم وتعدد الاغراض عند الشاعر ، وغير ذلك . ولذلك فان منهجه في التقديم والتأخير غير واضح ، وما يستشف عنده من مقاييس قليلة كالاشتراك في فن من فنون القول ، ويبدو هذا واضحا في تصنيفه للشعراء الرجاز في طبقة خاصة بهم ، أو حين خصّ شعراء قبيلة هذيل (١) بطبقة منفصلة ، وكذلك حين وضع الشعراء الهجائيين في طبقة . كما أنه يجمع الشعراء المجّان في طبقة ، والامثلة على هذا كثيرة ، والطبقة عنده تعني أن يحشد شعراء كل اتجاه ، ويترجم لهم بالترتيب ، غير أنه لا يلتزم هذا النهج التزاما كاملا ، فنجده احيانا يخرج عليه ، الّا أننا نستطيع أن نعتبر هذا الخط هو الخط العام عند ابن قتيبة . وان ما يجعل ابن قتيبة يخرج على هذا النهج ، في بعض الاحوال ، انه متأثر برابطة القرنية ، فالقرين

---

(١) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر بقرينه ،فالابن يتبع الاب ،كما هو الحال بالنسبة لزهير وابنه كعب ، ثم نجد الاخ يتبع أخاه ،كما هو بالنسبة للمرقش الاكبر وأخيه المرقش الاصغر . وقد تكون الصداقة بين شاعر وآخر هي السبب في ادراجه بعده .

وقد يزج ابن قتيبة أحيانا شعراء في طبقات لا يعتون لمن فيها بصلة ،وقد يكون ابن قتيبة محكوما بالسبب الذى ذكرناه ،أو بأسباب أخرى كالمنهج التاريخي الذى يلزم بالترجمة للشعراء ضمن عصورهم .

ان مما يؤخذ على ابن قتيبة أنه لم يكن مدققا محصا فيما ينقل ،وهو لم يتعرض للعوامل التي تؤثر في الشاعر ،من مثل البيئة والزمان ،وهو يناقض نفسه في بعض الاحيان فتراه مرة ينسب زهير بن ابي سلمى الى غطفان (١) ، ثم يعود فينسبه الى مزينة (٢) ،ثم هو ينسب قيس بن الملوح " مجنون ليلى " الى بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واتفق الرواة على أنه من بني عذرة ، القبيلة المشهورة بالحب العذرى (٣) . كما أنه يخفي أحيانا صفة حميدة امتاز بها شاعر ويثبت له ضدها ،حتى ولو كانت لصيقة به أيام الشباب ،وهكذا فعل مع أبي العتاهية الذى رمي في شبابه بالزندقة ،ثم تاب وأصبح مثالا للزهد والتقى . ومما يؤخذ عليه ايضا كذلك أنه ضمّ شاعرين ،الاول جاهلي ،وهو دريد بن الصمة ،والثاني مخضرم ،وهو العباس بن مرداس الى شعراء الفترة الاموية .

وكما أهمل ابن سلام بعض فحول الشعراء ،فان ابن قتيبة أهمل ايضا فحولا كأبي تمام ،والبحترى ،وابن الرومي . وهذه نقطة تسجل عليه لأنه حاد عما وعد به في المقدمة من اللحيدة والموضوعية . كما يعاب عليه أنه يأتي كثيرا على ذكر الخرافات والاساطير ،من مثل ذكره ان الشاعر عبيد بن الابرص عاش ما يزيد على ثلاثمائة سنة (٤) . وأن المستوغر بن ربيعة ،قد عاش ثلاثمائة وعشرين سنة (٥) . وكل هذه المآخذ لا توازى خروجه على المبدأ الذى وضعه في المقدمة ،حين قرر أنه لن ينظر في الشعر الاّ من حيث هو شعر ،غير أنه يخالف هذا المبدأ ،ويعود ليستحسن ما استحسنه الاولون من غير تدخل فيه ،وهذا واضح في اختياره لشعراء الطبقة الاولى على سبيل المثال ، فهو

---

(١) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ١٤٣ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ١٤٧ .
(٣) انظر د . عبد الحميد الجندى : ص ٣٠٣ .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٢٧٤ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٣٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتمد آراء العلماء من قبله كأبي عمرو بن العلاء ،والاصمعي . وكأنه كان يشعر بزلاته هذه ،فتحرس منها بقوله : " ولا أعلم أحدا من اهل العلم والادب الا وقد أسقط في علمه ،كالاصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وسيبويه والاخفش والكسائي والفراء وأبي عمرو الشيباني ، وكالائمة من قرّاء القرآن والائمة من المفسرين .

وقد أخذ الناس على الشعراء في الجاهلية والاسلام الخطأ في المعاني وفي الاعراب وهم أهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج ". (١) وهو يكثر من ترداد عبارات الثناء الانطباعية التي تبعث على الملل من مثل : ويستجاد له قوله . . ، أو ومن جيد شعره . . . أو وما يتمثل به من شعره . . ،الى غير هذه العبارات التي يفيض بها الكتاب .

أما ابن المعتز ،فانه يستخدم منهج " الطبقات الافقية المفتوحة " كما استخدمه ابن قتيبة ،مع وجود الاختلافات في الاطار العام ،وفي بعض القضايا النقدية ،وهو يصرح منذ البداية بميله الى المحدثين وشعرهم لقلة من تناولهم، ولأن الذوق صحّ القديم لكثرة ما تعاوروه وتداولوه ،" . . . وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ، فان هذا شيء قد كثرت رواية الناس له فملّوه ، وقد قيل : لكل جديد لذة . والذى يستعمل في زماننا انما هو اشعار المحدثين وأخبارهم" (٢) وهو يحشد في طبقاته الشعراء التابعين لخلفاء بني العباس ،من غير بيان لأى أساس في ترجمته للشعراء وترتيبهم ، فهو قد رتب الشعراء من غير قاعدة محددة ،أو منهج واضح ، الا انه احتذى حذو ابن قتيبة من حيث اتخاذ الموضوع أساسا لتصنيف الشعراء ،فابتدأ بالترجمة لشعراء المديح ، ومن اختص منهم بخلفاء بني العباس ووزرائهم وتابعيهم ، وهم الذين يشكلون القسم الاكبر من الكتاب ،ثم انتقل بعد ذلك الى شعراء المجون ،فالشعراء الموسوسين ،(٣) ثم يميز بين الشعراء على أساس الجنس ،فيفرد طبقة خاصة للنساء الشواعر، وهي الطبقة الاخيرة من كتابه .

اننا لا نلمح في ثنايا طبقاته ،الا ذوق ابن المعتز ،الناقد الانطباعي ، الذى يبث اعجابه أو استقباحه لبعض الشعر في كل مكان من هذا الكتاب، من غير مراعاة لأى أساس فني محدد ،وانما اعتمادا على ذوقه الخاص وذوق عصره ،

---

(١) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ،صححه وضبطه محمد زهرى النجار ، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٧٣ ،ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) ابن المعتز: ص ٨٦ .

(٣) انظر د .محمود زغلول سلام : ص ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو من غير شك ناقد موهوب ، مرهف الحس ، ثاقب النظر . ونجد عنده تلك العبارات الانطباعية التأثرية التي وجدناها من قبل عند ابن قتيبة ، ولكنها هنا أكثر انتشارا وليست ثقيلة أو مملة ، فهو قد تفنّن فيها ونوّع ، من مثل قوله : ومما أجاد فيه وأفرط . . . ، أو ، ومما يستحسن له . . . ، أو ، ومما يختار من مديحه . . . ، أو ، ومن قلائده وأمهات شعره . . . ، أو ، ومن بدائعه . . . ، الى آخر هذه العبارات .

جمع ابن المعتز في كتابه الشعراء المخضرمين من طبقة بشار ، ثم المحدثين من طبقة أبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري . وهو لا يستقصي في كتابه ، وانما ينتقي (١) كما صرح بذلك في مواضع كثيرة . وهو لا يتخذ من الشهرة السبب الوحيد في تقديمه للشعراء ، أو الترجمة لهم . بل اننا نجده يأتي بحشد من الشعراء المغمورين ، الذين لا صيت لهم ولا شهرة ، فهو يرمي الى جمع كل ما هو نادر وغير معروف ، سواء من الشعراء ، أم من القصائد ، سعيا وراء الجديد فلكل جديد لذة عنده كما قال . ولذلك نجد عنده من الشعراء ومن الاشعار ما لا نجده عند غيره ، فهو يريد لكتابه أن يكون نسيج وحده ، متميزا عن غيره ، غير مقيد بمن ألف قبله في هذا الفن .

وما أخذناه على ابن سلام وابن قتيبة من اهمال للشعراء ، نأخذه على ابن المعتز ، الذي ترجم لمعظم الشعراء العباسيين ، وأهمل شعراء أعلام كديك الجن ، وابن الرومي ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وآخرين ممن هم في عداد الشعراء المعروفين وذائعي الصيت ، يزيدون عن عشرين شاعرا ، أوردهم وزيره ابن الجراح في كتابه " الورقة " . (٢)

أما ابن الجراح ، فانه اتخذ أساسا متميزا انتقى الشعراء على هديه ، وهو أنه جمع ثلاثة وستين شاعرا في كتابه ، راعى ان يكونوا من مغموري عصره ، وهو بهذا يخالف ما اعتمده من قبله حين اتخذوا الشهرة هي الاساس في الانتقاء والتصنيف ، ولا نلمح عنده غير هذا الاساس في ترجمته للشعراء في كتابه .

أما ابو زيد القرشي فلقد انتهج في جمهرته نهجا تأثّر فيه بنظام ابن سلام الطبقي ، ولكنه لم يلتزمه بحرفيته وحدته . وأبو زيد يبحث في طبقات الشعراء عن طريق اختيار نماذج من قصائدهم ، وكنا قد وصلنا الى أن أبا زيد من

---

(١) أنظر محمد عبد المنعم خفاجي : ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان ، ط١ ، مكتبة الحسين التجارية ، ؟ ، ١٩٤٩ ، ص ٣٦٦ .

(٢) انظر ابن المعتز : مقدمة المحقق ، ص ١٠ ، ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رجال القرن الثالث ومطلع الرابع الهجريين ، وهو متأخر عن ابن سلام ، وليس سابقا له كما يرى الدكتور عبد العزيز عتيق (١) . مما جعله يحتذي حذوه في منهجه ، ولكن بطريقة أكثر مرونة ويسرا ، خاصة وأنه وسع من حدود طبقته ، وهو مهتم بالدرجة الاولى بانتقاء أرفع طبقات القصائد الشعرية ، وجعلها في سبعة أقسام ، في كل قسم سبع قصائد لسبعة شعراء ، واختياره لهذه القصائد متدرج مع طبقات الشعراء من العصر الجاهلي وحتى الاموي ، فالقسم الاول من القصائد مختص بشعراء الطبقة الاولى ، والثاني بشعراء الطبقة الثانية وهكذا . ولكن ابازيد ضيق على نفسه كما فعل ابن سلام حين اختار قصيدة واحدة لكل شاعر . ولقد أعطى ابوزيد لكل مجموعة من هذه القصائد اسما خاصا بها ، فالمجموعة الاولى ، هي طبقة أصحاب السموط " المعلقات السبع " ، والمجموعة الثانية طبقة أصحاب المجمهرات ، فطبقة أصحاب المنتقيات ، فطبقة أصحاب المذهبات ، فطبقة أصحاب المراثي ، فطبقة أصحاب المشوبات ، ثم أخيرا طبقة أصحاب الملحمات .

خصص ابوزيد طبقة لأصحاب المراثي ، مقلدا بذلك ابن سلام . وهو هنا متأثر في منهجه بالموضوع الشعري ، الذي فرض عليه مثل هذه الطبقة ، وهو بذلك يحدث اضطرابا ، لأن معظم طبقاته تتخذ من الكفاءة الفنية أساسا لها ، بينما في طبقة أصحاب المراثي الموضوع هو الاساس(٢) . أما هذا النظام السباعي عنده فهو نتيجة لوضعه مجموعة المعلقات السبع في البداية نتيجة لاستحواذها على اعجاب الناس وتقديرهم ، فوجد نفسه بعد ذلك بتأثير من قول شيخه المفضل ابن عبد الله : " وان بعدهن لسبعا ، ما هنّ بدونهن ، ولو كنت ملحقا بهنّ سبعا لألحقتهن ، ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأول ، فما قصروا ، وهنّ المجمهرات " (٣) . فمن هنا وجد نفسه مضطرا لالحاقهن بسبع أخر ، ثم لائمه هذا التقسيم السباعي فاستمر به الى ان اوصله الى سبعة أقسام . (٤) " وقد يكون للرقم " سبعة " تأثير عليه لكثرة استعمال العرب له في مواطن التكثير ، فالسموات سبع ، والارضون سبع ، وأبواب جهنم سبعة ، والمثاني سبع ، والسنابل التي ضرب الله بها المثل في مضاعفة ثواب المنافقين سبع ، وأشواط كل من الطواف والسعي بين الصفا والمروة سبعة . . . " (٥) .

---

(١) انظر د . عتيق : ص ٢٩٣ .
(٢) انظر د . عزالدين اسماعيل : ص ٨٦ .
(٣) ابوزيد القرشي : ١/٢١٩ .
(٤) انظر المصدر نفسه : مقدمة المحقق ، ص ٣٧ .
(٥) المصدر نفسه : مقدمة المحقق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من ذلك كله فاننا نأخذ على أبي زيد أيضا أنه لم يطلعنا على تلك الأسس التي قدم بها وأخر طبقاته . كما أنه لم يفاضل بين قصائد الطبقة الواحدة ، فلا ندرى هل هو متأثر هنا بابن سلام واعتبرها جميعها في مستوى واحد ، كما اعتبر ابن سلام شعراء الطبقة الواحدة في منزلة واحدة ولا يعني تقديم واحد على الآخر في الطبقة انه ارفع منه ، أم أن أبا زيد يرى ان هنالك تفاوتا بين قصائد الطبقة الواحدة . اننا لا نستطيع تحديد ما كان يدور في ذهنه تماما ، لأنه لا يشير الى ذلك . كما ان أبا زيد يطلق احكامه دون تعليل لها ، وهو متأثر بآراء العلماء والنقاد السابقين كثيرا ، لما يستشهد به من أخبار وأقوال في تقديم الشعراء وتفضيلهم .

وكما كانت كثرة المادة الادبية هي الباعث وراء الاختيار ، فانها كذلك كانت وراء التبويب والتنسيق المنظم ، وما من شك في أن القرن الثالث الهجرى شهد تحولا في التأليف من حيث التبويب والتنظيم في جمع المادة وعرضها ، لأن معظم فروع المعرفة أخذت تستقل بوضعها الخاص ، وشاهدنا على ذلك ما نجده عند ابن سلام وابن قتيبة وأبي زيد القرشي ، فهذا التقسيم الرباعي العشرى الذى تحدثنا عنه عند ابن سلام ، وهذا التنسيق عند ابن قتيبة ، وهذا النظام السباعي عند أبي زيد ، كل ذلك لم يكن وليد الصدفة ، وانما كان نتيجة لذوق العصر الذى مل من حشد المادة من غير تنظيم وتبويب .

ان جنوح التأليف نحو هذا النسق من التأليف المنظم يدل على العقلية المنظمة . وهذه العقلية كما تتضح عند ابن سلام ، فانها كذلك تظهر جلية واضحة عند ابن قتيبة الذى كان يتمتع بعقلية منظمة مصقولة ، ولذلك فان تآليفه كانت تعكس هذا النسق من الفكر . (١) وابن قتيبة كان يرمي من وراء هذا التنظيم والايجاز الى وضع حد للفوضى والاضطراب والخلط في التأليف ، كما كان يظهر ذلك عند الجاحظ الذى يحشد في كتبه كميات هائلة من المعلومات من غير تنسيق أو ترتيب ، فأنت تقرأ في صفحة واحدة من كتب الجاحظ خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ينتقل منها مباشرة الى الحديث عن شيء لا يقرن بالحديث مع رسول الله ، كأن يتحدث عن بخيل ، أو شاعر ، أو حيوان . (٢) وقد نقد ابن قتيبة منهج الجاحظ المضطرب ، بقوله : "ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعه قال : الجماز ، وقال اسماعيل بن غزوان : كذا وكذا من الفواحش. ويجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذكر في كتاب ذكرا فيه فكيف في ورقة ، أو بعد

---

(١) انظر د . عبد الحميد الجندى : ص ١٢٤ .
(٢) انظر د . اسحق الحسيني : ص ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سطر أو سطرين ؟ "(١). ويعود هذا الفضل لابن قتيبة في هذا المنهج الواضح وهذا التبويب الذى تعكسه مؤلفاته الى عمله في التعليم بالدرجة الاولى، والتعليم يفرض دائما التنظيم والتحديد في اعطاء المعلومات حتى تكون يسيرة على التلاميذ ، لا غموض ولا تعقيد فيها . وان غاية ابن قتيبة من كتابه هي التيسير والتبسيط ،وهذا الذى صرفه عن تقليد ابن سلام في تصوره للشعراء على طبقات مغلقة مقيّدة (٢) ،وغاية التبسيط هذه راعاها ابن المعتز في طبقاته .

ان هنالك أسبابا أخرى غير تلك التي ذكرنا تكمن وراء هذا التنسيق والتنظيم، منها أن ابن قتيبة كان قاضيا ، والقضاء يستند على التنظيم والتحديد ،ولا يميل الى الفوضى ، وكذلك اتقان ابن قتيبة اللغة الفارسية ، واطلاعه على المؤلفات الفارسية التي كانت على قدر وافر من التنظيم ،وذلك لأنها افراز عقول قطعت أشواطا طويلة في مشوار الرقي والتحضر. (٣)

وهناك من يذهب الى أن ابن سلام كان أكثر من ابن قتيبة تنظيما وتحديدا وتقعيدا للقواعد ،بدليل أن ابن قتيبة متأثر به الى درجة أنه لا يجد غير أمثلة ابن سلام وشواهده ليستشهد بها . (٤)

أما عند ابن المعتز فانه لا يخفى علينا معالم منهجه المنظّم الذى قصد منه أن يكون مشوقا لا يبعث على الملل والسأم ،ونلمح ذلك من خلال اعتداله في سرد الاخبار والاشعار ،واصراره على الاختصار .

لقد تنبه ابن المعتز الى المدارس الفنية في الشعر حين قسم شعراءه ، فوجد أن هنالك شعراء ينتظمهم سلك فني واحد ،فجمع بينهم . وهو بذلك يكون قد وضع اللبنات الاولى في تصنيف الشعراء ضمن مدارس فنية . ومن هذه المدارس : مدرسة البديع ،ومدرسة الحكمة ،التي تضم شعراء نظرتهم للحياة فيها كثير من التحفظ . (٥)

يقول خفاجي : "والكتاب يصور اتجاهات الشعراء ومذاهبهم وبيئاتهم أدق تصوير ، وفيه تفصيل للخصائص الفنية في شعر المحدثين وكثير من الموازنات

---

(١) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ،ص ٥٩ .
(٢) انظر د . احسان عباس ،ص ١٠٦ .
(٣) انظر د . الجندى : ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٤) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ٣٣٦ .
(٥) انظر د . محمد زغلول سلام : ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الادبية ، والشرح الادبي لكثير من النصوص وكثير من المختارات للشعراء الذين ذهب شعرهم وضاعت دواوينهم ، وكثير من الآراء القيمة في النقد ، ويشيع فيه الذوق الادبي في العرض والبحث والنقد والاختيار والتبويب "(١) . وكذلك فان منهج أبي زيد في جمهرته لا يخفى علينا ما فيه من قدرة على التبويب والتنسيق ، الذى أصبح سمة من سمات العصر .

ان مما تتفق فيه هذه الكتب أنها تمزج بين النقد وتاريخ الادب والاخبار والنوادر أحيانا ، وكل هذه المعلومات تقدم مع الشاعر من أجل زيادة التعريف به وبسيرته ، وكثيرا ما كانت هذه الملح والنوادر مقصودة من أجل التخفيف عن القارىء واغرائه بالمتابعة ، كما صرح بذلك ابن المعتز في طبقاته . (٢)

يتفق كل من ابن سلام وابن قتيبة في الابتداء بامرىء القيس ، ثم بعد ذلك يختلف ترتيب هؤلاء الشعراء ، الا أننا نجد ان الطبقة الاولى الجاهلية عند ابن سلام ، هي ذاتها عند ابن قتيبة ، لولا أن ابن قتيبة استبدل الاعشى بكعب بن زهير ووضعه بعد أبيه بدافع قرينة القربى ، كما أنهما يتفقان في تراجمهما للشعراء ، اذ يبدأ كل منهما بذكر اسم الشهرة للشاعر أولا ، من مثل امرىء القيس أو الاعشى أو زهير ، ثم بعد ذلك يذكر اسم الشاعر وسلسلة نسبه الى أن يصل الى قبيلة الشاعر ، فامرؤ القيس من بني كندة ، والنابغة من ربيعة وهكذا . وفي معظم الاحوال تلحق بالشاعر الكنية التي يكنى بها ، فكنية النابغة "أبو أمامة" ، وكنية الاعشى "ابو بصير" ، ثم انهما بعد أن ينتهيا من سلسلة النسب الموجزة وايراد نماذج من أشعاره يعودان الى الخوض في تفاصيل حياته ، وما يعرف به من أخبار ، ولا بدّ من القول ان اصحاب الطبقات لم يكونوا مدققين أو ممحصين فيما ينقلونه من اخبار ، ومن الملاحظ أنهم يعتمدون اعتمادا يكاد ان يكون كليا على آراء العلماء السابقين في تقديم الشعراء وتأخيرهم ، دون ان يتدخلوا في ابداء رأى أو حكم في اغلب الاحوال ، ولذلك فاننا قلّما نرى شخصية هؤلاء النقاد واضحة جلية ، فنحن لا نراهم الا من خلال الآخرين ، على ان هذا لا ينفي ان هؤلاء النقاد يطلون علينا بين الحين والآخر بنظرات ثاقبة ، وآراء سديدة تعكس تمرسهم في الادب والشعر ، وقدرتهم على النظر والحكم . من مثل ما نرى عند ابن سلام ، وابن قتيبة . أما ابن المعتز فانه لا يهتم بسلسلة نسب الشعراء كما يهتم بها ابن سلام وابن قتيبة . فهو قلما يسهب

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي : ابن المعتز وتراثه في الادب ، ص ٣٦٦ .
(٢) انظر ابن المعتز : ص ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نسب شاعر أو في رواية أخبـــار .

ان مما يلاحظ على التراجم أن التوزيع الكمي للتراجم والاخبار بين الطبقات متباين أشد التباين ، فبينما تستغرق الطبقة الاولى الجاهلية قرابة خمســين صفحة ، فان الطبقة السابعة لا تتعدى صفحتين ، وان ضخامة هذا الجـــزء الذى للاسلاميين أمر ملفت للنظر ، فالطبقة الاولى الاسلامية وحدها تكـــاد تماثل طبقات الجاهليين مضافاً اليها طبقة اصحاب المراثي وطبقة اصحـــاب القرى أوطبقة الشعراء اليهود مجتمعة ، والطبقة الاسلامية الاولى تساوى مـــن حيث الحجم الطبقات الاسلامية التسع الاخرى ، ان لم تزد ، فقد بلغ حجمهـــا مائتين وخمسا وعشرين صفحة ، بينما لا نجد الطبقة الثالثة أكثر من احدى عشـــرة صفحة . والملاحظة ذاتها نجدها عند ابن قتيبة ، أو ابن المعتز ، فبعض الشعراء تنوف ترجمتهم عن الثلاثين صفحة كما هو بالنسبة لامرىء القيس ، وبعضهـــم لا تتعدى ترجمتهم ثلاث صفحات كما هو بالنسبة لعمرو بن كلثوم ، وكلاهما مشهور . وعند ابن المعتز تستغرق ترجمة ابي نواس ما يزيد عن خمس وعشرين صفحة ، بينما لا يستغرق شاعر مثل ابي تمام أكثر من اربع صفحـــات .

ومما يؤخذ على ابن قتيبة ايضا ظاهرة التكرار التي تبدو عنده أكثر منهـــا عند ابن سلام ، فهو يأتي على ذكر اشعار لأحد الشعراء ، ثم نراه يكررها دون سبب واضح ، وقد يغير في بعض الفاظها أحيانا ، وهذه الهنات لا بدّ أن تكون ناتجة على ان التأليف كان في أوله ولم تستقر له أسس وقواعد حينها ، كما أنـــه ينساق أحيانا الى الاسهاب الذى عابه على الجاحظ . (١) وهذه المآخـــذ لا تقتصر على ابن قتيبة بل تتعداه الى غيره ، ولكنها عنده أبين وأوضـــح .

ان مما يؤخذ على أصحاب الطبقات أيضا هذا الخلط في الحديث عـــن الشاعر ، فنجد الترجمة تختلط بالأخبار ، وبالمادة النقدية من آراء ونظـــرات ، كل ذلك في غير تنسيق أو ترتيب ثم كثيرا ما نجد أخبار الشخص الواحد مختلطـــة في مواضع كثيرة ومتباعدة ، كما هو الوضع بالنسبة لامرىء القيس ، أو الفرزدق ، علـــى سبيل المثال لا الحصر . كما ان اخبار الشعراء وتراجمهم تكثر وتقل بتفـــاوت ملحوظ كلما تقدمنا في هذه الكتب ، حتى ان من الشعراء من لم تصل ترجمتـــه عند ابن سلام الى السطرين والثلاثة كما في الطبقة الثامنة مثلا ، ولعله متأثـــر في ذلك بما هو عند ابن سعد في طبقاته الدينية من تضاؤل في التراجم كلمـــا أوغلنا في الكتاب ، اضافة الى ندرة المعلومات أحيانا . والملاحظة ذاتها تصـــدق أيضا على كل من ابن المعتز وابن قتيبة ، بل اننا نجد أحيانا ان بعض الشعـــراء

---

(١) انظر د . الجندى : ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم ترو من أخبارهم أشياء تذكر سوى ذكر اسم الشاعر، ولقبه، وبيت من الشعر له، كما في ترجمة ابن قتيبة لشاعر يدعى "مدرج الريح". وان العيب في قلة هذه التراجم لا يقتصر على الشعراء الذين لم يحالفهم حظ كبير من الشهرة، بل انه يتعداهم الى شعراء في قمة الشهرة.

وكما ذهبنا الى اعتبار الابتسار والاختصار في اخبار الشاعر وترجمته مأخذا، فاننا نعتبر كذلك الاسهاب والاطالة مع التكرار مأخذا آخر، وهذا الجانب يظهر اثناء الترجمة لمشاهير الشعراء، ممن سارت بأخبارهم الركبان، ففزرت أخبارهم وتباينت.

ان حديثنا عن مختارات ابي زيد القرشي الذى صنّف مختاراته ضمن سلّم طبقات الشعراء آنذاك، يجرنا الى الحديث عن بعض كتب المختارات الشعرية الاخرى التي نشتم منها رائحة النزعة الطبقية، سواء حين تخير اصحابها طبقات الشعر الرفيعة، أو النماذج التي لاقت القبول والاستحسان، أو حين راعى أصحابها ان تكون مختاراتهم متلائمة مع طبقات الشعراء من الناحية الزمانية، أو الفنية، كما ان هذه المختارات تعكس لنا ذوق اصحابها في اختيار نماذج رفيعة من الشعر لاقت الاعجاب.

ان الباعث وراء الاختيار كما قلنا هو كثرة المادة الادبية، وانتقاء الافضل من الشعر، والاختيار لا يقوم بشكل عام على أسس فنية واضحة، بل ان عماده الذوق الذاتي الصرف، كما انه يعكس ذوق العصر، وعلى الرغم من أن هنالك أصواتا أخذت تشكو من قلة الاهتمام بالشعر المحدث، وبالشعراء المحدثين، أخذ البعض يتجاوب معها، الّا ان التوجه في الذوق بقي ميما شطره نحو القديم، ولذلك فاننا نجد معظم المختارات الشعرية وكتب الشعراء انصبّ اهتمامها على القديم والقدماء في الاختيار.

ان من أصحاب هذه المختارات من راعى الشهرة فيمن يختار لهم، كالمفضل الضبي الذى نكاد نجزم بأن مفضلياته أقدم كتب المختارات في الشعر العربي، لولا أن هنالك من يقول بأقدمية السموط "القصائد المعلقات"، معتمدين في ذلك على ان للعرب قد علقوها على أستار الكعبة اعجابا بها، على أن هنالك من يخالف هذا الرأى ويرى أن حمادا الراوية هو جامعها في القرن الثاني، وأن تسميه "المعلقات" لم تأت من التعليق، وانما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانما من علو شأنها وقيمتهـــا . (١)

---

(١) لقد اختلف في القديم والحديث حول قضية التعليق . ولعل أقدم من قال بتعليقها ابن الكلبي " ت ٢٠٤هـ " . انظر د . بدوى طبانة : معلقـــات العرب ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ؟ ، ١٩٦٧ ، ص ١٩ . ثم يأتـــي ابو زيد القرشي في منتصف القرن الثالث الهجرى ليشير الى ذلك . أنظـر د . ابو زيد : الجمهرة ، ٢١٨ . ثم وردت الاشارة الى تعليقها بعد ما يقـرب من قرن من الزمان عند ابن عبد ربه " ت ٣٢٨هـ " . انظر ابن عبدربـه : العقد الفريد ، ط٢ ، ج٣ ، المطبعة الازهرية بمصر ، ١٩٢٨ ، ص ٣٧٩ . ثـم جاء ابن رشيق في القرن الخامس ونقل اشارة أبي زيد ومال الى قصـــة التعليق هذه . انظر ابن رشيق : ص٩٦ . وممن قطع بتعليقها ابن خلدون . انظر ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق كاترمير ، م٣ ، مكتبة لبنان ، بيـروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٥٧ .

وممن خالف من القدماء في تعليقها ابوجعفر النحاس " ت٣٢٨هـ " . ذكر ذلك في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلـين ، وهو معاصر لابن عبد ربه ، ويذهب الى أن حمادا هو جامعها ، وسميت بعد ذلك بالقصائد المشهورة أو " السبع الطوال " . انظر ياقوت : ارشـــاد الاديب الى معرفة الأديب ، تحقيق مرجليوت ، ج٤ ، القاهرة ، ص ١٤٠ . وقد نقل ابن الانبارى " ت ٥٧٧هـ " كلام النحاس واستغرب انكاره لما هـــو معروف عند الناس من أمر تعليقها . انظر الانبارى : نزهة الألباء فـــي طبقات الادباء ، ؟ ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

ومن الذين أنكروا قصة التعليق من المحدثين مصطفى صادق الرافعـي ، معتمدا على ما نقله ابن خلكان عن أبي جعفر النحاس من أن حمـــادا " ت ١٥٥هـ " هو الذى جمع السبع الطوال ، وأن النقاد والادباء كالجاحظ والمبرد ، وأبي زيد ، وأبي الفرج ، لم يذكروها بهذا الاسم " المعلقـــات " ، مع أنهم اقتبسوا كثيرا منها . انظر الرافعي : ٣ ١٨٧ — ١٨٩ . ثم يأتـي الدكتور عزالدين اسماعيل الى الأخذ برأى النحاس من أن حمادا هـــو جامعها ، وأن تسميتها بالمعلقات ليس له علاقة بموضوع تعليقها ، وهـــي تسمية من اجتهاد أبي زيد ، كما اجتهد في تسمية غيرها من مجموعاتـــه . أنظر د . عزالدين اسماعيل : المصادر الادبية واللغوية في التراث العربي ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ٦٤ — ٦٥ .

أما الدكتورة عفت الشرقاوى فرأيها أن قضية التعليق وما رافقها من تفصيلات هي مما أضافه الرواة فيما بعد ، كما أن معظم شراحها المعروفين لـــم يذكروها بهذه التسمية . انظر د . عفت : دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمفضل لم يختر للشاعر الواحد أكثر من ثلاث قصائد في أندر الاحوال، فهو لم يقيد نفسه بعدد محدد من القصائد لكل شاعر، وانما كان حرّا في الاختيار، وهو كأصحاب كتب الطبقات لم يطلعنا على الدواعي التي جعلته يفضل هذا فضل من مختارات. ثم تلي المفضليات مجموعة "الاصمعيات" التي سار فيها الاصمعي على نهج سلفه المفضل. وهي تحوي مختارات من الشعر لشعراء جاهليين ومخضرمين واسلاميين. وهو كالمفضل يورد للشاعر الواحد ما بين نموذج واحد الى ثلاثة نماذج في حالات قليلة، غير أن نسبة عدد المقطوعات الشعرية عنده كبيرة بالمقارنة بما عند المفضل. ولكن المفضليات

= وممن قال بتعليقها من المحدثين جرجي زيدان الذي لا يجد غرابة في تعليقها وتعظيمها لما للشعر والشعراء من منزلة رفيعة في نفوس العرب، وهو يرد حجة النحاس الذي ذهب الى أن حمادا جمع هذه القصائد بعد ما رأى من زهد الناس بالشعر، ويعقب على هذا بأن الناس لم يكونوا مقبلين على الشعر، مثلما هو في أيام حماد، ويستدل على ذلك بأن الخلفاء كانوا يطلبون حمادا ليأتي من العراق الى الشام، ليسألوه عن بيت من الشعر. انظر جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف، دار الهلال، ١٩٥٧، ص ١٠٦، ١٠٧.

ويذهب السباعي الى تأكيد قصة التعليق، من منطق أن العرب في جاهليتهم واسلامهم، كانوا يحرصون على تعليق الاشياء الهامة على أستار الكعبة، فلقد علقت قريش صحيفة المقاطعة ضد بني هاشم، وعلق الرشيد عهده بالخلافة للأمين والمأمون، وينكر من نسب قصة التعليق الى ملك الحيرة، حين كان يأمر بتعليق ما يروقه من الشعر في خزانته، كما أنه يرد على من قال من المستشرقين: ان العرب لا يدنسون الكعبة بتعليق الشعر عليها، فيقول ان العرب لا ترى في الشعر دنسا، فهذا عبد الله ابن عباس على قدره كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمع الى شعر ابن ابي ربيعة. أما من طلب أثرا لهذا التعليق منهم، فيرد عليهم بقوله ان هذا التعليق لم يكن يتجاوز الموسم الذي قيلت فيه المعلقة. انظر السباعي السباعي: تاريخ الادب العربي، مطبعة العلوم، ؟، ١٩٣٢، ص ١٥١ — ١٥٢.

ولا بدّ من القول انه من الصعب الخروج برأي فصل في هذه القضية، لأنه لا يوجد دليل قاطع يدفع الى الجزم فيها، كما أن كل من أنكر قصة التعليق هذه من المحدثين، انساق وراء الميل أو الظن فنحن لا نستطيع تجاهل قول من قال بتعليقها من القدماء، ولا نستطيع كذلك الاعتماد على ما ذكره النحاس مجردا، خاصة أن حمادا هذا لم يكن حجة عند العلماء، ولهذا فاننا نميل مع من مال الى قصة تعليقها على أستار الكعبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحوى قصائد أطول من أكثر مختارات الاصمعي طولا . والاصمعيات لم تسر بين الناس كما سارت المفضليات . (١)

أما أبو تمام (ت ٢٣١هـ) في مختاراته "حماسته" فلم تغره طبقات الشعراء المشهورين كي يختار نماذج لهم، بل ذهب الى اختيار نماذج شعرية لشعراء مغمورين من شعراء الجاهلية والاسلام، كما فعل ابن الجراح، حين تخيّر شعراءه من مغمورى عصره . فأبو تمام ينتقي الاشعار التي تقع عنده موقع الاستحسان دون نظر لصاحبها ان كان مشهورا أم لا ، وهو بذلك لا يريد أن يخوض فيما خاض فيه العلماء من أشعار المشهورين ، كما أنه يريد اضافة مقطوعات جديدة من الشعر الحسن ، وهو لا يعتمد في ذلك الاّ على ذوقه الخاص لا غير، أما اختياره للمقطوعات دون المطولات ، فذلك راجع الى ذوق العصر الذى قد أشاح عن المطولات وملّ منها . يقول بروكلمان : " وحينما انتشرت نزعة التجديد في الشعر على عهد العباسيين ، تغير أيضا ذوق الادباء، فلم يعد أحد يطيق الصبر على قراءة القصائد الطوال، بل اكتفوا بتذوق القطع المختارة، وظهرت اختيارات كثيرة لتلبية هذه الرغبة، مرتبة على معاني الشعر". (٢)

ان مما يميز مجموعة أبي تمام هذه أنها أول مجموعة تعتمد أساس الموضوع في التصنيف، وهو قد أطلق عليها اسم "الحماسة" نسبة لاسم أول باب من أبوابها العشرة التي احتوتها في مواضيع مختلفة ، فمنها باب الحماسة ، وباب المراثي ، وباب الادب ، وباب الهجاء ، وباب النسيب ، وباب الاضياف والمديح ، وباب الصفات ، وباب السير والنعاس ، وباب الملح ، وباب مذمة النساء .

ومن هذه الابواب كلها يتضح منهج أبي تمام في التبويب الذى يعتمد على ضم المقطوعات المتجانسة الى بعضها . وأبوتمام قد خالف في مختاراته من قصروا اهتمامهم على الحديث فقط ، فمدّ نطاق اختياراته حتى شملت أشعار مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية، كالحسين بن مطير الاسدى ، والى الشعراء العباسيين ، كأبي العتاهية ، وأبي نواس . على أننا نلاحظ أن أبا تمام لم يراع أن تكون أبواب حماسته متساوية من حيث الكم، وهو ما لاحظناه أيضا عند أصحاب كتب طبقات الشعراء .

وكما رأينا الاصمعي ينهج منهج المفضل ، مع شيء من الاختلاف، فاننا هنا نجد البحترى "ت ٢٨٤هـ" يترسم منهاج أستاذه أبي تمام، فيؤلف حماسة على

---

(١) انظر عزالدين اسماعيل : ص ٧٠ — ٧٣ .
(٢) بروكلمان : ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غرار حماسة أبي تمام ، ولا عجب في ذلك فلقد لقيت حماسة أبي تمام من الذيوع والشهرة ما جعل الكثيرين يقبلون على محاكاتها ، ومنهم تلميذه البحتري .

لقد قامت مختارات البحتري على أساس معاني الشعر ، الا في باب المراثي الذي شذّ فيه واعتمد الموضوع أساسا في الاختيار ، كما أنه اقتصر على الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين . ولكنه جعل حماسته فضفاضة من غير ضرورة لذلك ، اذ أنه أراد أن يتوسع في أبوابها فأوصلها الى مائة وأربعة وسبعين بابا ، لو حصرت الابواب المتجانسة منها وضمت الى بعضها لما وصلت الى خمسة أبواب على الاكثر من التي عند ابي تمام . ولقد بالغ البحتري في اختياره للشاعر الواحد ، اذ أنه كان يختار أحيانا للشاعر أكثر من عشرة نماذج كما فعل بالنسبة لاعشى قيس ، وحسان بن ثابت على سبيل المثال . فهو يتصرف من حيث الاختيار بحرية أكثر مما نجد عند ابي تمام أو أبي زيد القرشي . (١)

ان مما يتفق به ابوزيد مع غيره من أصحاب المختارات ، هو اختيار روائع القصائد من الشعر الجاهلي والمخضرم والاسلامي . يقول ابوزيد : " فأخذنا من أشعارهم ، اذ كانوا هم الاصل ، غررا هي عيون أشعارهم ، وزمام أمورهم " (٢) . أما ما يختلفون فيه فذلك كثير ومتشعب ، فأبوزيد انشغل بتبويب قصائده وفق نظام الطبقات الرأسية المغلقة الذي رأيناه عند ابن سلام ، وجعل مختاراته من القصائد منسجمة مع طبقات الشعراء المعروفين آنذاك ، وقيد نفسه باختيار قصيدة واحدة لكل شاعر ، بينما نجد أن كلا من المفضل والاصمعي اختارا بحرية ، وتعدى اختيارهما أحيانا الى ثلاث قصائد للشاعر .

ان هذا التبويب وهذا التأنق في التقسيم لا نجده عند غير أبي زيد من أصحاب المختارات ، فلم يتعد صنع أصحاب المختارات الاخرى اعمال الذوق في الاختيار ، ولا يظهر التبويب عندهم الا من خلال ضم الاشعار المتجانسة الى بعضها تحت باب يتعلق بها ، فكان الموضوع هو الذي يحكمهم بالدرجة الاولى . وأبوزيد متأثر أيضا بالموضوع كأساس للتقسيم ، ويظهر ذلك في طبقة أصحاب المراثي التي خصصها لمن برعوا في هذا الفن ، بينما نجده في طبقاته الست الاخرى يسير في تقسيمها وفق الكفاءة الفنية ، كما أن المقدمة النقدية التي نجدها عند ابي زيد تخلو منها تلك المختارات ، فهو في مقدمته يحدثنا عن نشأة الشعر وأول من قاله ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في الشعر ، وهو يتكلم فيما وافق القرآن من ألفاظ العرب ، والالفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم ، وهي مقدمة نقدية تاريخية قيمة .

---

(١) انظر د . عزالدين اسماعيل : ص ٩٨ — ١٠٢ .

(٢) ابوزيد القرشي : ص ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبقات بين التأثر والتأثير :

ان قضية التأثر والتأثير قضية طبيعية، وكثيراً ما نصادفها في مختلف مجالات الحياة، فكثيرا ما تلتقي العقول عند رأى من الآراء فتأتلف، وكثيرا ما تتباين الآراء في مسألة من المسائل فتختلف. وان أمر المعارف الانسانية كالمورد الذى يرده الناس، فمنهم من يرغب فيه، ومنهم من يرغب عنه الى غيره.

ان ظهور فكرة الطبقات برمتها في الميدان الادبي كانت نتيجة لتأثر اللغويين والادباء بالجو الديني الذى كان يحيط بهم، وقد كان لها دواعيها ومبرراتها حينئذ، وبعد أن انتقلت هذه المبررات للميدان الادبي، ارتأى اللغويون والادباء، ومنهم ابن سلام، سببا يحدوهم الى تصنيف الشعراء في طبقات تحفظ لهم مكانتهم وقدرهم.

ان ظاهرة التأثر والتأثير عند من ألفوا في طبقات الشعراء واضحة جلية، وهي تعكس الجو العام للثقافة الادبية في هذه الفترة، فبعد أن راقت هذه الفكرة لابن سلام، ونظر فيما فعله الاصمعي قبله في " فحولة الشعراء "، حين قسم الشعراء في طبقتين: طبقة الفحول، وطبقة غير الفحول، راقته الفكرة أكثر، وأسعفه عقله الثاقب في النظر اليها من زاوية أوسع، ليطورها بعد ذلك، ويضفي عليها من آرائه وتفكيره ما أوصلها الى الشكل الذى نراه. فبعد أن كان الاصمعي ينظر للفحولة من منظار ثابت، حصره في درجتين، يأتي ابن سلام ليجعل منها درجات متعددة أوصلها الى عشر في كل عصر، من العصرين: الجاهلي والاسلامي.

لم يكتف ابن سلام بذلك، بل انه حين وجد الاصمعي يبني فكرته هذه على أسس ومعايير متعددة، منها الكم في الانتاج، لذلك استبعد شعراء كثر لقلة انتاجهم، وقرّب آخرين لغزارة ما لهم من انتاج.

ان ابن سلام متأثر بالطبقات الدينية كما أشرنا قبل تأثره بشيء آخر، فهو تأثر بطبقات ابن سعد الدينية، فنجد أن معيار القدم في الاسلام والسبق اليه يقابله عند ابن سلام مقياس الزمان الذى صنّف من خلاله الشعراء الى قدماء ومحدثين، ويقابل معيار التوثيق والضبط عند ابن سعد معيار الجودة عند ابن سلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن معيار الزمن الذى استند اليه ابن سلام كان موجودا أيضا عند الاصمعي قبله ، وهو بتأثره به ظهر تعصبه للقديم والقدماء ونفوره من الحديث والمحدثين .

أما ابن قتيبة فانه يثور ثورة عارمة على الاتجاهات التي كانت سائدة في أيامه ، ليعلن أنه سيأتي بما لم يستطعه من قبله ، ونشتم من كلامه أنه لم يقلد من سبقوه " ولم أسلك ، فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد ، أو استحسن باستحسان غيره . . . " (١) .

ولكننا نجده يخالف ما وعد به ، ويقتفي خطى من سبقوه من العلماء مقلدا ، فتأثر بابن سلام أولا ، وبالجاحظ ثانيا ، وغيرهم من العلماء واضح ، فهو ينقل عن ابن سلام من غير أن تظهر شخصيته في نقوله . بل انه ينقل أحيانا شواهد ابن سلام ذاتها ، من مثل حديثه عن أولية الشعر عند العرب ، ومثال ذلك أنه لا يجد غير شواهد ابن سلام حين ذكر أبياتا قديمة من الشعر لزيد بن نهد القضاعي ، وأعصر بن سعد . (٢) وهو ينقل آراءهما من غير أن يشير الى ذلك ، بل انه يعيب على ابن سلام أشياء ثم يأتي بعد ذلك ليستشهد بها ، وان كنّا لا ننكر عليه في بعض الاحايين انه ينقل آراء ابن سلام ويخالفها معززا ذلك بالحجج والبراهين ، ومثال ذلك ان ابن سلام كان يأخذ على امرىء القيس تعهره ومجونه (٣) ، بينما يرد عليه ابن قتيبة بأن ذلك لا يعد عيبا ولا مأخذا (٤) . وهو يشير قضية أصبح لها دويها في عالم النقد فيما بعد ، وهي وجوب نظر الناقد للفن كفن بمعزل عن المعطيات الاخرى . ويبدو تأثر ابن قتيبة كذلك بالجاحظ ، خاصة في موقفه من القدماء والمحدثين غير انه لا يكتفي بالأخذ عنهما فحسب بل انه يهاجمهما بعد ذلك في أكثر من مكان ، فهو قد هاجم ابن سلام في الشعر والشعراء ، " فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله " (٥) . فهو يغمز ابن سلام بطرف غير خفي ، ولقد هاجم الجاحظ أيضا هجوما صريحا : " وهو — مع هذا — من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل " (٦) .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٦٨ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ١١٠ ، ١١١ .
(٣) انظر ابن سلام : ص ٤١ ، ٤٢ .
(٤) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٤١ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٦٨ .
(٦) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، ص ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أن هنالك من يفسر هذا الهجوم بأنه مقتصر على الناحية المذهبية لا غيرها . (١)

وان نحن مضينا في تتبع تأثر ابن قتيبة بمنهج ابن سلام ، فان هذا يبدو في ابتدائه بشعراء الطبقة الاولى الجاهلية عند ابن سلام ، وهو يقول في بداية ترجمته لأول هؤلاء الشعراء عنده ، وهو امرؤ القيس : " من الطبقة الاولى " (٢) ، وبيّن أنه يعني طبقة ابن سلام ، فهو متأثر به من حيث البدء بامرئ القيس. وهناك من يرى أن ابن قتيبة لم يسلم من التأثر بابن سلام، حتى في عنوان كتابه " طبقات الشعراء " كما ذكرته بهذا العنوان بعض المصادر(٣)، فكأنه حاكى ابن سلام في العنوان ، وأراد أن يثبت له أن كتابه هو الاجدر بهذا العنوان . (٤)

ومما لا شك فيه أن ابن قتيبة استفاد من منهجية ابن سلام وقدرته على التبويب المنظّم في الترجمة لشعرائه ، لأنها فاقت قدرة ابن قتيبة. (٥) على أننا يجب أن ننصف ابن قتيبة ، فنحن لن نر ابن سلام أو غيره من النقاد في كل كلمة أو سطر عند ابن قتيبة، فكما اتفق الاثنان في أشياء ، فقد اختلفا أيضا في اشياء كثيرة . فلقد أهمل ابن قتيبة مقاييس ابن سلام التي اعتمدها ، من مثل مقياس الزمان ، والمكان ، والناحية الفنية و وتعدد الاغراض ، وغير ذلك ، ثم ان مادة ابن قتيبة بمجملها تختلف عن مادة ابن سلام الذى لا يهتم بالتأريخ للشاعر وسرد حوادث حياته بنفس القدر الذى تجده عند ابن قتيبة ، كما أنه خالف القاعدة الطبقية التي عند ابن سلام ، وألف ضمن منهج طبقي مختلف . وها هو ابن المعتز في طبقاته يصرح بأنه ألف كتابه متأثرا بمن سبقه في هذا المجال ، كابن نجيم الذى ألف كتابا أسماه " طبقات الشعراء الثقات " (٦) فتأثر به وألف على غرار كتابه . ولقد تبع ابن المعتز بعد ذلك في التأليف وفق هذا الاتجاه ابن الجراح في كتابه " الورقة " ، وابن المعتز لم يتأثر بابناء الطبقي كما هو عند ابن سلام ، بل أنه سار على نهج مشابه لنهج ابن قتيبة من حيث الحرية في الاختيار والتصنيف .

---

(١) انظر د . احسان عباس : ص ١٠٦ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١١١ .
(٣) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان، ٢٤٦ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ١٦٩ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ١١٠٢ .
(٤) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .
(٥) انظر المرجع نفسه : ص ٣٣٦ .
(٦) انظر ابن المعتز : ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أبوزيد القرشي ، فاننا نلحظ في جمهرته تأثره الواضح بالبنـــاء الطبقي عند ابن سلام ، مع التعديل فيه ، كما أنه خصّص طبقة لأصحاب المراثـــي مقتديا بابن سلام ، وكأنه أحس بأهمية افراد أصحاب هذا الفن بطبقة خاصـــة ، لما يتميزون به من مشاعر وأحاسيس مشتركة . ومما لا ريب فيه أن حصيلة ما ألـف في هذه الفترة هو انعكاس لمفاهيمها ، وتأثر بمعطياتها ، وقيمهـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القيمة النقدية لكتب الطبقات :

انه من الحق علينا أن نقرر ما لكتب الطبقات من قيمة نقدية بالغة ، فهي باكورة الانتاج النقدى عند العرب ، ولهذا ندرك ما تحمله مؤلفوها من جهد وعناء في سبيل اخراجها بهذه الصورة ، خصوصا وأن تلك الفترة كانت فترة قاحلة بالنسبة للنقد ، فلقد كان الذوق بما يحمله من انطباعية وميول هو المتحكم في تقييم الانتاج الادبي ، وكان النقد صهوة يعتطيها كل من رغب في ذلك ، الى أن هُيِّئَ له من بعث فيه الحياة ، مما ولّد حركة نقدية متنامية في غضون فترة وجيزة ، ثم أصبح للنقد رجاله الذين برعوا فيه وخلفوا لنا موروثا نقديا يبعث على الزهو والاعجاب .

اننا ونحن نقرأ هذه الكتب ، وخصوصا مقدماتها ، تظهر لنا صورة جلية لحياة النقد منذ بداياته الاولى في العصر الجاهلي ، حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، كما أننا نتبين هذه الاذواق المتباينة التي خاضت فيه .

ان تقييمنا للدور النقدى الذى لعبته هذه الكتب يحملنا على طرح أسئلة كثيرة ، من أبرزها : هل وُفِّقَ هؤلاء النقاد في تحقيق ما كانوا يطمحون اليه في مؤلفاتهم ؟ والى أى مدى أسعفتهم حيلتهم في ذلك ؟

لقد نجح ابن سلام حقّا في أن يجعل من النقد علما مستقلا ، له رجاله المستقلون ، حتى لا يستطيع خوض غماره الاّ من كان أهلا لتلك المهمة ، وأوتي من الدراية والمعرفة ما يؤهله لذلك ، وهذه نقطة نسجلها لابن سلام ، وهي تغفر له كثيرا من المزالق التي أوقع نفسه فيها . وهو بالاضافة الى ذلك وضع اللبنات الاساسية لبناء نقد منهجي سليم . ويبدو هذا في إلحاحه على تخليص الشعر مما علق به ، ومما دس عليه . (١) ولقد عرض هذه القضية فأحسن العرض والاستنتاج ، فاستطاع أن يميز بين نوعين من الرواة : الرواة الموثقون ، واولئك الوضاعون . ثم ان له الفضل في حفظ تلك الآراء والنظرات النقدية من الضياع الذى أفقدنا الكثير من ذلك التراث ، وأبو عمرو بن العلاء يقول : " ما انتهى اليكم مما قالت العرب الاّ أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " (٢) .

---

(١) انظر د . محمد زغلول سلام : ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) ابن سلام : ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أضفى ابن سلام على هذه الآراء القديمة روحا جديدة ، كما أنه حاول أن يجعل منها نظاما جديدا يساعد في دراسة الشعراء بطريقة أجدى(١) . ومما لا شك فيه ان ابن سلام أفاد بنظراته تلك نقادنا المحدثين .

ان ابن سلام سعى في منهجه الذى رسمه في البداية الى ان يحقق التوازن والعدل بين الشعراء من حيث انزالهم في منازل تليق بمكانتهم الشعرية ، وهو قد اجتهد ، وحاول بكل ما استطاع من جهد ان يحقق ما أراد ، وقد وفق أحيانا في منهجه ، وأخفق في أحيان أخرى ، فما لا خلاف فيه أن بعض كبار الشعراء حلوا في المنازل التي يستحقون بحكم اجماع الآراء على قدرتهم وتمكنهم من مثل شعراء الطبقة الاولى ، التي تضم امرأ القيس ، وزهيرا ، والنابغة ، والاعشى . الا ان ابن سلام خانته حيلته في أن يوفق في انصاف الجميع ، اما بتأثير من قناعاته هو ، أو بتأثير من آراء العلماء الذين يحتج بهم ، خصوصا وأنه ضيّق على نفسه بهذا النظام الرباعي العشرى الصارم الذى لا مرونة فيه . ولقد أوقعه هذا النظام في مزالق كثيرة ذكرنا أبرزها ، من مثل اقحامه للراعي على شعراء الطبقة الاولى الاسلامية من غير جدارة توهله لهذه المنزلة ، وهو قد أخّر أوسا الى الطبقة الثانية الجاهلية على الرغم من أنه ، كما يصرح ابن سلام ، يستحق أن يوضع في الطبقة الاولى ، ولكنه محكوم بهذا العدد الذى طوق نفسه به ، فهذه بعض الامثلة على ما حدث من خلل في نظام ابن سلام الطبقي ، والذى أدى بعجمله الى اخفاق ابن سلام في تحقيق ما اراد من موازنة وعدل ، حين استخدم هذا المنهج الذى لم يكن ليصلح في الادب أو الشعر . ومما يؤكد ذلك ان من ألفوا في النقد بعد القرن الثالث ثاروا على نظام الطبقات كابن شرف ، وابن طباطبا ، وغيرهم ، ثم وجدنا من جاءوا بعده كابن قتيبة ، وابن المعتز يميلون الى التأليف في الطبقات الافقية المفتوحة ، ويعزفون عن منهج ابن سلام الضيق .

أما كتاب " الشعر والشعراء " لابن قتيبة فهو شاهد على مرحلة متطورة في النقد العربي ، فهو قد أثار قضايا نقدية لا تقل أهمية وقيمة عمّا أثاره ابن سلام .

وقد تحدث ابن قتيبة في قضايا الشعر والشعراء ، وصنف الشعر في طبقات أربع ، من حيث الاتكاء على اللفظ والمعنى والصلة بينهما ، وهو بذلك يكون قد اتخذ الخطوة الاولى في توجيه النقد نحو القواعد البلاغية . (٢)

---

(١) انظر د . احسان عباس : ص ٨٢ .
(٢) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٠ — ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ابن قتيبة أراد من تأليفه هذا الكتاب اظهار صورة تاريخية للعصر من خلال ما يرويه للشاعر من اخبار وصلات اجتماعية مختلفة (١)، نستطيع من خلالها أن نضع تصورا لما كان سائدا آنذاك من علاقات اجتماعية وأحداث. أما القضية الاهم، التي شغلت ابن قتيبة فهي انه اراد انصاف المحدثين في زمانه بسبب الجور والحيف الذى لحق بهم. فهل استطاع تحقيق هذا الهدف ؟

ان من المؤسف حقا أن نجد أن هذا السخط وهذا الغضب الذى أحسسنا به في مقدمة الكتاب ضد من انحازوا للقديم، لم يكن سوى شعار عجز عن تطبيقه، بحكم ثقافته، وبحكم ميوله، وأن حرصه على الانصاف لم يتعدّ الواقع النظرى، وذلك لأن ثقافته وعقليته الدينية لم تسعفه بالتخلص مما في نفسه من هوى نحو القديم (٢). ومع ذلك فهو قد حاول ان يسلك مسلك القاضي العادل حين ميّز بين كل من الدراسات الدينية والادبية، ورأى ان الدراسات الادبية يجب ان تكون طليقة غير مقيدة، ولذلك فانه تناول من الشعراء المجان منهم، والخلعاء، ونظر في شعرهم دون اكتراث بالموضوع، وهذه نقطة نسجلها له، فهو قد نظر في الفن كفن من غير ان يحكمه تعصب أو ميل. (٣) كما أننا لا ننسى لابن قتيبة جهده في مجال النقد، فلقد خطى بالنقد خطوات متقدمة كانت مكملة لما بدأه سلفه ابن سلام، وهو وان لم يستطع تطبيق ما وعد به في المقدمة، الا أنه استطاع أن يجهر بآراء جريئة لم يقدر غيره في ذلك الوقت أن ينادى بها. كما أنه أفاد النقد بما احتواه كتابه من آراء وأحكام نقدية أفادت النقد العربي في العصور اللاحقة.

أما طبقات ابن المعتز فهي لا تقل عن غيرها من حيث القيمة، خاصة وان ابن المعتز نحى نحوا مختلفا في اختياره للشعراء، وقد قصّر جهده على الشعراء المحدثين دون غيرهم. فاذا كنّا لا نجد في كتابه تلك المقدمة النقدية التي وجدناها عند من سبقوه، الا أننا نستطيع أن نستشف آراء ونظرات نقدية عنده ليست بالقليلة، فهو قد أراد لنفسه أن يتميز في كتابه بسرد الاخبار والقصص والقصائد التي لم تعرف عند عامة الناس، وان كانت معروفة عند الخاصة منهم، وذلك لأنه قصر كتابه على اولئك الشعراء التابعين لخلفاء بني العباس ورجالاتهم، كما أننا نجد عند ابن المعتز ما يقرب من الف وخمسمائة بيت من الشعر لا تعثر

---

(١) انظر د. داود سلوم: مقالات في تاريخ النقد، دار الرشيد للنشر، ؟، ١٩٨١، ص ١٥٣.

(٢) انظر د. بدوى طبانة: دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، ؟، ١٩٥٤، ص ٥١.

(٣) انظر د. اسحق الحسيني: ص ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها عند غيره (١). وهو لم ينفرد بمعرفته هذه الامور الا لانه كان من عليّة القوم وتأتي اليه الشعراء بالاشعار النادرة والاخبار الطريفة التي كانت حكرا على المجالس الخاصة حينئذ. ونحن من خلال طبقات ابن المعتز نستطيع أن نفهم تلك الوشائج التي كانت تربط بين شعراء عصره وخلفاء بني العباس ووزرائهم، مما يتيح لنا معرفة بعض أنماط العلاقات الاجتماعية القائمة في تلك الفترة.

أما جمهرة أشعار العرب فان لها قيمة عليا، فهذه المقدمة النقدية التاريخية التي نجدها فيها هي محاولة مبكرة في نقد الشعر العربي، والمقابلة بين لغته ولغة القرآن، وفي جمع طائفة من أقوال الادباء والعلماء الاوائل في الشعر والشعراء (٢). كما أنها ضمت قصائد من روائع الشعر العربي، فهي تحتوي على تسع قصائد لا نجد لها ذكرا في غيره من الكتب، وهذه القصائد هي: رائية خداش بن زهير، ورائية عمرو بن أحمر، ودالية عبد الله بن رواحة، وفائية مالك بن العجلان، ولامية أحيحة بن الجلاح، ولامية المسيب بن علس، ولامية الراعي، وعينية علقمة ذي جدن الحميري، وبائية الكميت. كما أن الجمهرة حفظت احدى عشرة قصيدة أخرى لشعراء لم تصلنا دواوينهم، فهي بذلك تكون قد صانت هذا الجزء النفيس من تراثنا. (٣) وهناك من يرى أن قيمة الجمهرة تأتي من كونها الكتاب الاول في طبقات الشعر. (٤) ولا ننسى ما للحماسات وكتب المختارات الاخرى من جليل الفائدة في حفظ عيون الشعر العربي وصونها من الاندثار.

ان هذه الكتب بمجموعها هي التي نفخت الروح في حياة النقد الادبي عند العرب بما احتوته من قضايا نقدية بالغة الاهمية، ومن أخبار وتراجم كانت معينا لمن أرّخوا لحركة الادب والشعر العربي، وهي من القيمة بحيث لا يستطيع أن يستغني عنها باحث، اضافة الى أنها جمعت بين دفتيها أكبر عدد من الشعراء، فها هو ذا ابن سلام يترجم لمائة واربعة عشر شاعرا، ويترجم ابن قتيبة لمائتين وستة من الشعراء، وتحتوي طبقات ابن المعتز على ترجمة لمائة وستة وثلاثين من الشعراء، من بينهم ست شاعرات شكلن الطبقة الاخيرة من الكتاب، اضافة لمن ترجم لهم كل من ابي زيد القرشي ومحمد بن الجراح في ورقته.

---

(١) انظر ابن المعتز: مقدمة المحقق، ص ه.
(٢) انظر د. عبد العزيز عتيق: ص ٢٨٠، ٢٨١.
(٣) انظر ابو زيد القرشي: مقدمة المحقق، ص ٤٢، ٤٣.
(٤) انظر د. عبد العزيز عتيق: ص ٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتكرر ذكر كثيرين منهم في هذه الكتب المختلفة ، ولا بدّ من القول أنه لولا هذه الكتب لفاتتنا الكثير من الاخبار والاشعار ، ولضاع ذكر كثير من هؤلاء الشعراء ، ولما عرفنا عنهم شيئا .

غير أنه من المؤسف حقا احتمال ضياع أجزاء من هذه الكتب ، ونقص بعضها نتيجة عوادي الزمن ، مما فوّت علينا بعض الفائدة ، ولو اكتملت لكان ذلك أكثر جدوى ، فطبقات ابن سلام لم تسلم من النقص ، فالخروم والثقوب ضيّعت قسما لا يستهان به من الطبقة الثانية ، وامتد أثرها الى الطبقة الثالثة كلها ، والرابعة كلها الا خمسة أسطر في نهايتها ، ولقد قام الاستاذ محمود شاكر بجهد جليل عوض فيه هذا النقص من خلال الاصول المطبوعة التي يرجح روايتها عن الاصول المخطوطة . (١) ونهاية كتاب ابن قتيبة لا تشعرنا بانتهائه ، ذلك لأن ابن قتيبة اعتاد على تذييل مصنفاته بعبارة توحي بانتهائها ، الا ان كتاب " الشعر والشعراء " ينتهي بترجمة للشاعر " أشجع السلمي " من غير وجود عبارة توحي بانتهاء الكتاب ، بل ان الكتاب ينتهي بهذه الجملة " أخذه من قول الآخر ، وهو ابن الدمينة " (٢) وهذا يرجح ان هنالك قسما سقط من الكتاب ، ولا نستطيع التكهن بحجم هذا القسم ، ومما يؤيد شكنا أن كتابه لم يترجم فيه لشعراء أعلام كأبي تمام (ت ٢٣١ هـ) ، بينما يترجم لدعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) مع أن ابا تمام توفي قبله وكان أشهر منه ، ومن هؤلاء الاعلام الذين لا نجد لهم ذكرا عنده البحتري ، وابن الرومي اللذين عاصراه . (٣)

وكما أشعرنا كتاب ابن قتيبة بالنقص ، فان كتاب ابن المعتز يشعرنا بذلك أيضا وكأنه متمم لكتاب آخر تقدم عليه ولم يصلنا . على أن هنالك قضية أخرى ، وهي أن ابن المعتز لا يذكر لنا مصادره ، ويكتفي بطريق السند والرواية ، ومما لا شك فيه أن ابن المعتز كان يمتلك بعض المخطوطات حين ألفّ كتابه ، وهذا يتأكد باتفاق النصوص عنده مع ما في كتاب ابن قتيبة " الشعر والشعراء " وغيره من الكتب . كما أن محمد بن الجراح وزير ابن المعتز في كتابه " الورقة " يأتي بنصوص مطابقة لما في طبقات ابن المعتز ، مما يدل على أنه كانت بحوزتهما هذه المخطوطات ، أو ان أحدهما نقل عن الآخر (٤) .

---

(١) انظر د . منير سلطان : ص ٢١٩ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٨٩ .
(٣) انظر د . عبد الحميد الجندي : ص ٢٩٨ ، ٣٠٤ .
(٤) انظر ابن المعتز : مقدمة المحقق ، ص ٥٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ للأحداث السياسية دورا بارزا في ضياع كثير من انتاج ابن المعتز، فهو قد تولى الخلافة ليوم أو بعض يوم ، لكنّ المقتدر عاد ليستولي عليها وبقي على رأسها أكثر من عشرين سنة بعد مقتل ابن المعتز .

يضاف الى ذلك أن ابن المعتز كان متهما عند الناس بكرهه للطالبيين، الذين اشتد عودهم في تلك الفترة وصار لهم وزنهم ، وهذا بدوره أدى بالناس الى أن يرغبوا عن حمل اخبار ابن المعتز ،أو الاحتفاظ بموءلفاته وانتاجه، مما أدى الى ضياع كثير من كتبه وأخباره . (١)

---

(١) انظر ابن المعتز : مقدمة المحقق ،ص ١٢ ، ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : المقاييس النقدية في تصنيف طبقات الشعراء

- تمهيد .
١ - الزمان " القدم والحداثة " .
٢ - المكان " البيئة " .
٣ - الكم والجودة .
٤ - القدرة على التصرف في أغراض الشعر .
٥ - الموضوع الشعرى :
أ . الرثاء .
ب. المديح .
ج . الهجاء .
د. الوصف .
هـ . النسيب .
وو . المجون .
٦ - الدين .
٧ - الفن الشعرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــــــد :

اعتمد أصحاب الطبقات في نقد بعضهم وتأخيرهم للشعراء في المقام الاول ، على آراء العلماء وأقوالهم اعتمادا كبيرا ، فلقد وقعوا تحت تأثير تلك الآراء لأنها تمثل تراثا نقديا أخذوه عن أساتذتهم ، فأخلصوا لهذا التراث وأجلوه ، خاصة وأن هؤلاء العلماء كانت لهم شهرتهم الواسعة وتأثيرهم الملحوظ في الجمهور ، فلم يملك مؤلفو طبقات الشعراء الا الوقوف عند هذه الآراء والأحكام النقدية والالتزام بمعظمها ، مع أنها كانت أحكاما تأثرية في غالبها لا تستند الى أسس علمية ، الا أنها نالت من السيورة والذيوع ما جعل الخروج عليها أمرا عسيرا في أكثر الأحيان . وقد حاول هؤلاء النقاد ، ومنهم ابن سلام ، اعادة النظر في تلك الآراء والأحكام ، وصياغتها من جديد لكي تصبح أكثر مرونة وفاعلية ، خاصة وأن أبرز القضايا النقدية في هذا القرن بدأت تظهر على السطح بشكل واضح ، وأخذ النقاد يتهيأون لدراستها .

ان لكتب الطبقات دورا لا يستهان به في حفظ تلك الآراء والأحكام من الضياع ، فهي تعكس لنا ملامح النقد في تلك الفترة المبكرة من حياته ، غير أن اعتماد هذه الاحكام اختلف من ناقد لآخر ، فابن سلام يعول على هذه الآراء بشكل ملحوظ ، يقول : " واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء " . (١) وأن عقله النيّر جعله يعتمد رأى الجماعة من العلماء ، لا الآراء الفردية ، الا في بعض الاحوال ، حين يكون هذا العالم موثقا ولرأيه نفاذ . يقول : " وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر ، كما اختلفت في سائر الأشياء ، فأما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه " . (٢) فهو يرى أنه ليس من المقبول الخروج على هذه الآراء التي أجمع عليها رأى جماعة العلماء . وحين قدّم امرأ القيس على سبيل المثال ، وبوأه هذه المنزلة الرفيعة ، استنار بآراء العلماء الذين أجمع جلّهم على أنه سبق الى أشياء ابتدعها ونالت الاستحسان ، واتبعه فيها الشعراء . يقول : " فاحتجّ لامرئ القيس من يقدمه قال : ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء " . (٣)

---

(١) ابن سلام : ص ٢٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ابن سلام في تقديمه لامرىء القيس يحتج بآراء العلماء الذين قدسوه دون أي تدخل منه ، مما يؤكد موافقته على هذه الآراء ، وأمثلة هذا الاحتجاج بآراء العلماء التي يسوقها من غير تدخل منه كثيرة . وهو لم يكن يجد حرجا في سؤال معاصريه من العلماء عن بعض الشعراء ، فلقد سأل بشارا العقيلي عن مكانة جرير والفرزدق والأخطل في الشعر ففضّل جريرا على الاثنين . (١) غير أننا يجب أن ننصف ابن سلام ، لأنه وان كان يتكىء على آراء العلماء ، الاّ أن له مواقف تثبت أنه كان يتدخل في بعض الاحيان ويبدي آراءه بكل ثقة وجرأة ، وقد يخالف في الرأي حين يجد ذلك واجبا . يقول في كثير : " وكان كثير شاعر أهل الحجاز ، وانهم ليقدمونه على بعض من قدّمنا عليه . وهو شاعر فحل ، ولكنه منقوص حظه بالعراق " (٢) فهو قد خالفهم وقدّم غيره عليه . ويقول في الشماخ : " فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقا " . (٣) وهذه بعض مواقف ابن سلام المتعددة التي تظهر فيها شخصيته النقدية المتميزة . ومن عبارات ابن سلام التي تتكرر كثيرا ويظهر فيها اتكاؤه على آراء العلماء ، قوله : " أخبرني فلان " ، و " قال من احتج لفلان " ، و " قال أهل النظر " ، و " أجمع الناس على شاعرية فلان " .

أما ابن قتيبة فلا يختلف كثيرا عن ابن سلام ، وقد استند على آراء العلماء الى الدرجة التي جعلت الدكتور عبد الحميد الجندي يأخذ عليه كثرة اعتماده على آراء غيره ، مما جعله ينقض ما نصّ عليه في مقدمته من أنه لن يتبع سبيل التقليد في الحكم على الشعر والشعراء . (٤) غير أن شخصية ابن قتيبة تبرز في جميع مؤلفاته خاصة في كتابه " الشعر والشعراء " فهو قد تجرأ على ما كان سائدا من أحكام نقدية جائرة ، ودعا الى الخروج عليها حين طلب من النقاد النظر في الشعراء من حيث هو شعر ، من غير تدخل الاهواء والمقاييس التي لا تمت بصلة للنقد ، كمقياس الزمان الذي كان يقدم كل ما هو قديم لمجرد قدمه ، ويؤخر كل حديث بسبب حداثته ، فكانت هذه صيحة جريئة في عالم النقد عكست شخصية ابن قتيبة النقدية المعتدلة ، التي لا تتبع سبيل التقليد . ومن عبارات ابن قتيبة في اهتدائه بآراء العلماء : " وما قيل في تقديم فلان " ، و " وما أخذه العلماء عليه " و " ويستحسن من شعر فلان " ، وغيرها .

---

(١) أنظر ابن سلام : ص ٣٧٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٥٤٠ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٢ .
(٤) أنظر د . الجندي : ص ٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن المعتز ، فنلاحظ عليه قلة استشهاده بآراء العلماء ، واتكاءه على ذوقه الخاص في الحكم على الشعر والشعراء ، وهو كما أشرنا ناقد انطباعي ، يطلق أحكامه في لحظات اعجاب وتأثر ، خاصة أن معظم شعراء طبقاته من معاصريه الذين لم تكن الآراء قد تبلورت فيهم بشكل نهائي . ومن تلك العبارات التي تصادفها عنده ، والتي نشتمّ منها رائحة اعتماده على آراء الآخرين ، " حدثني " و " وما يستطلح له قوله " ، و " وما يستجاد له " ، وغيرها .

نأتي الى أبي زيد القرشي ، الذى يبدو تأثره بآراء العلماء السابقين والمعاصرين واضحا ، ويتضح ذلك في عبارته التي يكررها في كل موقف ، من مثل قوله : وقال الذين قدموا زهيرا " ، وهي تتردد في مواضع كثيرة عند ذكر كل شاعر ، وحين يترجم لكل شاعر ، وقلما نجد لأبي زيد آراء تطلعنا على شخصيته النقدية كما نجد عند ابن سلام ، وابن قتيبة ، فهو يكاد يعتمد اعتمادا كليا على أقوال العلماء ، ويبرز دوره من خلال منهجية جمهرته ، وقدرته على التذوق والاختيار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) مقياس الزمان " القدم والحداثة " :

ان من أهم المقاييس النقدية التي اشتد الجدل والخصام ، مقياس " الزمان " ولقد أفرز هذا المقياس قضية نقدية خطيرة فيما بعد ، ألا وهي قضية القدم والحداثة ، التي دارت حولها أعتى المعارك النقدية ، فكان لكل من القديم والحديث مؤيدوه وخصومه ، ولكل فريق منهم حججه ودوافعه في تفضيل القديم أو الحديث ، كما كان هناك فريق معتدل حاول أن يتوسط في هذه القضية ويوفق بين الاتجاهين .

ان بحث هذه القضية يحتم علينا أن نتعرف على ارهاصاتها الاولى ، والمناخ الذى نمت فيه ، ذلك أن الحياة الاجتماعية في عهد الدولة العباسية شهدت تغيرا ملحوظا نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من العناصر كالفرس ، الذين لعبوا دورا مميزا في عهد الدولة العباسية . ومن نتائج اختلاط العرب بتلك العناصر الأجنبية ، دخول كثير من الموالي في الاسلام ، فبرز في الشعر نفر كثير منهم ، من مثل بشار ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وغيرهم . ومن هنا ظهرت مدرسة جديدة في الشعر العربي ، وهي مدرسة الشعراء المحدثين ، الذين سعوا الى التجديد في شكل القصيدة العربية ، عن طريق صبغ الأدب العربي بالصبغة الفارسية بالاعتماد على الزخارف اللفظية ، والتنميق ، والمحسّنات البديعية (١) وقد وقفت في وجه هذه المدرسة مدرسة أنصار القديم ، الذين رأوا في هؤلاء المحدثين خطرا لا يستهان به ، فانشدوا الى القديم وتمسكوا به ، ومن هؤلاء : أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعي ، وجمع من اللغويين ، الذين عاشوا شطرا كبيرا من حياتهم في البادية ، وتتلمذوا على أهلها ، حتى تكونت لديهم ملكة لغوية عمادها اجلال القديم ، حرصا على اللغة العربية من العبث ، وصونا لها من التيارات الجديدة التي بدأت تجد لها أنصارا ومؤيدين (٢) ، ولقد شكك هؤلاء اللغويون بقدرة المحدثين على خدمة اللغة العربية لسقم بيئتهم التي عاشوا فيها .

ولقد كان هؤلاء اللغويون يعتقدون أن اللغة العربية لغة ذات صلة وثيقة بالصحراء وما تحتويه ، ولهذا وجدوا أنها لغة تتناسب مع البادية ، وليس مع الحضارة التي تفسد الملكة الفنية ، وتأتي باللحن ، ولذلك لم يثق اللغويون

---

(١) أنظر د . محمد طاهر درويش : ص ١٧٣ .

(٢) أنظر المرجع نفسه : ص ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشعر المحدث؛ لأنه نتاج هذه الحضارة، فهو يجافي الروح العربية، وفيه من اللحن الشيء الكثير. فهذا بشار على علوّ شأنه وتمكنه لا يخلو شعره من الخطأ الكثير. يقول فيه أحمد بن عبيد الله بن عمار: " بشار أستاذ المحدثين الذي عنه أخذوا، ومن بحره اغترفوا، وأثره اقتفوا، يأتي من الخطأ والاحالة بما يفوت الاحصاء مع براعته في الشعر والخطب ". (١) وكان اللغويون مدفوعين نحو القديم لمباجتهم للشواهد، وكان على رأسهم: أبو عمرو بن العلاء(٢) الذي يقول في الاخطل: " لو أدرك الاخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قدمت عليه جاهليا ولا اسلاميا ". (٣) ولقد وصل بهم حبهم للقديم الى درجة التعصب، فكان اعجابهم بالقديم لمجرد أنه قديم، حتى أنهم لم يستطيعوا في بعض الاحيان تقديم سبب مقنع يكمن وراء هذا الغرام بالقديم، الى أن صاروا يحيون بكل جوارحهم في القديم، ولم يعترفوا للمحدثين بفضل، وها هو ذا خلف الاحمر، تبلغ به عصبيته للقديم، حد قذف ابن مناذر بوعاء مملوء بالعرق. فيما رواه الأصمعي: " قال: حضرت مأدبة، ومعنا أبو محرز خلف الاحمر، وحضرها ابن مناذر الشاعر، فقال لخلف: يا أبا محرز، ان يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا، فهذه أشعارهم مخلّدة، فقس شعري الى شعرهم، واحكم فيها بالحق، فغضب خلف، ثم أخذ صحفة مملوءة عرقا فرمى بها عليه، فقام ابن مناذر مغضبا، وأظنه هجاه بعد ذلك". (٤) وممّن حملوا لواء التعصب للقديم أيضا الاصمعي، وابن الاعرابي، وابو عبيدة، وغيرهم. يقول ابن الاعرابي مستهينا بشعر هؤلاء المحدثين: " انما أشعار هؤلاء المحدثين، مثل أبي نواس. وغيره، مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به. وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا ". (٥)

وقصة الاصمعي مع اسحق الموصلي معروفة، حين طرب لأبيات سمعها من اسحق على أنها من الشعر القديم، ولكنه عاد وانتقص منها حين عرف أنها حديثة العهد. فقد جاء في الموازنة أن الاصمعي كان يتعصب للشعر القديم على المحدث " وذلك أن اسحق بن ابراهيم الموصلي أنشد الاصمعي:

هَلْ إلى نَظْرةٍ اليك سَبيلُ ... فيروّى الصَّدى وَيَشْفى الغَليلُ
انّ مَا قَلّ مِنْك يَكْثُرُ عِنْدى ... وكَثيرٌ ممن تُحِبُّ القَليلُ

---

(١) المرزباني: ص ٢٢٧.
(٢) انظر د. عبد الحميد الجندي: ص ٣٢٨، ٣٢٩.
(٣) الاصمعي: ص ١٣.
(٤) المرزباني: ص ٢٩٦.
(٥) المرزباني: ص ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال الاصمعي : لمن تشدني ؟ فقال : لبعض الاعراب ، قال : والله هذا هو الديباج الخسرواني ، قال : فانهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بين عليهما " . (١)

ان مشكلة " القديم والحديث " هي افراز لذلك التغير في الذوق الذى مجّ القديم وملّ ترداده ، فنزع الى كل جديد وغريب ، وكما كان هنالك أنصار للقديم ، كان هنالك أيضا أنصار للحديث ، الذين لم يقفوا متفرجين من هذه القضية ، وهم أنفسهم الشعراء المحدثون كأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبي تمام ، وابن المعتز . أما دور أبي نواس فهو دور متميّز في التصدى لأنصار القديم ، فقد حطّ من قدرهم ، ومن قدر الشعر القديم ، وطريقة الشعراء في الوقوف على الاطلال ومناجاة الديار ، وغير ذلك ، ولكن دعوة أبي نواس الى التخلي عن أساليب القدماء لم تجد أى صدى ، فقد بقي الشعراء يحتذون القدماء وينسجون على منوالهم ، وما من شك في أن لأبي نواس دوافعه التي جعلته ينتقص من قدر القديم ، ويدعو الى نبذ طرائقه ، ومنها أنه أدرك ذلك التغير الذى طرأ على حياة العرب من البداوة الى الحضارة ، فلم يجد مبررا يدعو الى الاستمرار في احتذاء القدماء ، لأن ما كان يناسب بيئتهم أصبح لا يتناسب مع البيئة الجديدة . (٢)

ومن هنا فاننا أمام ثلاثة مواقف كانت سائدة في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث : موقف المتعصبين للقديم ، وموقف المتعصبين للحديث ، وموقف توفيقي بين الموقفين السابقين .

لقد كان هذا هو الجو السائد ، فلم يستطع النقاد الذين ملك القديم عليهم نفوسهم وأفئدتهم الخلاص من أسره ، والنظر لشعر المحدثين نظرة توازى نظرتهم للقديم ، فبقيت مقاييس القديم هي السائدة ، وهذا يظهر بوضوح عند ابن سلام ، الذى تجاوز شعراء عصره ، ولم يترجم لهم في طبقاته ، من مثل مروان بن أبي حفصة ، وبشار ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وغيرهم ، فاقتصرت طبقاته على شعراء الجاهلية ، وصدر الاسلام ، وعصر بني أمية . ولا نكاد نعثر على سبب واضح لتجاوزه هؤلاء الشعراء الذين كان لهم حضورهم في أذهان الناس ، الا أن يكون اغفاله آتيا من رغبته في الاستعانة بآراء ثقات العلماء في الشعراء الذين غادروا الدنيا ، وأصبح نتاجهم ملكا للعلماء والنقاد ، يقولون

---

(١) الآمدى : الموازنة بين شعر ابي تمام والبحترى ، تحقيق السيد احمد صقر ، ج ١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٣ .

(٢) أنظر د . داود سلام : النقد العربي القديم ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه من غير وجل أو هوى . أما من عاصره من الشعراء فكأن الآراء فيهم لم تكن قد تبلورت بعد ، بحيث يتكئ عليها . (١) وابن سلام في تصنيفه للشعراء على أساس القدم كان متأثرا بابن سعد الذى قسم الصحابة في طبقات ، وفق سابقتهم ومنزلتهم في الاسلام . وقد تابع أبو زيد القرشي ابن سلام في تعصبه للقديم حين ذهب الى أن المحدثين لم يأتوا بجديد ، بل اضطروا الى الاختلاس من القدماء ، وهو يقتصر في اختياراته على الشعر القديم لأنه في نظره الأساس . يقول : " فلما لم نجد أحدا من الشعراء بعدهم الا مضطرا الى اختلاس محاسن ألفاظهم ، ووجدناهم مكتفين عن الاضطرار الى غيرهم بمعرفتهم ".(٢) ويضيف قائلا : " ولولا أن الكلام مشترك لكانوا قد حازوه دون غيرهم ، فأخذنا من أشعارهم ، اذ كانوا هم الأصل ، غررا هي عيون أشعارهم ، وزمام ديوانهم ".(٣)

ان المعركة بين القديم والحديث استمرت دائرة على أشدها ، الى أن بدأ هذا الحديث ينضج فنيا ويتمكن ، فأصبح له أنصاره ومؤيدوه ، حتى أن بعض النقاد ممن تعصبوا للقديم وأفرطوا في تعصبهم كأبي عمرو بن العلاء أخذوا يعدلون من آرائهم بعض الشيء حين لاحظوا ما أحرزه الشعر الحديث من مستوى جيد . يقول ابو عمرو بن العلاء : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته " . (٤)

وهذه شهادة لها وزنها من عالم خبير كأبي عمرو . وكان هذا بداية لظهور الاتجاه التوفيقي في الشعر عند بعض النقاد ، الذين نظروا للشعر من حيث جودته ومستواه الفني دون أن يقحموا الزمن في هذه القضية ، وهذا مما ساعد على انحسار هذه المعركة تدريجيا ، ولقد كان هؤلاء النقاد التوفيقيين من تلامذة القديم الذين وجدوا في الشعر الحديث امتدادا له فآزروه . (٥) ثم انتقلت المفاضلة فيما بعد الى الشعر الحديث ذاته ، وذلك حين صارت الحداثة متباينة ، فعقدت الموازنات بين الشعراء المحدثين أنفسهم ، كالموازنة بين أبي تمام والبحتري ، والموازنة بين العباس بن الاحنف والمتابي . (٦)

---

(١) أنظر د . بدوى طبانة : دراسات في نقد العرب ، ص ١٢٠ .
(٢) ابوزيد القرشي : ص ١١٠ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١١٠ .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٦٩ .
(٥) أنظر د . احسان عباس: ص ٨٩ .
(٦) أنظر المرجع نفسه : ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اننا لا نجد ناقدا توفيقيا قبل ابن قتيبة غير الجاحظ، الذى رفض تفضيل القديم لقدمه، أو للحاجة الى الشاهد اللغوى، فكان نقده يرتكز على النظر للصورة الادبية. وقد دافع عن المحدثين بجرأة أعلنها في قوله: " والقضية التي لا أحتشم فيها ولا أهاب الخصومة منها: أن عامة العرب والاعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الامصار والقرى، من المولدة والنابتة. وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت ناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى. ولو كان له بصر لعرف موضع الجيّد ممن كان وفي أى زمان كان ". (١)

يأتي ابن قتيبة بعد ذلك ليرفض بدوره ما كان سائدا من تعصب أعمى للقديم، وجور على المحدثين. ووقفته هذه شكلت نقطة تحوّل في تاريخ النقد العربي، اذ فتح الباب لكل من كان عاجزا عن الدعوة لانصاف المحدثين. ومما ساعد ابن قتيبة على أن يجهر بموقفه هذا أن شعر المحدثين بدأ يجد قبولا واستحسانا عند خاصة الناس وعامتهم، فأثبت جدارته بفضل شعراء كبار رفعوه الى هذا المستوى كأبي نواس ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، وغيرهم. فهو يقف موقفا وسطا بين القدماء والمحدثين، وربما كان لاشتغاله في القضاء أثر في موقفه المعتدل. يقول: " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظّه. ووفرت عليه حقه ". (٢) وهو يحرص على التأكيد على مبدأ الجودة في أكثر من موضع. يقول: " ولا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد، يستطيع أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد الا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره ". (٣) فهو لا يراعي غير مبدأ الجودة، ويغض الطرف عن أية اعتبارات أخرى كالزمن، أو المكانة الاجتماعية. يقول: " كما أن الردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ". (٤) وهو لا يكتفي بذلك، بل أنه يعرض بمن كانوا ينظرون الى الشاعر قبل شعره، فيجذبهم له قدمه، أو تنفرهم منه حداثته. يقول:

---

(١) الجاحظ: الحيوان، ٣/١٣٠.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ص ٨٧.
(٤) المصدر نفسه: ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الاّ أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله " . (١) وكأننا به يحمل على ابن سلام وغيره ممن انحازوا الى القدماء تعصبا .

ثم يمضي ابن قتيبة في الانتصاف لهؤلاء المحدثين حين يلح على أنه لا يوجد قديم مطلق ولا حديث مطلق ، لأن القديم كان حديثا ، والحديث سيصبح قديما . يقول : " فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن يعدنا ، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء وأشباههم " . (٢)

ويذهب ابن قتيبة الى أن التفوق الفني والعبقرية ليست حكرا على القدماء وانما يمنحها الله سبحانه للناس في كل زمان ومكان . يقول : " ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر " . (٣) ولكنّ ابن قتيبة في معظم ما قاله بشأن الانتصاف للمحدثين كان منظرا لا أكثر ، فهو للأسف لم يستطع تطبيق كل ما نصّ عليه لأنه بقي مشدودا نحو القديم ، ذلك لأن المقاييس التي اعتمدها في جودة الشعر وقبحه هي ذاتها مقاييس الشعر القديم ، فاذا خضع لها القديم والحديث رجح القديم . وها هو ذا ابن قتيبة يجذبه القديم فيدعو الى عدم الخروج على أساليب القدماء في بناء القصيدة العربية وأقسامها المتعارف عليها . يقول : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام " . (٤) فهو معجب بالنسج الجاهلي للقصيدة العربية . وهذا النسج من المقاييس القديمة التي لا تتناسب مع البيئة الجديدة ، لأن الشاعر المحدث لن يفلح في وصف الاطلال أو الصحراء من غير أن يحيا حياة البادية والصحراء . ومن هنا فان للمحدثين مجالات جديدة يجب أن يتبعوها ، ومن هنا جاءت دعوة أبي نواس الى نبذ الوقوف على الاطلال ، والاستعاضة عنها بالوقوف على الحانات ، على الرغم من أن هذا لم يكن تجديدا فنيا من أبي نواس ، وانما كان تجديدا في الموضوع لا أكثر .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٦٨ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٦٩ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٩ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا ما يعتبره الدكتور احسان عباس تقليدا شكليا مستهجنا يقوم على احلال أدوات الحضارة محل أدوات البداوة في الشعر . (١)

اننا على الرغم من كل هذا لا نستطيع أن نغفل ابن قتيبة حقه . فهو قد امتلك من الجرأة ما لم يتح لغيره ، حين جاهر بدعوته هذه في جوّ كان مشحونا بحب القديم والقدماء ، كما أنه من الناحية العملية ترجم لمعظم الشعراء المحدثين ، مشيدا بهم ، وقد تعقّب بعض القدماء الذين قدموا لمجرد كونهم قدماء ، وجرح بعضهم بابراز ما لهم من عيوب وأخطاء . وهو وان كان قد طالب المحدثين بعدم الخروج على بناء القصيدة العربية الاّ أنه رفض أن يقلّد الشاعر المحدّث الشاعر القديم في استخدام غريب اللغة وبعض التراكيب الثقيلة التي تمجها الأسماع. يقول : " وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذى لم يكثر ، ككثير من أبنية سيبويه ، واستعمال اللغة القليلة في العرب ". (٢) الاّ أنه يؤخذ عليه اهماله لبعض فحول المحدثين كأبي تمام ، والبحترى ، وابن الرومي ، الذين كانوا أعلاما في زمنه ، على الرغم من أنه ترجم لشعراء كثيرين كانوا دونهم .

أما ابن المعتز فانه يمثل اتجاها مختلفا في نظره لقضية القدم والحداثة ، فكما رأينا ابن سلام يتعصّب للقديم والقدماء ، ووجدنا ابن قتيبة يحاول الوقوف موقفا وسطا ، فان ابن المعتز انحاز الى المحدثين منذ البداية وألف كتابه في طبقاتهم دون غيرهم. وقد عزا اتجاهه هذا الى ما أحرزه الحديث من سبق وانتشار بين الناس ، أن الطلب على الشعر المحدث أصبح ملحا لما احرزه من مكانة يحسد عليها ، خاصة وأن هذا الشعر ذاع على ألسنة الخاصة والعامة. يقول : " والذى يستعمل في زماننا انما هو أشعار المحدثين ". (٣) كما أنه يرمي الى اظهار مزايا شعراء عصره ، سيما وأنه واحد منهم ، ويريد أن ينبه الى قدراتهم ومحاسنهم. وعلى الرغم من كل هذا الحماس للحديث والمحدثين ، الاّ أننا نجده ما يزال واقعا تحت تأثير القديم والقدماء . (٤) ولقد استمرت المعركة حول القديم والحديث فيما بعد . لكننا نلاحظ انحسارا في التعصّب الحاد نحو القديم ، وظهور طبقة من المعتدلين الذين فهموا القضية وتروّوا في النظر اليها ، فها هو ذا ابن طباطبا يدرك أبعاد الأزمة وما يعانيه

---

(١) أنظر د . احسان عباس : ص ١١٣ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٠٧ .
(٣) ابن المعتز : ص ٨٦ .
(٤) أنظر د . محمود السمرة : القاضي الجرجاني ، ط٢ ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر المحدث من ضيق المجال ،فوجد العذر للمحدثين حين يقتدون بالشعراء القدامى . يقول : " والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح وحيلة لطيفة ،وخلابة ساحرة ". (١) وبعد ذلك جاء نقاد كالقاضي الجرجاني ، وابن رشيق ،فاعترضوا على أن يكون الزمن هو الفيصل في الحكم على الشعر،ورأوا ان الجودة هي المعيار الاسلم . وعلى الرغم من كل ذلك فان قضية القدم والحداثة قضية موجودة في كل زمان ومكان . يقول الدكتور محمود السمرة : " وما دام الفن عامة تعبيرا عن نفس الفنان وما دامت الأصالة هي طابع الفنان الحق ، فان المعركة بين القديم والحديث أمر محتوم ". (٢)

---

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر ،تحقيق وتعليق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة ،١٩٥٦ ،ص ٨ ، ٩ .

(٢) د . محمود السمرة : ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

( ) مقياس المكان " البيئة " :

ان للبيئة دورا بارزا في حفز القرائح وشحذ الشعور واثارة الوجدان، كما أن لكل بيئة سماتها الخاصة بها التي تظهر آثارها على شعرائها، فتنطبع صورها في نفوسهم، وتلعب دورها في تحريك أحاسيسهم. فهذه الصحراء التي عاش فيها الشاعر البدوي الجاهلي تركت أثرها فيه وأعطته سمات مميزة من سماتها. يقول احمد امين: " للصحراء موسيقى ذات نغمة واحدة متكررة موسيقى عابسة قاسية، رهيبة عظيمة، فلا عجب أن ترى أهلها قد استولى عليهم نوع من انقباض النفس أو الكآبة أو الوجد، ولا عجب أيضا أن يتغنى شعراؤها بنوع واحد من القول ونغمة واحدة، لأن الصحراء توقع في نفوسهم صوتا واحدا فيشعرون — كما تلقوا — شعورا واحدا ". (١)

ان لكل بيئة هواءها وماءها وطبيعتها المميزة التي تلون نفسية ساكنها، ومما يشيع بين الناس أن أهل البادية أكثر صفاء ذهن من سكان المدن، وأن أهل البلاد الباردة أكثر حيوية من أهل البلاد الحارة، كما أن أهل الجبال أكثر نشاطا وصفاء ذهن من أهل السهول. (٢) ومما يرويه محمد ابن أبي العتاهية انه قال: " أنشدت أبي أبا العتاهية شعرا من شعري، فقال لي: أخرج الى الشام. قلت لم؟ قال: لأنك لست من شعراء العراق: أنت ثقيل الظل، مظلم الهواء، جامد النسيم ". (٣) فها هو ذا أبو العتاهية لا يقبل لابنه أن يكون من أبناء العراق، وأنه أقرب الى أن يكون من أبناء الشام، لأن ظلّه ثقيل كظلّها، وهواءه مظلم كهواءها. فهو يفرق بين البيئتين، لأن لكل بيئة منهما طبيعتها الخاصة، وجوّها النفسي المميز، الذي يعكسه أدب أبنائها.

يقول الدكتور طه حسين: " والظاهرة التي لا شكّ فيها أننا اذا نظرنا الى البلاد الاسلامية في العصر الاسلامي وجدنا أن الشعر كان موجودا في بعض الاقاليم وكان مزدهرا، ولكنه لا يكاد يوجد في الأقاليم الاخرى. هو موجود مزدهر في الحجاز وفي العراق باديته وحاضرته، وهو متواضع متوار في الشام اذ لا يكاد يوجد في الشام الّا شاعر أو شاعران، والشعر الذي نجده أو نسمعه في

---

(١) أحمد أمين: فجر الاسلام، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٥، ٤٦.
(٢) أنظر جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ص ٧٣.
(٣) المرزباني: ص ٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام في العصر الاموى انما هو شعر يحمل اليه من الاقاليم الاخرى". (١) وعلى هذا فان لكل بيئة ظروفها الخاصة بها ، سواء أكانت تلك الظروف اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية ،ولذلك فان تأثيراتها تؤدى الى اختلاف الشعراء من بيئة الى أخرى وفق تلك الظروف والمؤثرات ،وقد يتعدى هذا الاختلاف فنية الشعر الى فنونه ،ومن هنا وجدنا أن نصيب الحجاز من شعر المدح والهجاء لم يكن وافرا كما كان نصيبها من الغزل الذى أكثروا منه بسبب تلك الحياة اللاهية التي كانوا يحيونها ،بينما نجد شعراء نجد وبادية العراق يسرفون في شعر المدح والهجاء والفخر كما كان الحال قبل الاسلام ،بل ان تأثير هذه الظروف قد يمتد الى داخل البيئة ذاتها ، فهذه بيئة الحجاز التي اشتهرت بالغزل لم يكن غزل حواضرها كغزل بواديها ،ففي غزل البادية عذوبة ورقّة وعفّة ، وفي غزل الحاضرة دعابة ومجون وتهتك ،ثم يصل هذا التباين الى داخل الحواضر نفسها ، فالغزل في مكة ليس كما هو في المدينة ؛ لأن مكة بقيت تحتفظ بتقاليدها العربية القديمة وتحترمها ، بينما كان الوضع في المدينة مختلفا بسبب ما ألمّ بها من أحداث جسام حدّت من سيطرة تلك التقاليد ، اضافة الى دخول عنصر الموالي وانتشاره فيها ، فكان لهم دور لا يستهان به في ما ظهر من شعر متهتك ، كله فسق ومجون . (٢)

ان الأدب انعكاس لصورة الاوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي تسود في أى مكان ،ولهذا وجدنا ان الشعر الاسلامي عكس لنا صورة الدعوة الاسلامية وما واجهته في طريق انتشارها ، كما عكس لنا الأدب الاموى بشعره وخطابته الصراع السياسي الذى دار في تلك الفترة ،والاوضاع الاجتماعية التي نتجت عن الدعة والترف والفراغ الذى ساد في أيام بني أمية . وان الشعر العباسي سجل للنهضة العامة التي شهدها هذا العصر، اضافة الى حياة الخلفاء بما فيها من مباهج ومظاهر لهو وترف. (٣) ولا أدل على أثر البيئة في قول الشعر أن اليهود حين قدموا الى بلاد العرب واستقروا فيها تأثروا بهذه البيئة وظهر فيهم الشعر وبرع منهم شعراء . (٤)

لقد تبنّه ابن سلام لكل مظاهر هذا الاختلاف بين البيئات حين صنف الشعراء ،وكان يقصد بالبيئة مجموعة العوامل الطبيعية والسياسية والاجتماعية

---

(١) د . طه حسين : من تاريخ الادب العربي ،ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .
(٢) انظر المرجع نفسه : ص ٤٦٨ ، ٤٧٦ .
(٣) انظر د . محمد طاهر درويش : ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) انظر د . طه حسين : من تاريخ الادب العربي ،ص ٤٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تحيط بحياة الشاعر والتي تؤثر في نفسيته ومزاجه تأثيرا ملحوظا ،فلقد قسم الشعراء الى شعراء وبر " بدو " ،وشعراء مدر " حضر " ، وجعل شعراء البادية في احدى عشرة طبقة ،خصص الطبقة الحادية عشرة منها لأصحاب المراثي . ثم نظر في شعراء الحضر فوجدهم يتركزون في خمس قرى حصرها ابن سلام بقوله : " وهي خمس : المدينة ،ومكة ،والطائف ،واليمامة ،والبحرين ، وأشعرهن قرية المدينة ". (١)

لقد أدرك ابن سلام بنظره الثاقب تلك الفروق بين شعر البادية ،وشعر الحاضرة ، فلكل بيئة منها صورها وأخيلتها الخاصة بها ،كما أنه مدرك لما أحدثه التحضّر من تغيّر في الملكة الفنية ، فشعر البادية يعكس بصدق صورة الحياة البدوية بصحرائها ومفازاتها وحيواناتها ، بينما نجد أن شعر الحواضر يعبر عن روح الحضارة الجديدة . اذ أنه يعكس نعومة الحضارة وذلك الترف والرخاء الذي كانت تنعم به .

ان ابن سلام أول من لاحظ أثر البيئة في الخصائص الفنية للشعر حين تحدث عن عدي بن زيد ،الذي أضعفت الحضارة من الفاظه ورققتها . يقول : " وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ،فلان لسانه وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد . واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر". (٢) وكان أبو عمرو بن العلاء قد تنبه لذلك حين قال في عدي : " والعرب لا تروي شعره ،لأن ألفاظه ليست بنجدية ". (٣) وقد أكد ابن قتيبة فيما بعد قول ابن سلام في عدي وكرر ما قاله (٤) وهو يقول في شعر أبي دؤاد الايادي وشعر عدي : " والعرب لا تروى شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ،وذلك لأن ألفاظهما ليست بنجدية ". (٥)

يرى ابن سلام أيضا أن التشابه بين لغة الحواضر قد يؤدي الى الانتحال، ودليل ذلك عنده حسان بن ثابت . يقول : " وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد . لما تعاظمت قريش واستتبت ، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى "(٦) .

---

(١) ابن سلام : ص ٢١٥ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٠ .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٢٣٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٣١ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٢٤٤ ، المرزباني : ص ٦٦ .
(٦) ابن سلام : ص ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فابن سلام يرى أن التحضر يذهب بجزالة الالفاظ،فتصبح لينة مشكلة على العلماء. يقول : " وأشعار قريش أشعار فيها لين ، فتشكل بعض الاشكال "(١)

وعلى هذا فان طبيعة الحياة تفرض الالفاظ المستخدمة وتغير فيها ،فاما أن تكون الالفاظ رقيقة كرقة حياة أهلها ،واما أن تكون خشنة كخشونة حياة أهلها . يقول الدكتور طه حسين : " فاذا وفق الشاعر أن يعيش عيشة نعيم كما وفق الى ذلك شعراء المدن في الحجاز فستكون معانيه معاني مترفين ، وستكون ألفاظه ألفاظ المترفين . . . واذا ظل بدويا خشن العيش كما كان الحال في نجد وبادية العراق فسيظل الشعر بدويا في ألفاظه ومعانيه ". (٢)

ولقد كانت أعلى درجات التبدى عند العلماء تتمثل في أهل نجد الذين كانوا أقوى شاعرية من غيرهم في بلاد العرب بسبب موقعهم الذى أكسبهم صفاء ذهن آت من هوائها الجميل ونسيمها العليل ،ولذلك فان العرب كانت لا تقبل بعض الشعر لأن ألفاظه لم تكن ألفاظا نجدية . (٣)

ان رسوخ نمط الشعر البدوى في أذهان العلماء واللغويين آنذاك جعلهم ينفرون من كل جديد حتى ولو كان حسنا ،فهم لا يجدون الجزالة والمتانة الا في ألفاظ البادية ولغتها ،بسبب بحثهم عن الشاهد اللغوى الاصيل الذى لم تتسرب اليه المؤثرات الوافدة. وقد كانوا يدركون أن ليس كل شعراء البادية على الدرجة نفسها من الفصاحة والسلامة اللغوية ،ولكنهم يتفاوتون في درجات تبعا لدرجة تبديهم وبعدهم عن المؤثرات الاجنبية. (٤) ولذلك فقد اعتبر الأصمعي ذا الرمة حجة لأنه كان موغلا في تبديه . يقول : " وذو الرمة حجة لأنه بدوى " (٥). وهو لا يعتبر الكميت أو الطرماح حجة لأنهما كانا مولدين . يقول : " الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مولد وكذلك الطرماح "(٦) وقد كان أبو عبيدة يقول : " أشعر الناس أهل الوبر خاصة ،منهم امرؤ القيس، وزهير والنابغة ". (٧) ولقد لخص ابن جني هذا النزوع نحو شعر البادية،وهذا

---

(١) ابن سلام : ص ٢٤٥ .
(٢) د . طه حسين : من تاريخ الادب العربي ،ص ٤٦٨ .
(٣) أنظر جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية،ص ٧٣ .
(٤) انظر د . عثمان موافي : الخصومة بين القدماء والمحدثين، مؤسسة الثقافة الجامعية ،الاسكندرية ، ؟ ،ص ١٧ .
(٥) الأصمعي : ص ٢٠ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٢٠ .
(٧) ابو زيد القرشي : ص ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفور من شعر الحواضر بقوله : " ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصلحتهم لم يعرض للغتهم شيء من الفساد لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من الخلل والفساد لوجب رفض لغتهما ". (١)

قام ابن سلام بتصنيف القرى العربية وفق جودة شعرها ، وفضل المدينة على باقي القرى العربية بقوله : " وأشعرهن قرية المدينة ". (٢) وهو في تقديمه لها ينطلق من الربط بين البيئة وما كان يحدث من حروب ومنازعات ، ويظهر ذلك في حديثه عن أهل الطائف فيقول : " وبالطائف شعر وليس بالكثير وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان ، وأهل الطائف في طرف". (٣)

ومن هنا فان بعد أهل الطائف وعزلتها على جبل جعلها قليلة الاحتكاك بغيرها من القبائل ، فلم يكن لها وقائع مشهورة ، وهذا الذي قلل شعرها . الا أننا نجد الجاحظ غير راض عن الربط بين البيئة وكثرة الشعر أو قلته . يقول : " وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرا كلها ، ومع ذلك لم تر قبيلة قط أقل شعرا منهم " (٤)

ان ابن سلام وان استطاع أن يفرق بين الشعراء الجاهليين من سكان البادية وسكان الحضر ، غير أنه لم يستطع أن يطلعنا على مكانة شعراء القرى ، فهو لم يبين لنا مرتبة بعضهم كحسان بن ثابت مثلا . فهو يضع شعراء كل قرية في مرتبة واحدة دون مفاضلة بين شعرائها . غير أن ابن سلام لا يفوته أن يعترف لأهل القرى بما كانوا يتمتعون به من حس موسيقي مرهف ، ودليله على ذلك أن النابغة لم يفطن الى ما في شعره من اقواء الا حين قدم المدينة وغنته اياه بعض الجواري فقال : " قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس "(٥) فهو يرى أن أهل القرى على علم ودراية بصورة الحروف ومخارجها نتيجة لنمو حضارتهم ومعرفتهم للكتابة مما جعلهم لا يخلطون فيها كما يفعل أهل البادية . يقول : " وأهل القرى ألطف نظرا من أهل المدن ، وكانوا يكتبون ، لجوارهم أهل الكتاب ". (٦)

---

(١) السيوطي : الاقتراح ، ط٢ ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد ١٣٥٩ هـ ، ص ٢٤ .
(٢) ابن سلام : ص ٢١٥ . (٣) المصدر نفسه : ص ٢٥٩ .
(٤) الجاحظ : الحيوان ، ٤/ ٣٨٠ .
(٥) ابن سلام : ص ٦٨ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اننا لا نجد غير ابن سلام من أصحاب الطبقات وقف هذه الوقفة عند أثر البيئة في الشعر، وكل ما نجده عند ابن قتيبة عبارة عن اشارات سبقه اليها ابن سلام ، فكان دوره أن كرّرها دون أن يضيف شيئا ، من مثل ذكره لما أحدثه الريف في شعر عدى بن زيد من ضعف وركاكة . (١) وهذا ينطبق على أن ابن المعتز الذى لا نجد عنده سوى اشارة تدل على ما للحضر من أثر في افساد الملكة الفنية ، مستدلا على ذلك بالشاعر عمارة بن عقيل الذى قدم من البادية الى الحضر وكان شاعرا لا يشق له غبار، ولكن دعة العيش وترفه سلبته فصاحته ودينه . (٢) وهنالك اشارة أخرى عند ابن المعتز تدل على ما يتمتع به ساكنو الجبال من شاعرية بسبب ما يتاح لهم من صفاء في الذهن . فهو يقول في العنبرى الاصبهاني : "وكان علي بن عاصم هذا من الشعراء المجيدين . وكان يسكن الجبل . وكان قد دخل العراق ومدح ملوكها . ولو أقام بها لخضعت له رقاب الشعراء". (٣)

ان مراعاة عامل البيئة كمؤثر في الشعر أمر تنبه له قدامى النقاد العرب ، وفصلوا فيه القول ، وكان لهم فضل السبق في بحث جوانبه خاصة ابن سلام الذى أدرك ما للبيئة من أثر في صقل الشاعرية ، ومدها بالصور والافكار . واننا يجب ألاّ نؤخذ بما وصل اليه محدثو النقاد ، خاصة الغربيين منهم في هذا المجال ؛ فلقد استطاع ابن سلام أن يربط الأدب ببيئة قبلهم بعشرة قرون .

---

(١) أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٣٦ .
(٢) انظر ابن المعتز : ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٣٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) مقياس الكم والجودة :

اهتم ابن سلام بقضية القلة والكثرة في الشعر ، وتعرض أثناء حديثه عن أثر البيئة في الشعر الى البواعث التي تحفز على قول الشعر فتؤدى الى كثرته أو قلته . وهو واثق من أن البيئة العربية أفرزت تراثا شعريا كثيرا ، بحكم منزلة الشعر في النفوس . يقول : " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، واليه يصيرون " . (١) وهو يستدل بقول أبي عمرو بن العلاء في وفرة الشعر عند العرب . يقول : " ما انتهى اليهم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " . (٢) ويؤكد ابن سلام هذه الوفرة بأنه كان من الصعب تقصّي شعر قبيلة واحدة من القبائل العربية . يقول : " إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب " . (٣) ومن هنا فان ابن سلام نظر للكم كمقياس صنف شعراءه وفقه بتأثير من الجو العام الذى كان يفضل الشاعر المكثر على الشاعر المقل . وهو متأثر في هذه الناحية بالأصمعي الذى استثنى كثيرا من الشعراء من طبقة الفحول ؛ لأن الفحولة تعني عنده الكثرة مع الجودة ، ولذلك فانه حين سئل عن الحويدرة قال : " لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا " . (٤) وحين سئل عن مهلهل قال : " ليس بفحل ولو كان قال مثل قوله : أليلتنا بذى جُشَم أنيرى ، كان أفحلهم " . (٥) وأمثلة هذه الاستثناءات بدافع الكم والكيف كثيرة عند الاصمعي . وهو وان كان قد أبعد بعض الشعراء من طبقة الفحول لهذا السبب ، فانه بمقابل ذلك عدّ بعض الشعراء في عداد الفحول لوفرة شعرهم . فحين سئل عن أعشى همدان قال : "هو من الفحول وهو اسلامي كثير الشعر " . (٦)

ان التفاضل في قلة الشعر وكثرته لم يكن وقفا على الافراد وانما تعدى ذلك الى القبائل والمدن ؛ فان القبيلة أو المدينة التي كانت كثيرة الشعر تفضّل على غيرها ممن هي دونها . وها هو ذا الاصمعي يسقط من حسابه قبيلتي كلب وشيبان لقلة شعرهما . يقول : " ولم أر أقل شعرا من كلب وشيبان " . (٧)

---

(١) ابن سلام : ص ٢٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧ .
(٤) الاصمعي : ص ١٢ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٢ .
(٦) المصدر نفسه : ص ١٤ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظر ابن سلام الى البحرين على أنها من القرى العربية المشهورة في الشعر لكثرة شعرها وجودته . قال : " وفي البحرين شعر كثير جيّد وفصاحة". (١)

ان ابن سلام يعتدّ بهذا المقياس الذى يركن اليه العلماء ويقيّمون الشاعر من خلاله ،فلم يملك الاّ أن يجعله من أبرز مقاييسه النقدية التي صنف وفقها الشعراء ، وكأنه يعني به طول نفس الشاعر وكثرة شعره وكفاءته الشاعرية .(٢) وهو لا يجد الشاعر كفوءا للطبقة التي يحل فيها الاّ حين يتحقق لشعره هذا المطلب ، ويبدو هنا تأثر ابن سلام بالطبقات الدينية ،فالجودة في الشعر عنده تلتقي مع الدقة وضبط الرواية عند علماء الحديث . ويتضح لنا مطلب ابن سلام هذا في حديثه عن شعراء الطبقة السابعة . يقول : " أربعة رهط محكمون مقلون ،وفي أشعارهم قلة ،فذاك الذى أخّرهم "(٣) . وهو يعتذر لوضعه طرفة وعبيد بن الابرص في الطبقة الرابعة ،وكان حقهما التقديم ، لقلة ما وصل لهم من شعر . يقول : " وهم أربعة رهط فحول شعراء ،موضعهم مع الاوائل، وانما أخلّ بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة "(٤) ثم يضع في الطبقة السادسة شعراء كبار كعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة وسويد . فهو لم يعتبر لكل واحد منهم غير قصيدة واحدة جيدة من كل ما لهم من قصائد . يقول فيهم : " اربعة رهط ،لكل واحد منهم واحدة ".(٥) ولم تمنعه جودة شعر قراد بن حنش من أن كبار الشعراء كزهير كانوا يسطون على شعره من أن يؤخره الى الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين لأنه كان مقلا . يقول فيه : " وكان قليل الشعر جيّده ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدّعيه منهم زهير بن أبي سلمى "(٦)

ان اهتمام ابن سلام بالكم ليس بمعزل عن الجودة . فهو بعد أن عدّ أربعة من كبار شعراء الهراثي ،فاضل بينهم فوجد أن اعلاهم درجة متمم بن نويرة . يقول : " والمقدم عندنا متمم بن نويره ". (٧) وتفضيله لمتمم لأنه رثى أخاه مالكا فأكثر وأجاد . فاقترنت عنده الكثرة مع الجودة .

---

(١) ابن سلام : ص ٢٧١ .
(٢) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ١٨٦ .
(٣) ابن سلام : ص ١٥٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٧ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٥١ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٧٣٣ .
(٧) المصدر نفسه : ص ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول في حسان بن ثابت : " وهو كثير الشعر جيده ". (١) وعلى هذا فان الكثرة والجودة أمران متلازمان في الحاق الشعراء في طبقة الفحول. الاّ أن الكم أمر متفاوت بين الشعراء. فلا يوجد عدد ثابت ومحدد من القصائد يفترض أن تكون للشاعر. فقد لا تكفل قصيدة واحدة جيدة تقدمة شاعر كما هو بالنسبة للاسود بن يعفر الذى قال فيه ابن سلام : " وله واحدة رائعة طويلة لا حقة بأجود الشعر، ولو كان شعرها يمثلها قدمناه على مرتبته ". (٢) بينما نجد أن ثلاث قصائد جياد تكفي عنده لاحلال علقمة الفحل في الطبقة الرابعة. يقول : " ولابن عبدة ثلاث روائع جياد، لا يفوقهن شعر " (٣). بينما احتاج وضع عدى بن زيد في الطبقة ذاتها اربع قصائد. يقول : " وله اربع قصائد غرر روائع مبرزات ". (٤)

ومن هنا فان الكثرة مع الجودة أمر نسبي يتفاوت من شاعر لآخر، لأن الكثرة في الشعر العادى لا تعني شيئا، وانما الكثرة في الجيد منه. فقد تكون ثلاث قصائد أو أربع، أو عشر. وعلى كل فان الجودة كانت تملي على ابن سلام عدد القصائد التي يجب ان تكون للشاعر. فقد تغني قصيدتان بلغتا من الجودة درجة عالية عن خمس أو ست قصائد لم تصل الى مرتبة هاتين القصيدتين في الجودة. يقول الرافعي : " ولا يبعد أن يشتهر الشاعر الجاهلي بالقصيدة الواحدة، بل الابيات القليلة، بل بالبيت المفرد ؛ لأنهم يزنون الكلمة بمقدار ما تحرك من ميزانها الطبيعي الذى هو القلب ". (٥)

ان ما نأخذه على ابن سلام في هذا المعيار أنه لم يطبقه في جميع الاحوال، فهو قد التزمه حينا، وتركه أحيانا أخرى، ودليل ذلك انه وضع كعب بن زهير في الطبقة الثانية، وليس له غير قصيدته " بانت سعاد "، كما أنه وضع طرفة ولبيد في الطبقة الرابعة مع أن لهما قصائد جياد كثر. بل انه ذهب الى أكثر من ذلك حين وضع شعراء مجيدين كعمرو بن كلثوم وعنترة في الطبقة السادسة. ونلاحظ من هذا كله أن الأمر لم يكن طوع بنانه، وأن هذا المعيار كان يفلت من بين يديه في أحيان كثيرة، فلم يوفق حينها في ما صنع. ويؤيد ذلك أننا لا نجد عنده أساسا واضحا نظر من خلاله الى الجودة في الشعر. فكانت

---

(١) ابن سلام : ص ٢١٥.
(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٧.
(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٩.
(٤) المصدر نفسه : ص ١٤٠.
(٥) الرافعي: ٣/ ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجودة عنده تخضع لذوقه الذاتي ، أو لآراء غيره من العلماء ، من غير وجود أساس متين يستند عليه في تقييمه للجودة .

أما ابن قتيبة فانه لم ينظر الى الكم كمعيار يستند عليه في اختياره للشعراء والترجمة لهم ، وان كنّا نجد عنده اشارات قليلة تدل على اهتمامه بهذا المعيار، من مثل ترداده لبعض أقوال العلماء ممن نظروا لمعيار الكم والجودة بعين الاعتبار. فها هو ذا يقول في الاعشى : " الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين وهو يقدم على طرفة ، لأنه أكثر عدد طوال جياد "(١) . ثم هو مع ابن سلام في عدم وضع طرفة في طبقة متقدمة حين يقول : " طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور، يعني امرأ القيس وزهيرا والنابغة ". (٢) ثم نجده بعد ذلك يقيم بعض الشعراء من خلال كثرة جيدهم. يقول في الخليل بن أحمد : " وكان أجودهم طبعا وأكثرهم شعرا ". (٣) ويقول في خلف الأحمر : " وكان شاعرا كثير الشعر جيّده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعرا منه ". (٤)

هذا كل ما نجد عند ابن قتيبة من اشارات حول هذا الموضوع ، ولكنه وان لم يعر الكم ذلك الاهتمام الاّ أنه فصل القول في جودة الشعر، وبين الحالات التي يستجاد من أجلها . (٥) ومثل هذا يصدق على ابن المعتز الذى لم يعر هذا المعيار كبير التفات. الاّ أنه يكثر من العبارات التي نشتمّ من خلالها شيئا من الاهتمام بهذا الجانب . ومن هذه العبارات ما يقوله في الشاعر منصور النمرى : " وأشعار النمرى في آل الرسول عليه السلام كثيرة جيدة ، من أجود ما مدحوا به ". (٦) وفي حديثه عن ابن مطير يقول : " وهو من المكثرين المجيدين المعروفين ". (٧) ويكرر ما قاله ابن قتيبة في خلف : " وكان مطبوعا مفلقا كثير الشعر جيّده ". (٨) وهو قد تنبه لبعض الشعراء الذين كثر شعرهم وقلّ جيدهم . يقول في الرقاشي : " والرقاشي كثير الشعر، قليل الجيد ". (٩)

ان ما نلاحظه على ابن قتيبة وابن المعتز أنهما قد مرّا بهذا المعيار مرورا عابرا دون أن يتكئا عليه في طبقاتهما كما صنع ابن سلام.

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٢٦٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٩٦ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٩٣ .
(٥) انظر المصدر نفسه : ص ٧٠ — ٧٥ .
(٦) ابن المعتز : ص ٢٤٧ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١١٨ .
(٨) المصدر نفسه : ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٩) المصدر نفسه : ص ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) مقياس القدرة على التصرف في أغراض الشعر :

من المقاييس النقدية التي اعتمدها ابن سلام في تقديمه للشعراء تعدّد أغراضهم الشعرية ، وقد كان هذا المقياس سائداً لدى نقاد هذه الفترة ، خاصة وأنه قد شاع في مدرسة الكوفة ؛ فتأثر به الاصمعي ، ويبدو تأثره به حين سئل عن الاعشى فقال : " إن أهل الكوفة لا يقدّمون على الاعشى أحداً . قال وكان خلف لا يقدّم عليه أحداً . قال ابو حاتم لانه قد قال في كل عروض وركب كل قافية "(١) فكان يرى أن تعدد بحور الشعر وتعدّد قوافيه من دوافع تفضيله وتقديمه .

اعتمد ابن سلام هذا المقياس متأثرا بأستاذه الأصمعي ، وهو مهتم به الى حدّ كبير ؛ فها هو ذا يوافق من فضّل جريرا على الفرزدق لانه كان أكثر تصرّفا وقدرة على القول في أغراض الشعر المختلفة . فهو مع بشار العقيلي في قوله : " وكان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق ". (٢) ولهذا وضع ابن سلام الاعشى في الطبقة الاولى لانه كان ذا تصرف في أغراض الشعر . يقول : " وقال أصحاب الاعشى : هو أكثرهم عروضا ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخرا ووصفا ، كل ذلك عنده ". (٣) ولهذا أيضا قدّم كثيرا الى الطبقة الثانية من طبقات الشعراء الاسلاميين ، وأخّر جميلا الى الطبقة السادسة مع أنه مقتنع بأن جميلا كان أكثر تمكنا في غزله ونسيبه . الا أن الذى رجح كفّة كثير كونه صاحب أغراض متعددة . يقول في سبب تقديمه كثير وتأخيره لجميل : " وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ". (٤)

ان ابن سلام في تأكيده على هذا المطلب في الشاعر ينفي فكرة التخصص في الشعر التي لم تكن مقبولة في موازين النقد آنذاك . غير أننا لا نجد من يطالب بهذا بعد ابن سلام ، مما يدل على أن فكرة التخصص بدأت تلاقي قبولا واستحسانا لما لها من أثر في رسوخ قدم الشاعر في الغرض الذى ينصرف اليه ويبدع فيه ، مما يبعده عن التشتت ، ويعطيه لونا خاصا به .

---

(١) الاصمعي : ص ١٢ .
(٢) ابن سلام : ص ٣٧٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٥٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥) مقياس الموضوع الشعري :

ان أول من لجأ الى تقسيم الشعراء في طبقات حسب الموضوع الشعري ابن سلام حين شعر بأن نظامه الطبقي الصارم بدأ يخونه ويعجز عن استيعاب الشعراء وانصافهم ، فاضطر الى تخصيص طبقة لشعراء المراثي الذين أبدعوا في هذا الفن ، ومن ثمّ فان من جاءوا بعده لم يتقيدوا بنظامه الطبقي ، وانما تخيروا مشاهير الشعراء في كل غرض من أغراض الشعر ، وصنّفوهم وفق تلك الاغراض أو الموضوعات التي عرفوا فيها ، وهو ما عبّرنا عنه " بالنظام الطبقي الافقي " الذي يكون فيه الشعراء متساوين في القَدْر ، مختلفين في تخصصاتهم الشعرية . ومبدأ التخصص في غرض من أغراض الشعر أمر مقبول يحكمه طبع الانسان وميله . فالناس في الطبع والميل مختلفون ، وهذا يؤدي الى تمكن الشاعر في غرضه الذي تخصّص فيه وتفوقه أكثر مما لو كان موزعا بين أغراض الشعر المختلفة ، لأنّه قلّما نجد شاعرا يقدر على التحليق في كل موضوع من موضوعات الشعر . وان خير من عبّر عن هذه الفكرة ابن قتيبة في قوله : " والشعراء أيضا في الطبع مختلفون : منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء . ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل ". (١) وهو يستدل على ذلك ببعض الشعراء الفحول الذين كانوا محلقين في بعض أغراض الشعر ، مخفقين في بعضها الآخر . يقول : " وهذا ذو الرمة ، أحسن الناس تشبيها ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحية ، فاذا صار الى المديح والهجاء خانه الطبع ". (٢) ولقد استهوى هذا النظام الطبقي الافقي ابن قتيبة وابن المعتز فاختارا أشهر الشعراء في موضوعات الشعر المختلفة ، ثم صنّفاهم في طبقات متوالية لا يحدها عدد أو قيد وقد امتد اكما اعتمد ابن سلام في طبقة شعراء المراثي على سيرورة هذا الشعر ومدى ذيوعه بين الناس ، وما قيل فيه من آراء العلماء .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) الرثـــــاء :

تنبّـه ابن سلام الى مجموعة من الشعراء الذين اشتهروا في موضوع معيـن فغلب على شعرهم ، فوضعهم في طبقة خاصة تمييزا لهم عن غيرهم . يقـــول: " وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات ". (١) وهذا لا يعنـي أن هؤلاء الشعراء قد اقتصروا على موضوع الرثاء ، وانما نظموا في معظم موضوعات الشعر المختلفة ، ولكن الذى غلب عليهم شعر الرثاء . وانّ افراد ابن سـلام طبقة خاصة لهؤلاء الشعراء يدل على ما في هذا الشعر من عاطفة جياشـة ، يصدر فيها الشاعر عن قلب مكلوم ، وعن نفس تتلوى ألما وحسرة فتتجرّد نفسـه من المطامع والرغبات ، خاصة وأن الميت قد ثوى وأصبح لا يرجى منه خيـر أو شـر . وقد جاء في البيان والتبيين : " قيل لأعرابي : ما بال المراثـي أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق " (٢) . وقد بلغ تقديـر الاصمعي لقصائد الرثاء أن أدرج كعب بن سعد الغنوى في طبقة الفحـول لمرثيته الرائعة . فقد سئل الاصمعي عنه فقال : " ليس من الفحول الاّ فـي المرثية فانه ليس في الدنيا مثلها " (٣) . ومثل هذا قاله في أعشى باهلة . (٤)

ان ابن سلام في هذا متنبّه الى الناحية النفسية في الشعر ، من حيـث ما تعكسه من صدق في المشاعر والأحاسيس . ولقد وجد أنه من الجـور ادراج هؤلاء الشعراء مع غيرهم لأنهم تميزوا بأحاسيس ومشاعر مرهفة لم تقدر تحمـل ألم الفراق ، وهول المصاب ، فاستطاعوا أن يستميلوا القلوب وأن يشدوا النفوس نحوهم ، وقد ساعدتهم اللغة بألفاظها الرقيقة المؤثرة ومدتهم بحاجتهـم منها وأغنتهـم .

أما ابن قتيبة فانه تخير بعض مشاهير شعراء الرثاء وترجم لهم كالخنسـاء ومالك بن الريب . وترجم ابن المعتز لبعض شعراء الرثاء من المُحدَثين كأبـي يعقوب الخريمي وابن مناذر والحارثي وآخرين . غير أننا نلاحظ أن ابن قتيبـة وابن المعتز لم يعيرا هذه الفئة الاهتمام الذى نجده عند ابن سلام ، على الرغم من أنهما تعرضا لبعض الشعراء المعروفين بهذا الموضوع ، وتحدثا عن أشهـر قصائد الرثاء ؛ ويعود ذلك الى أنهما كانا أمام موضوعات كثيرة من الشعر فتشعبت اهتماماتهما ، بعكس ابن سلام الذى اقتصر اهتمامه على موضوع الرثاء فخصص له طبقة .

---

(١) ابن ســـلام : ص ٢٠٣ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٢/ ٣٢٠ .
(٣) الأصمعي : ص ١٤ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) المديـــــح :

ان موضوع المديح من الموضوعات الشعرية الاصيلة عند العرب ، وهو من أقدمها لكونه ذا علاقة وطيدة بالسلوك الانساني وبالفضيلة وطيب الاعمال . ولقد حدد قدامة المدح بأربع صفات يجب أن لايتجاوزها الشاعر الى غيرها ، وإلّا فانه يجانب الحق في مدحه . يقول : " إنه لما كانت فضائل الناس ، من حيث أنهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب ، من الاتفاق في ذلك ، انما هي : العقل ـ والشجاعة ـ والعدل ـ والعفة ؛ كان القاصد لمدح الرجل بهذه الاربع الخصال مصيبا ، والمادح بغيرها مخطئا ". (١)

ان للمديح عند العرب تأثيرا كبيرا في النفوس ، فقد يرفع الشاعر رجلا وضيعا ويجعله في مصاف عليّة القوم كما فعل الاعشى حين نزل بضيافة المُحلّق الذى كان رجلا مفمورا وفقيرا ، وله بنات كثيرات لم تتزوج منهن واحدة ، فما أن مدحه الأعشى حتى تسابق وجهاء القوم اليه يخطبون بناته ، فلم يمض يوم الّا وكل واحدة منهن في عصمة خاطب . يقول الجاحظ في مكانة المدح : " وما أعلم في الارض نعمة بعد ولاية الله ، أعظم من أن يكون الرجل ممدوحا ". (٢)

انه ليس بمكنة أى شاعر ان يبرع في المدح ، لأنه لا يتأتى لكل شاعر أن يغوص على معاني المدح وأن يتفنن فيها ، وكلما استطاع الشاعر استيعاب تلك الخصال الحميدة في مدحه ، كلما كان مُجوّدا أكثر ، كما أنه على الشاعر المادح أن لا يجنح عن القصد فينقلب المدح على صاحبه . يقول قدامة : " ان كل واحدة من الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين ، وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوما بالافراط في هذه الفضائل ، حتى زال الوصف الى الطرف المذموم ". (٣)

ان كلام قدامة هذا لا يعني طرح المبالغة في المدح ، وانما الاقتصاد فيها لأن الشيء اذا زاد عن حدّه نقص . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) قدامة : ص ٩٦ .
(٢) الجاحظ : الحيوان ، ٣٨٣/٤ .
(٣) قدامة : ص ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه يثني على زهير لأنه كان صادقا في مدحه ،فقال حين سئل عن سبب تفضيله زهيرا على غيره من الشعراء : " كان لا يمدح الرجل إلّا بما هو فيه" (١) . وقد كان معيار المدح الجيد ما كان في الفضائل النفسية أو الاخلاقية التي يتّسم بها الانسان من غير نظر للصفات التي ليس للانسان فيها يد . كالشكل الجسماني أو الغنى أو الجاه .

لقد كان هناك شعراء يجنحون الى المبالغة في مدحهم ،وكانت هذه المبالغة مقبولة أحيانا لأنها لا تغير في حقيقة الأمر شيئا ،بل تضفي عليه شيئا من الهالة التي لا تتنافى مع الحقيقة ،ولا تقترب من الخيال . يقول أحمد ابو حاقة : " ولا تظنن أن المبالغة في وصف أعمال العظماء ، هي نوع من التجني على الحقيقة ؛ ولكن التجني هو أن تسند الفضل الى من ليس عنده ذرة من فضل ، وأن تنعت بالعظمة من هو في موطن الخسة . . . . . ، وان تضخيم العمل العظيم ،وتصوير المحاسن بأحسن مما هي ، هو فضيلة بحد ذاته من فضائل الشعراء التواقين دائما الى السير بالناس نحو الأمثل من الامور ". (٢)

ان هذا الكلام يصدق على الشعراء الذين لم يحيدوا عن طريق الحق ، ولم يجتذبهم هوى أو مطمع ،لأن هناك شعراء قالوا عن رغبة أو رهبة ؛ فجاء مدحهم متكلفا لا يصدر عن نفس صادقة ، كالنابغة الذي مدح ملوك المناذرة والغساسنة من أجل التكسب. وقد اشتهر في العصر الجاهلي من شعراء المديح زهير ،الذي بقي شعره في المدح وذاع لبراعته فيه ،حتى قال أبو عبيدة : " يقول من فضل زهيرا على جميع الشعراء : انه أمدح القوم وأشدهم شعرا . " (٣) وكذلك الاعشى الذي كان اذا مدح أحدا رفعه . أما في العصر الاسلامي فبرز جرير والأخطل وغيرهم. وقد ترجم ابن قتيبة لهؤلاء المشهورين في المدح ولغيرهم ممن كانوا دونهم. أما ابن المعتز فقد قام كتابه على اختيار الشعراء الذين اختصوا واشتهروا بمدح خلفاء ووزراء وأمراء بني العباس. يقول : "فتأملت فخطر عليّ الخاطر في بعض الافكار ،أن أذكر في نسخة ما وضعته الشعراء من الاشعار ،في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس، ليكون مذكورا عند الناس". (٤)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٢) أحمد أبو حاقة : فن المديح ،ط١ ،دار الشرق الجديد ،بيروت ، ١٩٦٢ ، ص٦ .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ١٥٠ .
(٤) ابن المعتز : ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) الهجـــــاء :

أن الهجاء يعني سلب تلك الخصال الحميدة والفضائل النفسية التي يسعى المادح الى الصاقها بالممدوح ، ومما لا شك فيه أن سلب هذه الفضائل من الشخص يعني لفظه من المجتمع وفقدانه كل أعتبار. يقول الرافعي : " لم يكن الهجـــاء عند العرب في اعتبار السباب والافحاش ؛ ولكنه سلب الخلق أو سلب النفـــس ، أو فصل المرء من مجموع الخلق الحي الذى يؤلف قومية الجماعة وتركه عضوا ميتـــا يتواصفون ازدراءه ويحركه جسم الأمة حركة جامدة كلما نهض وتقـدّم ". (١)

لعب الهجاء دورا بارزا وخطيرا في حياة العرب ، وكان له وقعه وأهميتـــه عندهم ، حتى أن العرب كانت تذرف الدمع الغزير من وقع بعض الهجاء. يقـــول الجاحظ : " ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا مـــن أول كرمها ، كما بكى مخارق بن شهاب ، وكما بكى علقمة بن علاثة ، وكما بكـــى عبد الله بن جدعان من بيت لخداش بن زهير ". (٢) وقد بلغ تأثير الهجـــاء ، أن بعض الناس كان يخجل من ذكر اسم قبيلته صراحة بعد أن كان يفخر بهـــا ويستعلي . ومما يرويه الجاحظ : " قال أبو عبيدة : كان الرجل من بني نُميـــر اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال نميرى كما ترى ، فما هو الاّ أن قال جريـــر :

فغُضّ الطّرْفَ انّك مِنْ نُمَيْـــرٍ فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابَـــا

حتى صار الرجل من بني نمير اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بني عامر!". (٣)
وقد بلغت سطوة بعض شعراء الهجاء كالفرزدق أن عاذت امرأة بقبر أبيـــه تحمي عرضها منه حين هجاه ابن لهـــا . (٤)

انـه ليس بمقدور كل شاعر أن يكون هجاء ، لأن الهجاء يتطلب من الشاعـــر أن يكون على علم ودراية بأخبار القبائل وتاريخها ومثالبها وأنسابها ؛ ولهـــذا فان حسّان بن ثابت حين استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في هجاء قريـــش ، أمره الرسول بأن يذهب الى أبي بكر ويعرف منه أنساب القوم ومثالبهم ، وكـــان أبو بكر من أعلم رجال زمانه في الأنساب ، كما أن جريرا لم يبلغ ما بلغه من منزلـــة في الهجاء الاّ بفضل جدّه الخطفي ، الذى كان ذا باع في الانساب والأخبـــار. ولدراية الفرزدق بهذه المعارف حقق ما حقّقه في الهجـــاء . (٥)

---

(١) الرافعـــي : ص ٧٥ .
(٢) الجاحـــظ : الحيوان ، ١/ ٣٦٤ .
(٣) الجاحـــظ : البيان والتبيين ، ٤/ ٣٥ .
(٤) أنظر ابن سلام : ص ٣١٣ .
(٥) أنظر الرافعـــي : ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان من المستحسن في الهجاء أن لا يكون في الصفات التي ليس للانسان فيها طَوْل وحَوْل ، كالصفات الخُلُقية أو الوراثية أو الجاه والحسب ، لأن ذلك يعدّ عيبا في الهجاء . يقول قدامة : " وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسانية ، كان ذلك عيبا في الهجاء ، مثل أن ينسب الى أنه قبيح الوجه أو صغير الجسم أو مقتر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف اذا كانت أفعاله في نفسه جميلة ، وخصاله كريمة نبيلة ، أو أن يكون أبواه مخطئين اذا كان مصيبا ، وغويين اذا وجد رشيدا سديدا ، أو بقلة العدد اذا كان كريما ، وعدم النضار اذا كان راجحا شهما ، فلست أرى ذلك هجاء جاريا على الحق ". (١) وقد اشتهر من الشعراء في هذا الغرض شعراء بلغوا الذروة فيه . يقول ابوعبيدة : " والذين هَجَوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم اسلاميون : جرير والفرزدق والأخطل . وفي الجاهلية : زهير ، وطرفة ، والأعشى والنابغة ". (٢) وقد ترجم ابن سلام لمشاهير الهجائين ووضعهم في الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين . وهم جرير والفرزدق والأخطل والراعي . وهو في هذه الطبقة متأثر بمقياس " الموضوع الشعري " كما فعل في طبقة أصحاب المراثي . أما ابن قتيبة فقد اختار طبقة مشهورة من شعراء الهجاء وترجم لهم ، كجرير والفرزدق وبشار وابن ميادة وزياد الأعجم والبعيث واللعين المنقري وآخرين . ونجد في طبقات ابن المعتز بعض مشاهير الهجائين كعلي ابن الجهم وابن ميادة ومنصور الأصبهاني وخالد النجار .

---

(١) قدامة : ص ١٨٧ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ، ٤/ ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصـــــف :

ان الوصف من أغراض الشعر التي تتطلب حسّا مميزا ودقيقا عند الشاعـــر، وقدرة على محاكاة الموصوف من أجل تمثيله ورسم صورة مماثلة له في ذهن السامـــع حتى يحسّ وكأنه أمام ذلك الشيء في عالم الحقيقة ، وتستلزم هذه القدرة مـــن الشاعر أن يكون على دراية ومعرفة بأدق دقائق الشيء الموصوف . وهذا يحتـــاج سعة وخصبا في خيال الشاعر ومهارة في تسخير اللغة . وعلى أى حال فان الشاعر مهما بلغت قدرته في الوصف فانه لن يستطيع محاكاة الموصوف وتمثيله بالدقـــة نفسها كما هو في الواقع . وانما هناك حدّ أعلى يتسابق الشعراء الى الوصـــول اليه في وصفهم . ومن يستطيع الوصول الى هذا الحدّ يبلغ الغاية في النعـــت. يقول قدامة : " الوصف انما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات . ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كـــان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منهـــا ". (١)

ان القدرة على الوصف لا تعني أن يقدر الشاعر على وصف كل الأشياء . فقد لا تعدو قدرته في الوصف شيئا محددا لا يستطيع تجاوزه الى غيره . ومن هنـــا تخصّص بعض الشعراء في وصف ما تمكنهم قدرتهم على وصفه ، فاشتهر بعـــض الشعراء في وصف الخيل ، كطفيل الغنوي الذى عده الأصمعي في طبقة الفحـــول لاجادته في نعت الخيل . قال : " لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفـــة الخيل ولكن طفيل غاية في النعت وهو فحل ". (٢) وقال عبد الملك بن مـــروان فيه : " من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل ". (٣) وقد اشتهـــر في وصف الخيل كذلك امرؤ القيس وأبو دؤاد الايادى ، كما برز بعضهم في نعـــت الابل كالراعي الذى يقول فيه ابن سلام : " سُمّي راعي الابل ، لكثرة صفتـــه للابل وحسن نعته لها ، فقالوا : ما هذا الّا راعي الابل ! فلزمتـــه ". (٤) وقـــد أبدع أوس والشماخ في وصف القسي . يقول ابن قتيبة في أوس : " وهو أوصف الناس للقوس ، ثم تبعه الشـــماخ ". (٥)

كما برع الاخطل وأبو نواس والأعشى في وصف الخمر . وبرز أبو نواس وابـــن المعتز في وصف الصيد والطرد . ونبغ ذو الرمة في وصف الصحراء وما فيها مـــن

---

(١) قدامـــة : ص ١٣٠ .
(٢) الأصمعـــي : ص ١٠ . (٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٦٠.
(٤) ابن ســـلام : ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٥) ابن قتيبـــة : الشعر والشعراء ، ص ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رمل وهاجرة وكائنات حيّة ، وتفوق في وصفه للمطر ، حتى قال يونس النحـــوى فيه : " وكان أحسن الناس وصفا للمطـر ". (١) وقد اختار ابن قتيبـة مشاهـير هؤلاء الوصافين الذين ذكرناهم وترجم لهم . ثمّ ترجم ابن المعتز لمن بـــرع في الوصف من المحدثين كمحمد بن يسـير وعيسى بن زينب وخالد بن يزيـــد الكاتب وغيرهـــم .

---

(١) ابن قتيبـــة : الشعر والشعراء ، ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(هـ) النسيب :

من الموضوعات التي قاس أصحاب الطبقات قدرات الشعراء وفقها ، موضوع النسيب، ومعلوم أن هناك فرقا بيّنًا بين كل من النسيب والغزل. يقول قدامة في النسيب : " هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون فيه من الاباء والعز ". (١) ويقول في الغزل : " والغزل انما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ". (٢) ومن هنا فان الفرق واضح بين كلا الموضوعين. فالغزل قد يقوله كل شاعر متصاب يتأثر بما يرى من جمال الصورة وحسن المظهر. بينما النسيب قد لا يحسنه الاّ من كابد الوجد ، وذاق لوعة الهوى ، فيتفانى حين ذلك ، وتسمو نفسه وروحه ، وينطق لسانه بما لا يستطيعه غيره ممن لم يكابد الشوق والهوى . ويصف قدامة ما يخطر على بال الشاعر العاشق من أمور فيقول : " وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وأثار الديار العافية وأشخاص الاطلال الداثرة، وجميع ذلك اذا ذكر احتيج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة ومن مضي الأسف والمنازعة. " (٣) ولقد مرّ في تاريخ أدبنا العربي شعراء عشّاق كثيرون ، حرّك الحب أحاسيسهم وشحذ قرائحهم ، فظهر منهم في العصر الجاهلي عنترة صاحب عبلة ، والمخبل صاحب الميلاء ، وحاتم الطائي صاحب ماوية ، وآخرون. وفي العصر الاسلامي برز مجنون ليلى ، وكثير عزّة ، وجميل بثينة . ولقد خصّص ابن سلام الطبقة السادسة من طبقات الشعراء الاسلاميين لشعراء النسيب فوضع فيها ابن الرقيات والأحوص وجميل ، ونُصيب . وقد اختار ابن قتيبة مشاهير هؤلاء العشّاق وترجم لهم ، كامرئ القيس ، والمُرقّشين ، وجميل ، وتوبة ، وليلى الأخيلية ، وكثير ، وذي الرمة ، والمجنون ، وعروة بن أذينة ، وعروة بن حزام ، وقيس بن ذريح ، والعجلاني ، وغيرهم .

---

(١) قدامة : ص ١٣٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(و) المجـــــــون :

بـدأ تيار المجون يسود الحياة العربية مع أوائل القرن الثاني للهجـرة حين انفتح المجتمع العربي على غيره من المجتمعات نتيجة للفتوحات ودخـول العناصر الأجنبية كالفرس الذين حملوا معهم فنون المجون المختلفة الـتي عرفوها في حياتهم. وقد ساعد على ذلك ما كانت تشهده حياة القصور من ثـراء وترف ورفاهية عيش ؛ فأدى ذلك الى استفحال هذا الخطر، وانتشاره بين خاصة الناس وعامّتهم. يقول الدكتور طه حسين : " لم يكد يبتدئ القرن الثاني اذن حتى ظهر المجون ، وانتشر، ووصل الى قصور الخلفاء ، ثم كانت ثورة العباسيين، فتمّ انتصار الفـرس على العرب ، وانتقل مركز الخلافة من الشام الى العراق ، وأصبح الأدب عراقيا ، لا شاميا ولا بدويا ، أي أصبح خاضعا من كثب ، لتأثير الفـرس ، وحضارة الفرس . فتمّ انتصار العبث والمجون ". (١)

وفي وسط هذا الجو ظهر شعراء اشتهـروا بالمجون والخلاعة ، وعـبّروا عن هذا التيار أصدق تعبير . الاّ أننا نجد ابن سلام وابن قتيبة لا يعيـران هؤلاء الشعراء كبير التفات ، على الرغم من أنهما يترجمان لبعض مشهوريهـم كأبي نواس وبشّار بن برد . ولكن لم يكن دافعهما في ادراجهما اتجاههم الماجن بقدر مكانتهم في الشعر بعامة . وقد جاء الحديث عن جانب المجون والخلاعـة في شعرهما مرافقا للحديث عن شاعريتهم. أما ابن المعتز فانه حشد مجموعـة كبيرة من شعراء المجون في عصره ، وأولاهم اهتماما خاصا . وهو يعلل اهتمامـه بهم وبغيرهم بقوله : " وانما أجبنا أن لا نترك شيئا مما ذكره أحد مدح فـي هذه الدولة خليفة ، وذكر في الشعراء ". (٢) الاّ أن الدافع الأهم من ذلـك عند ابن المعتز هو أن هذا الاتجاه الماجن في الشعر وجد في مجتمع كمجتمـع بغداد الذي اهتم بهذا الأدب المكشوف اللاهي وأعاره كل اهتمامه . فلـم يستطع ابن المعتز اغفال شعراء شغلوا الناس وحرّكوا ميولهم ورغباتهم. يقـول الدكتور محمد زغلول سلام في تهافت الناس على هذا اللون من الشعر: " ولعـلّ الداعي لذلك ملل الناس من رواية الجاد ، والرغبة في التملح والتندر ، وهكـذا كثرت رواية أشعار المجان والموسوسين والشواذ من الناس ، كما كثر قول الشعـر في الموضوعات الغريبة التافهة أحيانا ، والتي لم يقربها الشعراء من قبـل وتحرجوا من الدنو منهـا ". (٣)

---

(١) د. طه حسين : حديث الاربعاء ، ج ٣ ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ؟ ، ص ٨٢ .

(٢) ابن المعتـز : ص ٣٤٤ .

(٣) د. محمد زغلول سلام : ص ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن طبقة هؤلاء الشعراء الذين اختارهم ابن المعتز وترجم لهم: بشار، وأبو نواس، ومطيع بن اياس، والحسين بن الضحاك، والرقاشي، والباهلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦) الديـــــــن :

يبرز الدين كمقياس عند ابن سلام حين خصّص طبقة للشعراء اليهـــود . وهو في هذا يفصل ما بين الشاعر ودينه . ونحن لا نجد عند ابن سلام مبـــررا قويا لعزل شعراء اليهود في طبقة خاصة ؛ فقد استعرب هؤلاء اليهـــود ، وانسجموا مع المجتمع العربي . بل أن بعض الاقوام العربية اختلطت بهم وتأقلمت معهم. (١) ثمّ أنهم نظموا باللغة العربية وعبّروا بها عن مشاعرهم وأحاسيسهم. كما أن اليهود اشتركوا مع العرب في كثير من عاداتهم وتقاليدهم. وكان علـــى ابن سلام حين خصّص طبقة للشعراء اليهود أن يخصّص أخرى للشعراء "النصارى". خاصة وأن المسيحية كانت منتشرة في جنوب الجزيرة . كما كانت اليهودية منتشرة في شمالهـا . (٢) ويبقى ذلك غير واضح من ابن سلام وينقصه التعليل . ولعله كان مدفوعا الى ذلك بفعل تلك المنزلة المكانية التي كان اليهود يحيطون بهـــا أنفسهم أو أنه كان متأثرا بنظرة العرب لليهود التي يملؤها الاحتقار والازدراء ؛(٣) ففضل أن لا يدرجهم مع الشعراء العـــــرب .

ان ابن سلام حين تحدث عن شعراء المدينة وجد أن فيها شعراء يهـــود مجيدين. فآثر أن يتحدث عنهم بشكل مستقل . يقول : " وفي يهود المدينة وأكنافها شعر جيّد ". (٤) وبعد ذلك يعدّد ثمانية من مشهوريهم ويعـــرض نماذج جيدة من أشعارهم يبلغ بعضها درجة عالية في الروعة مما دفع الدكتـــور منير سلطان الى أن يتعجّب من قصيدة أبي الذيال الدالية التي أوردهـــا ابن سلام ؛ فيقول معلقا عليها : " واننا لنعجب من قصيدة أبي الذيـــال الغزلية الدالية لرقتها وجيد نظمها وكأننا نقرأ احدى رائعات ابن ابي ربيعة "(٥) ويرى الدكتور سلطان من خلال استعراض هذه النماذج الجيدة ومن خـــلال هذا التراث الشعري الذي تحدث عنه ابن سلام انه محق في وضعهم في طبقـــة خاصة ؛ فيقول : " وازاء هذا التراث الأدبي لليهود كان على ابن ســـلام أن يجعل لهم طبقـــة ". (٦)

---

(١) انظر بروكلمان : ص ١٢١ .
(٢) انظر د. داود سلوم: مقالات في تاريخ النقد العربي ،ص ١١٩ .
(٣) انظر بروكلمان : ص ١٢١ .
(٤) ابن ســـلام : ص ٢٧٩ .
(٥) د. منير سلطان: ص ٢٣٥ .
(٦) المرجع نفســـه : ص ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من ذلك فان شعراء اليهود كانوا مقلين في شعرهم . وقد يعود ذلك الى ضعف حافز القول عندهم ، وهو الحروب التي لم يكن لهم كبير نصيب بها ، واقتصر اشتراكهم في الحروب على محالفة بعض الفئات . ومن أبرز الأغراض التي نظم شعراؤهم فيها : الحماسة والرثاء والفخر. (١) وقد كان الفخر غالبا على شعرهم ، يحاولون من خلاله اظهار صبرهم وتجلدهم كي يحسب الآخرون لهم حسابا . (٢) وكان شعراؤهم يلجأون الى ذلك الفخر المصطنع كي يبثوا في نفوس جماعاتهم الطمأنينة والهدوء ، وليطردوا الخوف والضعف من داخلهم . (٣) ومع ذلك فان الرواة كانوا يهتمون برواية أشعارهم ، ويبدو ذلك واضحا في قول الجاحظ : " وقد أدركت رواة المسجديين والمربدين ومن لم يرو أشعار العجانين ، ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز العربية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فانهم كانوا لا يعدّونه من الرواة". (٤)

---

(١) د. أحمد النجار: شعراء اليهود في الجاهلية وصدر الاسلام، دار النهضة العربية، ؟ ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) أنظر المرجع نفسه: ص ٤٨ .

(٣) المرجع نفسه: ص ١١٣ .

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ، ٤/ ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧) الفن الشعرى (الرجز) :

إنّ ما نعنيه بالفن الشعرى هو فن الرجز . فقد نظر أصحاب الطبقات اليه باعتباره فنّا متميزا من فنون الشعر، لم يكن يستطيع قوله كل شاعر. لأن من الشعراء من يستطيع قول الرجز ولا يستطيع نظم القصيد . وعلى عكس ذلك فان هناك شعراء كبار ذاعت قصائدهم واشتهرت بين الناس ،ولم تكن لهم قدرة على قول الرجز. كما أنه كانت هناك فئة من الشعراء تجمع بين الفنين، ولكنها قليلة . يقول الجاحظ : " وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز ،ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجأ ،وأبي النجم ،وحميد الأرقط ،والعماني . وليس الفرزدق في طواله بأشعر منه في قصاره ". (١) وهكذا كان للرجز جمهوره الذى يميل اليه ويهوى سماعه ،فكثر الرجاز ،وبرعت منهم جماعة فيه ؛ ولهذا فان ابن سلام ميّز بين شعراء القصيد والرجز ،حين خصّص الطبقة التاسعة من طبقات الشعراء الاسلاميين لشعراء الرجز ؛ فاختار أربعة من مشهوريهم وترجم لهم. وهم: الأغلب العجلي ،وأبو النجم ،والعجاج ،ورؤبة بن العجاج. وهو في هذه الطبقة لم يخرج عن العدد الذى حدّده لطبقاته. وهو أربعة شعراء لكل طبقة. وقد فاضل ابن سلام بين أصحاب هذا الفن حين وازن بين أبي النجم والعجاج فقال : " كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج" . (٢) ثم وازن بين الرجاز من حيث قدرتهم على الجمع بين القصيد والرجز فوجد أن أفضلهم في ذلك أبو النجم. يقول : " وكان أبو النجم ربما قصّد فأجاد ،ولم يكن كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا ". (٣) وقد أولى ابن قتيبة الرجاز اهتمامه حين اختار ستة من مشهوريهم وترجم لهم ترجمة متسلسلة . وهم : العجاج وابنه رؤبة ،وأبو نخيلة ،وأبو النجم ،ودكين ،والأغلب .

ومن هنا نلاحظ أن النقد العربي بدأ يشهد تحولا كبيرا مع بداية مرحلة التأليف في أوائل القرن الثاني الهجرى ،اذ لم يعد نقدا انطباعيا تأثيريا خالصا كما كان في بداياته الاولى ، وانما بدأ يتّسم بسمات العلم الذى يعتمد على أسس ومقاييس نقدية محددة اعتمدها النقاد في نقدهم الشعراء وتصنيفهم لهم ،وقد سار على هديها من أتى بعدهم من النقاد . غير أن هذه

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ، ١/ ٢٠٩ .
(٢) ابن سلام : ص ٧٥٣ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقاييس لم تسلم من تدخل الاهواء والميول ، كما هي الحال بالنسبة لمقياس الزمان الذى ثارت حوله ضجّة نقدية واسعة ؛ فانقسم النقّاد ما بين متعصّب للقديم ، أو متعصّب للحديث . ثمّ ان هذه المقاييس لم تستمر كلّها ، وانما استمرّ منها ما وافق الروح العلمية المحايدة وسلم من التعصّب والهوى . كما أن النقاد من الأجيال التالية لم يُسلّموا بكل ما ورثوه من هذه المقاييس والآراء النقدية ، وانما تباينت الآراء ، وتعدّدت المواقف ، ومنهم من ثار على بعض الموروث النقدى ، ومنهم من وقف يدافع عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الرابـــــــع

" قضايـا نقديـــة في كتـــب الطبقـات "

- تمهيـــــد .
١ . استقلالية النقد واستقلالية الناقـد .
٢ . الوضـــع في الشـــــعر .
٣ . السرقات الشعريـــــة .
٤ . طبقات الشعر والوجوه التي يختار عليهـا .
٥ . نشأة الشعر العربي وتحوله بين القبائـل .
٦ . بناء القصيدة العربيـــــة .
٧ . الشعر بين الطبع والصنعـــــة .
٨ . بواعث الشعر وأوقاتـــه .
٩ . النقد اللغوي والفني في كتب الطبقـــات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــــد :

ليس هناك من شك في ان قضية الطبقات والاختيارات عند نقـــاد الأدب العربي قد أفرزت قضايا نقدية على جانب كبير من الاهمية ، واننا نلمح خيـــوط هذه القضايا من خلال تلك الاحكام النقدية الانطباعية التي كانت تـدور علـــى ألسنة النقاد ، ثم أخذت هذه القضايا تظهر بوضوح أكثر مع بواكير مرحلة التأليـف في النقـد ، وأول ما نحسها عند ناقد كالاصمعي في القرن الهجرى الثاني فـي كتابه " فحولة الشعراء " الذى اتكأ عليه من ألفوا بعده في النقد ، وتوسعـــوا في ما عرض له الاصمعي ، وهذا يتضح عند ابن سلام ومن جاؤا بعده . وقـد كان معروفا الى عهد قريب أن اقدم المصادر النقدية هو كتاب ابن سلام ، ولكـن بظهور كتاب الاصمعي " فحولة الشعراء " تتقدم معارفنا في النقد الادبـــي وتاريخه ما يقرب من ربع قرن من الزمان . (١) على الرغم من أن قدامة يزعـــم أن كتابه " نقد الشعر " هو أول مؤلف نقدى . وهذا كلام ليس صحيحا ونستغربـه من ناقد كقدامة ، الذى يفترض أن لا ينكر جهود سابقيه (٢) .

لقد أراد مؤلفو كتب طبقات الشعراء قبل شروعهم في تصنيف الشعـــراء في طبقات أن يمهدوا لهذه العملية بمقدمات نقدية تكشف عن مذاهبهـــم والأسس التي اعتمدوها في الاختيار والتصنيف . ولعل أغزر مقدمـة نقديـــة تطرح الكثير من قضايا النقد ، هي مقدمة ابن سلام ، ثم تليها مقدمة ابن قتيبـة في " الشعر والشعراء " ، ومن ثم مقدمة ابن المعتز في " طبقات الشعـــراء " ، التي يعتقد أن قسما كبيرا منها قد سقط مما يجعلنا غير قادرين على أن نقـف على منهج ابن المعتز الذى سار عليه في كتابه . أما الظن بأن مقدمة ابن المعتز ليست له ، وانما هي تحميد لأحد النساخ ، بدعوى أنها لا تماثل أسلوب ابـــن المعتز ، وأسلوب عصره (٣) ، فهذا رأى يعوزه الدليل الشافـــي .

أما في كتاب " جمهرة أشعار العرب " فاننا نجد أيضا مقدمة نقديـــة ضافية ومفيدة . والحقيقة ان قسما كبيرا من هذه القضايا نتبينها في متون هـــذه الكتب ، وهي اما مكملة لما طرحه اصحابها في المقدمات ، أو ان تكون قضايـــا مستقلة فرضتها طبيعة التصنيف الطبقي للشعراء . وقد خاض فيها نقاد آخـــرون

---

(١) أنظر محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في النقد الادبي ، الحلقة الاولى ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، ؟ ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر قدامة : ص ٦١ .

(٣) انظر محمد عبد المنعم خفاجي : ابن المعتز وتراثـه ، ص ٣٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ممن لم يفردوا كتبا في طبقات الشعراء لأن لها بعدا نقديا أعمق وأشمل من مثل الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " . ولا يفوتنا أن ننبه الى أن طبقات ابن سلام أقدم من " البيان والتبيين " ، فهنالك من الاسباب ما يؤكد ذلك ، لأن الجاحظ بلغ من الشهرة الذروة ، وليس من المعقول ان يكون كتابه أقدم ، ويتجاهله ناقد كابن سلام ، وهو الذى لم يدع رأيا من آراء الذين سبقوه الا وأتى على ذكره . ثم ان الجاحظ نقل عن ابن سلام في ثلاثة مواضع (١) . ونقول الجاحظ عن ابن سلام لم تقتصر على كتاب " البيان والتبيين " بل تعدتها الى كتابه " الحيوان " ، ومن هنا تبرز قيمة طبقات ابن سلام بما احتوته من قضايا نقدية كان أول من نبه اليها وعرضها بهذا الشكل .

ان دراستنا للقضايا النقدية في كتب الطبقات ستكون حسب أهميتها من حيث نظر هؤلاء النقاد اليها ، وان أول قضية مهمة تبرز أمامنا هي قضية وجود الناقد المؤهل ، وما يجب أن يتوافر فيه من صفات .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ١/ ٣٩ ، ٢٤١ ؛ ٢/ ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استقلالية النقد واستقلالية الناقد :

لقد أتيح للنقد الادبي أن يستقل لأول مرة ، حين أعطي الناقد الادبي الدور اللائق به على يد ابن سلام ، الذى أراد أن يحصر عملية الحكم على الشعر والشعراء في من هم أهل لذلك . ولقد كانت الحاجة الى الناقد المتخصص المتمرس افرازا لظاهرة تصدى كل من هبّ ودب للحكم على الشعر والشعراء في ذلك الوقت ، وهذه قضية حسمها ابن سلام في دعوته لاستقلالية النقد والناقد. وقد تنبّه الجاحظ لهذه القضية ، ورفض أن يكون الحكم على الشعر قضية يتصدى لها كل من يريد ، فبيّن أن العامة لا تصلح حكما في انتقاء الالفاظ لفساد ذوقها ، فقد تختار اللفظ القبيح ، وتترك الجيد ، كما قد يشتهر عندها من لا يستحق الشهرة ، وقد يسير عندها من الشعر مما ليس حسنا في حقيقته . (١)

لقد قرّر ابن سلام أن الشعر صناعة لها أهلها . يقول : " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات " (٢) . وهو انما يعني بالصناعة هنا الفن ، وبما أن أى صناعة لا يستطيع كل واحد أن يلمّ بها ، فكذلك الشعر لا يستطيع معرفته والحكم عليه الاّ أهله ، ومن رسخت أقدامهم فيه . وهو يستشهد على ذلك بما دار بين خلف وآخر ، اذ قال أحدهم لخلف : " اذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك " (٣) . فردّ عليه خلف بقوله : " اذا أخذت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصراف : انه ردىء ؛ فهل ينفعك استحسانك اياه ؟ " (٤) . وفي هذا بيان لأهمية وجود الناقد المتمرس والمثقف كي يستطيع غربلة الاشعار ، واستخلاص الجيد منها ، فهو يرفض مبدأ الذوق من غير الاستناد على الثقافة الادبية والقدرة الفنية في الحكم على الشعر .

ان ابن سلام حين يقرر ان الشعر ثقافة أيضا ، فهو يؤكد على وجوب وقوف الناقد على حظّ وافر من الثقافة والمعرفة ، حتى يستطيع من خلالها التمييز والحكم الصحيح والغوص على خفايا هذه الصنعة ونحن نرى أن نقادا كابن سلام ، وابن قتيبة على سبيل المثال لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الاّ بعد أن توافرت لهم ثقافة رفيعة متنوعة شكلت لديهم قاعدة صلبة انطلقوا منها بثبات .

---

(١) انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ١ / ٢٠ .
(٢) ابن سلام : ص ٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ابن سلام ، بعد ان يقرر استقلالية الناقد ومدى الحاجة اليه ، يبدأ بالحديث عن دور هذا الناقد ، وما يجب أن يتمتع به من قدرة للتصدى لما يواجهه من قضايا النقد . وأول قضية نقدية يوليها ابن سلام كل عنايته ، ويطلب من الناقد أن يتصدى لها ، هي قضية تمييز غث الشعر من سمينه ، لأن الشعر كما سنرى تعرض للدس والافتعال ، ومن هنا فان على الناقد أن يتحقق من النصوص التي تقع بين يديه من حيث صحتها ، وسلامة روايتها ورواتها . وهذه قضية لم تكن واضحة كل الوضوح مما جعل العلماء يختلفون في تقديرها والنظر اليها ، ولكن ابن سلام يقرر أن ما يتفق عليه العلماء ، فلا يحق لأحد الخروج عليه . يقول : " وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر ، كما اختلفت في سائر الاشياء ، فأما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد ان يخرج منه " (١) . ثم انه يؤكد مجددا على أحقية أهل الصنعة في التصدى لها دون غيرهم من الناس . " وليس لأحد ، اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة ، على ابطال شيء منه " (٢) . ومن هذين القولين نستدل على ان ابن سلام لا يعني في كلامه كل العلماء والرواة ، بل انه ميز بين فئتين من الرواة والعلماء . " وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر ، ولا يضبط الشعر الا أهله " (٣) .

أما الفئة الاولى التي يطمئن اليها ابن سلام ، فهي فئة ابي عمرو بن العلاء والاصمعي وأبي عبيدة والمفضل الضبي وأمثالهم . " وكان الاصمعي وأبوعبيدة من أهل العلم . وأعلم من ورد علينا من غير اهل البصرة : المفضل بن محمد الضبي الكوفي " (٤) . ومن هذه الفئة أيضا خلف الاحمر . " اجتمع اصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقه لسانا وكنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبرا ، أو أنشدنا شعرا ، ألا نسمعه من صاحبه " (٥) . ان هذا يعكس لنا الثقة المطلقة التي كان ابن سلام يوليها خلفا الاحمر ، الذى لم يكن يحمل من الاخبار والاشعار الا ما هو متيقن منه ومن سلامة روايته . وهو يتمتع بحاسة نقدية متميزة لا نلمسها عند غيره ، فهو حتى في حكمه على الشعراء لم يكن مغاليا أو مسرفا . " وشهدت خلفا ، فقيل له : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ننتهي الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس " (٦) . ومما قيل في خلف : " لم يكن في نظرائه من الرواة من هو

---

(١) ابن سلام : ص ٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٣ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٢٣ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٦٥ ، ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعلم منه بالعربية نحوا ولغة وشعرا ، ولا أصح نقدا للشعر ، ولا أطبع منه على صوغه صياغة فحول الجاهلية " (١) .

وبمقابل هذه الفئة من العلماء والرواة نجد فئة أخرى غير موثوق فيها ، ولا يعتد بآرائها ، ومن هؤلاء محمد بن أسحق الذى حمل كل غث ومستهجن من الشعر فأدخله في أخباره . " وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه ، محمد بن اسحق " (٢) . وكان يعتذر عن ذلك اعتذار المتساهل فيقول : " لا علم لي بالشعر أوتى به فأحمله " (٣) . ولا يقبل منه مثل هذا العذر ، لأنه لم يكتف بحمل الاشعار المصنوعة وانما تجاوز ذلك الى حمل أشعار قيلت على لسان عاد وثمود . وقد قال فيه ابوعمرو بن العلاء : " فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحق ، ومثل ما روى الصحفيون ، ما كانت اليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم " (٤) .

هناك راو ثان يمثل هذا الاتجاه الضعيف وهو حماد الراوية ، ومما قيل فيه : " وكان أول من جمع اشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الاشعار " (٥) . ويقول فيه يونس : " العجب ممن يأخذ عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر " (٦) .

ان ابن سلام يطلب من الناقد أن يكون ذا معرفة واطلاع واسعين بالنحو وعلوم العربية الاخرى ، لأن الاخفاق بمثل هذه الامور لا يؤهل الناقد لمعرفة خفايا الشعر ومداخله . وممن كان بارعا من النقاد في علوم العربية ابوعمرو بن العلاء الذى يقول فيه يونس : " لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول ابي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وأنت آخذ من قوله وتارك " (٧) .

---

(١) خلف الاحمر : مقدمة في النحو ، تحقيق عزالدين التنوخي ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦١ ، مقدمة المحقق ، ص ١٢ .
(٢) ابن سلام : ص ٧ ، ٨ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٨ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١١ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٤٨ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٤٩ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كانت علوم العربية هي عماد ثقافتهم ، وكانت بينهم مطارحات كثيرة في علومها ، وكان التفوق فيها يعتمد على تمكن هؤلاء النقاد من جزئيات هذه العلوم ، كما أن باب الغريب كان له هوى في نفوسهم فيتسابقون اليه . (١)

ان الحديث عن الناقد ودوره يقود الى قضية على جانب كبير من الاهمية ، وهي موضوعية الناقد ، ونحن نعلم أن الموضوعية لا تتوافر في كل ناقد ، فقليل من النقاد من يستطيعون دفع هواهم والحفاظ على حيدتهم ، وكبح جماح نزعاتهم .

ان هذه الموضوعية لا تأتي من فراغ ، بل انها تنبثق من حب الناقد لصنعته ، وحرصه على أن لا يكون هناك شيء آخر ينازعه حبه لهذه الصنعة . فعملية النقد الموضوعي تفرض على الناقد أن تكون محاكمته للنص الذى أمامه هي الهدف ، فيوازن في أحكامه ما بين مضمون النص وشكله ، فلا ينتصر لجانب على آخر ، لأن كل جانب متمم للآخر . (٢)

ونحن لا نفاجأ حين نجد أن هذه الموضوعية كانت عرضة للاضطراب ابتداء من الاصمعي في " فحولة الشعراء " ، فهو قد انحاز الى القديم انحيازا واضحا وصل به الى حد التعصب ، فقد سئل عن جرير والفرزدق والاخطل فقال : " هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئا لأنهم اسلاميون "(٣) ولكن الاصمعي وان تبع هواه في النظر للمصر ككل وانحاز للقدماء ، لكنه في نظرته لهؤلاء القدماء كان صريحا وصاحب حيدة وجرأة (٤) . ودليلنا على ذلك أنه استثنى الاعشى ، الشاعر الجاهلي المعروف من طبقة الفحول ، وكذلك فعل بالنسبة لعمرو بن كلثوم ، وعدى بن زيد ، ولبيد بن ربيعة ، وكعب بن زهير ، وغيرهم فانه لم يعدّهم في عداد الفحول ، كما أنه اعتبر عمرو بن ابي ربيعة ، وقيس بن الرقيات من الشعراء المولدين (٥) . ولقد تبعه في تعصبه للقديم ابن سلام الذى استثنى شعراء زمانه من طبقاته ، ولكننا بعد ذلك نفاجأ بناقد كابن قتيبة يطلع علينا بآراء جديدة ، فيقف موقفا عادلا بين القديم والحديث ، فهو يرفض مقياس الزمان رفضا مطلقا ، كما نصّ على ذلك في مقدمته ، بل استبدله بمقياس الجودة . " ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى

---

(١) انظر سنية احمد محمد : النقد عند اللغويين في القرن الثاني ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

(٢) انظر قدامة : مقدمة المحقق ، ص ١٨ — ٢٠ . (٣) الأصمعي ، ص ١٢ .

(٤) انظر محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في النقد الادبي ، ص ١٠٣ .

(٥) انظر الاصمعي : ص ١١ — ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره "(١). وتبلغ موضوعية ابن قتيبة حدها لأنه لم يحاب مدرسة البصرة التي ينتمي اليها، ولم يفضل عليها مدرسة الكوفة، بل كان بعيدا عن الهوى في نظرته للمدرستين، ولم ينطلق الا من خلال ذوقه الادبي والاصول التي اعتمدها. ولعل مرد ذلك يعود الى تلك الحرية التي نالها ابن قتيبة في اخذ العلم، ولرحابة صدره، مما أتاح له تنمية ملكته وقدرته في اطلاق الحكم الحيادي المستقل. (٢)

وممن وافق ابن قتيبة فيما ذهب اليه الجاحظ، الذي استند في نقده الى النظر للصورة الادبية، وهو قد وقف موقفا معتدلا بين القدماء والمحدثين كما فعل ابن قتيبة، وانتصر للمحدثين لأنهم لا يعطون حقهم في التقدير والحكم، فقال: " والقضية التي لا أحتشم فيها ولا أهاب الخصومة منها أن عامة الشعراء العرب والاعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الامصار والقرى من المولدة والنابتة، وليس ذلك بواجب في كل ما قالوه وقد رأيت أناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط الا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان " (٣). وهكذا نجد ان الجاحظ يمثل شخصية الناقد الفذة، الذي لا يخضع في أحكامه الا للجودة دون نظر للزمان الذي قيل فيه الشعر، بل انه كما لاحظنا ينتقد هؤلاء الذين انساقوا وراء المؤثرات الخارجية التي لا يعتد بها في الحكم على الشعر والشعراء. وكأننا به يومئ ايماءة غير خفية الى ابن سلام.

ومن نقاد هذه الفترة الذين تحيزوا لعصرهم ابن المعتز، اذ أنه لم يترجم في كتابه الا للشعراء المحدثين، ولكنه في ترجماته كان ناقدا تأثريا انطباعيا، يطلق أحكامه في لحظة تأثر واعجاب، فقد كان معجبا بقول من قال: " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه "(٤). وبفضل انطباعيته هذه كان أقرب الى العدل في ترجمته لشعراء عصره، وقد دعته رحابة صدره لأن يترجم في طبقاته لشعراء كانوا على عداء مع أسرته، وقاموا بهجائها من مثل السيد الحميري، ودعبل. ونحن نعجب منه لأنه أهمل شاعرا كابن الرومي، الذي هجا أباه المعتز بأبيات لاذعة، ولا يقنعنا تبرير من قال ان اهمال ابن المعتز

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٦٨.
(٢) انظر د. اسحق الحسيني: ص ١٠٠، ١٠٨.
(٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٣، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٣٠.
(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له كان تحاشيا من التورط في الخروج على خطة التقريظ الانطباعي الذى هو أسلم من ادراجه في الكتاب (١)، الا أن الدافع الحقيقي الذى لم يستطع ابن المعتز تجاوزه هو أن ابن الرومي كان من الشعراء الشعوبيين، وكان ملازما للقاسم بن عبيد الله، الذى كان من خصوم ابن المعتز، وهو الذى أشار بالقبض عليه حينما توفي المعتضد (٢)، فأهمله ابن المعتز في كتابيه: "البديع" و"الطبقات". ومن سار على نهج ابن المعتز في الترجمة للشعراء المحدثين دون غيرهم وزيره محمد بن الجراح في كتابه "الورقة".

ومما يجب أن يمتلكه الناقد الحر غير تلك الحيدة، الجرأة في اطلاق الاحكام دون أن يمنعه مانع. ويجب ان لا نظن ان اهمال المحدثين عند الاصمعي وابن سلام ينفي عنهما الجرأة هذه، بل ان الاصمعي كما رأينا كان من الجرأة والصراحة بحيث استثنى شعراء كبارا من طبقة الفحول، ولكن الذى دفع بهما وبغيرهما الى اهمال المحدثين، هو سيطرة تيار القديم على عقولهم، فلم يقووا على مقاومته أو التخلص منه.

ان النقد الادبي لا يخضع لغير الاحكام الادبية، متجردا من أية اتجاهات أخرى، ولذلك فانه لا يحتكم لهؤلاء النقاد والادباء الذين غلبت عليهم اتجاهات معينة كانوا يحكمون من خلالها على الشعر كالفقهاء والمتصوفة، وغيرهم، وهذا يدفع الاخذ بآرائهم لأن هذا النقد نقد اعتقادى، يكون فيه الناقد تحت تأثير معتقداته، ولو أنه تجرد من ميوله واعتقاداته هذه لكان أكثر عدلا ونزاهة في محاكمة النص الشعرى (٣). فهذا ابن سلام على قدره وحرصه على استقلالية النقد يقع في هذا الخطأ، فيأخذ على امرئ القيس تعهره في شعره. "ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهر، ومنهم امرؤ القيس" (٤)، قال:

" فمثلِكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرضِعًا فألهيتُها عن ذى تمائمَ مُغْيَل " (٥)

ان ابن سلام في هذا مجانب لروح النقد الاصيلة، لأن هذا الفحش لا يعيب جودة الشعر فيه، تماما كما ان القطعة الفنية الجميلة التي صنعها النجار من الخشب لا ينقص من قيمتها رداءة نوع الخشب الذى صنعت منه. (٦)

---

(١) انظر د. احسان عباس: ص ١١٧.
(٢) ابن المعتز: مقدمة المحقق، ص ١٠، ١١.
(٣) انظر قدامة: ص ١١٧.
(٤) ابن سلام: ص ٤١، ٤٢.
(٥) امرؤ القيس: الديوان، ص ١٢.
(٦) انظر قدامة: ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن قتيبة فانه لا يرى هذا فيما يعاب به امرؤ القيس (١)، كما أننا رأيناه يعجب اعجابا شديدا بشعر لأبي نواس، على الرغم مما ظهر فيه من فسق ومجون (٢)، وذلك لأنه لم يقع تحت تأثير تعصب أو معتقد .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص ١٤١ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٨١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضع في الشعر :

ان الوضع في الشعر قضية قديمة لها أسبابها ومبرراتها ، ولقد تنبه لها قدامى النقاد ، ومنهم الاصمعي ، الذى أشار اليها اشارات عابرة ، ولكنه لم يخض فيها كما فعل ابن سلام بعده ، فلقد سئل الاصمعي عن مهلهل ، فاستبعده من طبقة الفحول لما حمل عليه من شعر ، فقال : " ليس بفحل وأكثر شعره محمول عليه " (١) ، كما أنه يقول في الاغلب : " كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه " (٢) . ومن هاتين الاشارتين وغيرهما مما نجد عند الاصمعي ، نحس باهتمام النقاد وحرصهم على الكشف عن الشعر الموضوع ومعرفة واضعيه ، لانه لا يجوز أن تحكم على شاعر بالنظر في شعر ليس له . ومن هنا فان النقد خطا خطوة على الطريق الصحيح ، وأصبح الناقد أكثر اطمئنانا لما بين يديه . ثم يأتي بعده ابن سلام لينظر في هذه القضية نظرة معمنة ، وهو مهتم بهذه القضية لانه يريد التحقق مما بين يديه من شعر حتى يستطيع بعد ذلك ترتيب طبقاته . ولقد خرج ابن سلام من هذه القضية بأن الشعر الجاهلي ليس خالصا كله ، وانما فيه الكثير من الشعر الموضوع الذى لا يعتد به . " وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه " (٣) . ولم يقف ابن سلام عند هذا الحد ، بل انه بدأ يبحث في هذه الظاهرة بحثا مستفيضا ، فبعد أن حدد المشكلة سعى وراء اظهار الادلة على وجودها ، فكان له ذلك ، بما أوتي من قدرة وخبرة ، فهو يرى أن اول دليل يتمثل في الرواة الذين حملوا من الشعر الكثير من غير تدقيق أو تمحيص . " ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار التي قيلت " (٤) وهو كما أشرنا من قبل ، وضع الرواة في طبقتين : الرواة الموثقين ، والرواة الوضاعين . وما يهمنا هنا هو هؤلاء الوضاعون الذين أشار اليهم ، كابن اسحق ، وحماد الراوية . فقد قال بشأن ابن اسحق : " وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد ابن اسحق بن يسار " (٥) . ومحمد بن اسحق عالم في السير والاخبار ، وكان يحمل الشعر على عواهنه ، فحمل من غثه الكثير ، حتى انه حمل شعرا لاناس لم يجر الشعر على ألسنتهم قط ، بل لقد تجاوز ذلك الى قوم عاد

---

(١) الاصمعي : ص ١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٣ .
(٣) ابن سلام : ص ٤ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٤٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٧ ، ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمود . (١) وابن سلام يتعجب من ابن اسحق الذى حمل هذا الشعر دون أن يراجع عقله ويتفكر فيه : " أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين " (٢) وهو يأخذ أدلته من القرآن الكريم ليثبت أنه ما من أحد يعلم شيئا عن قوم عاد وثمود الاّ الله . ومما احتكم اليه ابن سلام من القرآن الكريم قوله تعالى : " وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى " (٣)، وقال عزّ وجل : " ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الاّ الله "(٤).

ومن الأدلة الاخرى أن اللغة العربية لم تصل في عهد عاد وثمود الى هذه المرحلة من النضج والكمال التي يعكسها هذا الشعر المنسوب لهم. يقول يونس بن حبيب : " أول من تكلم بالعربية ،ونسى لسان أبيه اسماعيل ابن ابراهيم صلوات الله عليهما " (٥) ومعنى ذلك أن لغة هذا الشعر هي لغة أخرى غير لغة ابراهيم ،أبي اسماعيل ، وأن هذه اللغة لم تكن شائعة على عهد ابراهيم ، كما أن العربية التي تحدث بها اسماعيل تختلف عن عربية القرآن الكريم الذى لا خلاف بين لغته ولغة هذا الشعر المفتعل (٦) . أضف الى ذلك أن لغة عاد وثمود لغة يمنية ، ولأهل اليمن لسان ليس كاللسان العربي ، يقول ابو عمرو بن العلاء في ذلك : " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ،ولا عربيتهم بعربيتنا ، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه ؟ " (٧) ثم ينطلق ابن سلام الى دليل آخر يصل اليه من خلال بحثه في نشأة الشعر العربي . " فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لاولية العرب المعروفين شعرا ، فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث " (٨). فالشعر العربي حديث الميلاد ،صغير السن (٩) ، يقول ابن سلام : " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر الاّ الابيات يقولها الرجل في حاجته ،وانما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم ابن عبد مناف . وذلك يدل على اسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبّع "(١٠) ثم

---

(١) ابن سلام : ص ٨ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٨ .
(٣) سورة النجم : ٥٠ — ٥١ .
(٤) سورة ابراهيم : ٩ .
(٥) ابن سلام : ص ٩ .
(٦) انظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ١٣٢ .
(٧) ابن سلام : ص ١١ .
(٨) المصدر نفسه : ص ١١ .
(٩) الجاحظ : الحيوان ، ١/ ٧٤ .
(١٠) ابن سلام : ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذه الاشعار التي حملها ابن اسحق أشعار غثة وفجة ، فحين يتحدث ابن سلام عن شعر أبي سفيان بن الحارث ، يقول : " ولسنا نعد ما يروى ابن اسحق له ولا لغيره شعرا ، ولأن لا يكون لهم شعر ، أحسن من أن يكون ذلك لهم " (١) .

ان ابن سلام ينتهي بعد ذلك الى رفض هذا الشعر رفضا قاطعا لزيفه وبطلانه ، فيقول : " فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحق ، ومثل ما روى الصحفيون ، ما كانت اليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم " (٢) .

هذا ما كان من شأن ابن اسحق ، أما حماد الراوية فهو مطعون فيه ، غير موثق ، وينحل الشاعر شعرا لم يقله . قال يونس : " قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة ، وهو عليها ، فقال : أما أطرفتني شيئا ! فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مديح أبي موسى ، قال ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعر الحطيئة ؟ ! ولكن دعها تذهب في الناس " (٣) ومن هذه الحكاية يتضح كيف أن حمادا كان وضاعا للشعر ، متزيدا فيه ، غير ثقة . ومما قاله ابن سلام فيه : " وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الاشعار " (٤) . وهذا ما اشتهر به حماد عند جمهرة العلماء ، على الرغم من أن هناك من يدفع عنه هذه الصفة . الا أنه لم يسم بالراوية لاتساعه في الرواية وهذا الذي مكنه من وضع الشعر على بعض فحول الشعراء ، والزيادة في بعض قصائدهم المعروفة كي يظهر تفوقه على غيره من الرواة . (٥)

هذا ما كان من شأن حماد الراوية ، أما خلف الاحمر ، فابن سلام يوثقه ، بل يضعه فوق الشبهات . " اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقه لسانا ، وكنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبرا ، أو أنشدنا شعرا ، ألا نسمعه من صاحبه " (٦) . ان قول ابن سلام هذا يرفع خلفا الى درجة

---

(١) ابن سلام : ص ٢٤٧ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١١ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٤٨ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٤٨ .
(٥) أنظر خلف الاحمر : مقدمة المحقق ، ص ٢٥ .
(٦) ابن سلام : ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عالية من الثقة والصدق ، وها هو ذا الاصمعي يقول فيه : " ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الاحمر ، فقيل له : كيف وأنت هي ؟ فقال : ان خلفا كان يحسن جميعه ، وما أحسن منه الا الحواشي "(١) .

غير أن خلفا على مكانته لم يسلم من تهمة الوضع ، فقد اتهمه ابن قتيبة بأنه كان يضع الشعر على المتقدمين(٢) ولكن الذي عليه جمهرة العلماء بالنسبة لخلف انه ثقة ، ويكفيه قول الجمحي السالف فيه ، واذا علمنا ما كان بين مدرستي البصرة والكوفة من تنافس وعداوة ، يتضح لنا أن كل مدرسة كانت تسعى الى التهوين من شأن أعلام المدرسة الثانية(٣) . ويقول الجاحظ في دفع التهمة عن خلف : " ولقد ولدوا على لسان خلف الاحمر والاصمعي أرجازا كثيرة ، فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء ؟! "(٤) . ونلاحظ أن الجاحظ لم يذكر حمادا ، لأنه كان هناك شبه اجماع على تضعيفه والشواهد على ذلك كثيرة ، ولا نكاد نجد له ما يدفع عنه التهمة الا ما نشك بأنه موضوع من أتباع مدرسته . وان كان قد صح بعض الشيء من أن خلفا كان يحاكي قدماء الشعراء وينظم على نمطهم ، فقد يكون ذلك في أول شبابه من قبيل التمرس والارتياض ، وأن أعداءه وجدوا في هذا فرصة للنيل منه . (٥)

لم يكتف ابن سلام بالوقوف عند هذا الشعر المنحول ، وعند الرواة الذين حملوه ، بل تعدى ذلك الى البحث في الاسباب والدوافع وراء هذا الوضع ، فوجد أن اول سبب هم الرواة الذين تحدثنا عنهم كابن اسحق الذي كان يحمل الشعر دون تمحيص من أجل تعزيز أخباره واقبال الناس عليها ، لأهمية الشعر عند العرب ورغبتهم فيه كما أن الرواة كانوا يستعينون بالشعر على مسامرة الملوك ومنادمتهم ، ولذلك فانهم كثيرا ما كانوا يختلقون الاشعار من أجل ارضاء عليّة القوم والفوز بالمكاسب والعطايا ، فها هو ذا الشعبي يروى شيئا يحمل على لبيد ، فيعقب ابن سلام على ذلك بقوله : " ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الاحاديث ، ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لا تستقصي "(٦) . ولقد كان بعض الرواة كابن اسحق يعتذر عن هذه الاشعار ، ولكن ابن سلام لا يقبل له عذرا في ذلك ، ومن الرواة من كان يدفعه

---

(١) البكري : سمط اللآلئ ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٤١٢ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٧٩٤ .
(٣) أنظر خلف الاحمر : مقدمة المحقق ، ص ٢١ .
(٤) الجاحظ : الحيوان ٤/١٨١ .
(٥) انظر خلف الاحمر : مقدمة المحقق ، ص ٢٢ .
(٦) ابن سلام : ص ٦٠ ، ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هواه وتمنته الى مثل هذا الامر كحماد الراوية . (١)

هناك سببان وأساسي دعا الى وضع الشعر ،وهو انشغال العرب بالدعوة الاسلامية الجديدة وما لها من تأثير على العقول ، مما صرفهم عن قول الشعر وروايته ، الى الاهتمام بالحروب التي كانوا يخوضونها . " فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ،وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ،ولهت عن الشعر وروايته " (٢) . ولكن العرب بعد أن اطمأنوا في مواطنهم ، وراجعوا ما بين أيديهم من الشعر ،وجدوا أن كثيرا من الشعراء قد هلكوا . " فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ،واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ،فحفظوا أقل ذلك ،وذهب عليهم منه كثير" (٣) .

ويستدل ابن سلام على ضياع الشعر بقلة ما بقي في أيدي الرواة لطرفة وعبيد ، يقول أبو عمرو بن العلاء : " ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله، ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير " (٤) .

كل هذا أدى الى تزيد بعض القبائل في شعر شعرائها بدافع العصبية القبلية وفي محاولة لاسترداد مآثر القبيلة ومفاخرها التي كان يخلدها هذا الشعر. " فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها ،استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار التي قيلت" (٥) . فالأمر لم يتوقف عند حدّ ما زادته تلك القبائل ،بل تعداه الى هؤلاء الرواة الذين زادوا عليه الكثير عندما نظروا فيه . كما أن من القبائل من كانت تنسب اليها فحول الشعراء ،وبالمقابل فان هناك شعراء كانوا ينسبون أنفسهم الى قبائل غير قبائلهم ، وهذا كله أدى الى اختلاط الشعر. (٦) وهناك سبب ثالث وهو أن الشعر أخذ عن الصحف ،ولم يؤخذ شفاها ،أو عن أهل البادية، وهذا دفع الى التزيد فيه . " وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ،لم يأخذوه

---

(١) أنظر خلف الاحمر : مقدمة المحقق ،ص ٢٥ .
(٢) ابن سلام : ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٢٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٥ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٤٦ .
(٦) أنظر د . عبدالواحد الشيخ : ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أهل البادية ،ولم يعرضوه على العلماء. وليس لأحد اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ،ولا يروى عن صحفي."(١)

أما السبب الرابع ،فهو ذلك الخطأ الذى كان يقع فيه العلماء في نسبة الشعر الى قائليه، فها هو ذا الشعبي على غزارة علمه بالشعر وأحوال الشعراء، ينسب هذا البيت خطأ الى النابغة ،وهو :

فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نوحٌ لا يَخُونُ(٢)

وقد أجمع أهل العلم على أن النابغة لم يقل ذلك . (٣)

ومن الشعراء من كان يقصد الى وضع الشعر لأسباب عديدة ، من مثل التدرك كما فعل أبو نواس والرقاشي. يقول الجاحظ: " وأما أبو يس الحاسب فان عقله ذهب بسبب تفكره في مسألة ،فلما جنّ كان يهذى بأنه سيصير ملكا وقد ألهم ما يحدث في الدنيا من الملاحم . وكان أبو نواس والرقاشي يقولان على لسانه أشعارا ، على مذاهب أشعار ابن عقب الليثي ، ويرويانها أبا يس ، فاذا حفظها لم يشك أنه الذى قالها " (٤).

ومن الذين كانوا يتزيدون في الشعر من كانت غايته التكسب ،وهذا ما فعله ابن متمم بن نويرة ،" قال ابن سلام : أخبرني أبو عبيدة أن ابن داوود بن متمم ابن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوى من الجلب والميرة ،فنزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردى ،فسألناه عن شعر أبيه متمم ،وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ،فلما نَفِدَ شعر أبيه جعل يزيد في الاشعار ويصنعها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ،والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله " (٥).

وسبب آخر أدى الى وضع الشعر ، وهو البيئة ، فهذا عدى بن زيد الذى سكن الحضر فرقّ لسانه ،وعذب منطقه ، واختلف شعره عن شعر أهل البادية ،وقد يسرت هذه السهولة والرقة في شعره تقليده ونحله ، فوضع عليه الكثير من الشعر ،مما عجز عن تمييزه فيما بعد كبار العلماء كخلف ، والمفضل الضبي .

---

(١) ابن سلام : ص ٤ .
(٢) النابغة : الديوان ،تحقيق وشرح كرم البستاني ،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٦٣ ،ص ١٢٦ .
(٣) ابن سلام : ص ٦٠.
(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ،٢/ ٢٢٨.
(٥) ابن سلام : ص ٤٧ ، ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكتف ابن سلام بهذا ، بل دلنا على السبيل الذى يمكن من خلاله تمييز غث الشعر من سمينه ، فهو قد أظهرنا على الطريقة التي نحل بها هذه المشكلة ، وكأنه يريد أن يقول لنا : ان الشعر الصحيح يوجد عند الاعراب من أهل البادية ، وانه يلزم عرضه على علماء الشعر للتوثق منه (١) ، وان علماء الشعر لا يغيب عنهم صحيح الشعر من باطله ، الّا أن ما يشكل عليهم هو ما يضعه أبناء البادية ، أو أبناء الشعراء على آبائهم ، فهذا هو المعضل . يقول : " وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الاشكال " (٢) .

ان لابن سلام فضل عرض هذه القضية ودراستها على هذا النحو المتقدم ، وكأنه قد دلّ من بعده من النقاد على سبيل معالجة مثل هذه القضية ، وعلى كل حال فانه قد كفاهم مؤونة الخوض فيها ، فنحن لا نجد عند من بعده الّا اشارات قليلة مثلما وجدناه عند ابن قتيبة ، وابن المعتز ، والجاحظ . وله الفضل أيضا في أنه حين عرض لهذه القضية أثار ضرورة وجود الناقد المحايد ، صاحب المنهج العلمي المعتدل ، الخالي من الشطط والهوى .

---

(١) أنظر د . عبد الواحد الشيخ : ص ١٣٩ .
(٢) ابن سلام : ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السرقات الشعرية :

في دراستنا لظاهرة السرقات الشعرية من خلال كتب الطبقات يمكن القول ان كل ما نجده منها لا يعدو أن يكون آراء ونظرات نقدية عارضة والسرقات الشعرية في بداياتها الاولى محتاجة الى خبرة فنية ، اذ كان الاعتماد في الدرجة الاولى على الرواية أو السماع أو المشاهدة ، أما رواة الاعراب فقد كانت لهم الخبرة والدراية في كشف السرقات ، ولقد ساهموا الى حدّ كبير في تعديل نسبة كثير من الشعر سواء أكان منسوبا لشعراء مشهورين أم مغمورين . ولولا هؤلاء الاعراب لما درى الاصمعي أن شعر امرىء القيس ليس كله خالصا له ، بل دخله كثير من شعر الصعاليك . (١) " ويقال ان كثيرا من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه " (٢) وفي موضع آخر ، يقول : " يقال ان كثيرا من شعر امرىء القيس ليس له ، وانما هو لفتيان كانوا يكونون معه ، مثل عمرو بن قميئة وغيره " (٣) .

ومما ساعد في كشف السرقات في تلك الفترة قلة المادة الشعرية التي كان من الممكن الاحاطة بها ، كما أنه كان من اليسير على علماء الشعر معرفة أساليب الشعراء وأنماطهم للسبب ذاته " (٤) .

أما ابن سلام فقد مرّ بهذا الموضوع مرورا عابرا ، وتتلخص ملاحظاته في هذه القضية بأنه يقرر وجود السرقات في الشعر منذ العصر الجاهلي ، وهو يستدل على ذلك بما أخذه شعراء غطفان ، ومنهم زهير بن ابي سلمى من شعر قراد بن حنش . " كان قراد بن حنش من شعراء غطفان ، وكان قليل الشعر جيّده ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه فتدّعيه ، منهم زهير ابن ابي سلمى " (٥) . ولكن السرقات الشعرية تبدو أكثر وضوحا عند الشعراء الاسلاميين الذين كانوا يغيرون على شعر الاحياء والاموات على السواء وينسبونه لأنفسهم ، ومن الشعراء من كان يستخدم سطوته ونفوذه لسرقة أشعار الآخرين . (٦) فها هو ذا الفرزدق يعجب بأبيات لذي الرمة فيقول له :

---

(١) انظر د . داود سلوم : النقد العربي القديم ، ص ٩٢ .
(٢) الاصمعي : ص ١٠ .
(٣) المرزباني : ص ٣٢ .
(٤) انظر د . داود سلوم : النقد العربي القديم ، ص ٩٣ .
(٥) ابن سلام : ص ٧٣٣ ؛ المرزباني : ص ٤٣ .
(٦) انظر د . داود سلوم : النقد العربي القديم ، ص ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" لا تعودنّ فيها ، فأنا أحق بها منك! قال : والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا الاّ لـك " (١) . ثم يأخذها الفرزدق ويضمنها شـعره .

ثم ان ابن سلام فطن الى فكرة الاقتباس والتضمين (٢) ، فهو يروى عن خلف أنه سمع أهل البادية يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر (٣) ، وهو :

تَعْدُو الذِّئابُ عَلى من لا كِلاَبَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرْبِضَ المُسْتَشْفِرِ الحَامِي (٤)

وقد سأل ابن سلام يونس بن حبيب عن هذا البيت فأكّد أنه للنابغة ، وان الزبرقان ضمنه في شعره على سبيل المثال غير قاصد ضمّه الى شعره (٥) ، وابن سلام يعقّب على ذلك بقوله : " وقد تفعل ذلك العرب ، لا يريدون به السرقة " (٦) . وعلى هذا فان ابن سلام اهتدى الى التفريق في تحديده للمصطلحات النقدية ، بين مصطلح السرقة ، ومصطلح المثل السائر ، وكأنه يرمي الى أن بيت الشعر الذى يشيع بين الناس يصبح عاما ولا يجوز أن يتّهم من يضمنه شعره بالسرقة . (٧)

ومما تنبّه له ابن سلام أن اختلاف الروايات يقود في بعض الاحيان الى وجود السرقة . فبنو عامر يروون بيتا للنابغة الجعدى ، بينما نجد أن الرواة يجمعون على أنه لأبي الصلت بن أبي ربيعة . (٨)

والملاحظة الاساسية التي فطن لها ابن سلام ، ونظر فيها مليّا الذين جاءوا بعده ، هي المعاني المشتركة التي صارت عامة لكثرة تداولها . وهو يستدل على ذلك بامرىء القيس الذى كان له فضل السبق في بعض المعاني . فهو يقول فيه : " ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والتبكاء في الديار ، ورقة النسيب . . . " (٩) .

---

(١) ابن سلام : ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .
(٢) انظر د . محمد مصطفى هدارة : مشكلة السرقات في النقد العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٥٨ ، ص ٨٠ .
(٣) ابن سلام : ص ٥٧ .
(٤) النابغة : الديوان ، ص ١٣٠ .
(٥) انظر ابن سلام : ص ٥٨ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٥٨ .
(٧) انظر د . منير سلطان : ص ٢١٥ .
(٨) انظر ابن سلام : ص ٦٠ .
(٩) المصدر نفسه : ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذه مجمل خطرات ابن سلام في هذه القضية ، ونحن نلاحظ أنها في مجملها عبارة عن اشارات متفرقة لا يضبطها منهج علمي في النظر اليها ومعالجتها ، ولا ندري السبب في مرور ابن سلام السريع بها ، وعدم تصدّيه لها كما فعل في قضية الشعر الموضوع ، ولعلّ هذه المشكلة كانت تشغل الادباء والنقّاد في زمنه حين أثيرت هذه القضية حول ابي تمام وتلميذه البحتري . (١)

وما قلناه بشأن ابن سلام ، نقوله بشأن ابن قتيبة ، فهو كذلك مرّ بهذه القضية مرورا متعجلا ، ولا نجد عنده غير اشارات متفرقة في هذا الموضوع ، ونلاحظ أنه قد أعاد الى الاذهان ما قاله ابن سلام بشأن قضية المعاني المشتركة ، ثمّ انه كرر ما قاله ابن سلام أيضا بشأن امرىء القيس وسبقه الشعراء في بعض الاشياء ، ثمّ ابتاعهم له فيها . " وقد سبق امرؤ القيس الى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعته عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ " . (٢) وأوضح ابن قتيبة ان الشاعر اذا أخذ معنى وزاد عليه أكسبته الزيادة فضلا . فلقد نال هذا البيت للاعشى استحسان الناس :

وكأس شَرِبْتُ على لَذّةٍ وأخرى تَداوَيْتُ مِنْها بِها

ولكنّ أبا نواس أخذ هذا البيت وزاد في معناه مما أعطاه حسنا فوق حسن ، فقال :

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فانّ اللومَ إغْراء ودَاوِني بالّتي كانَتْ هيَ الدّاءُ

يقول ابن قتيبة في ذلك : " فللأعشى فضل السبق اليه ، ولأبي نواس فضل الزيادة فيه (٣) ولقد ذهب ابن قتيبة الى ما ذهب اليه ابن سلام ، من أن اختلاف الرواية يقود الى السرقة ، فها هو ذا يذكر أبياتا من الشعر لأبي كبير الهذلي ، ثم يقول ان قوما من الرواة ينسبونها لتأبط شرّا (٤) . كما أن هنالك شعرا للشاعر لقيط بن زوارة ينسبه بعض الرواة لأبي الطمحان القيني ، وابن قتيبة يخالف هؤلاء الرواة (٥) . ولقد أشار ابن قتيبة الى براعة بعض الذين يغيرون على شعر الشعراء ، كما فعل المعذل (٦) ، حين سطا على بيت امرىء القيس :

له أيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نَعامَةٍ وإرْخاءُ سِرْحانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٧)

---

(١) انظر د . منير سلطان : ص ٢١٥ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١١٦ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٩ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٦٧٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٧١٥ .
(٦) المصدر نفسه : ص ١٤٠ .
(٧) امرؤ القيس : الديوان ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخذه المعذل ،وقال :

له قُصْرَيا رِئمٍ وشدقا حَمامَةٍ وسالفَتا هيقٍ من الرَّبْدِ أرْبَدا

ونحن لا نعثر عند ابن قتيبة على مصطلح " السرقة " فهو قد استعاض عنه بمصطلح " الأخذ " ،فها هو ذا يقول : " فمما أخذه الشعراء من شعر امرىء القيس (١) : " ونجد هذا المصطلح مبثوثا في كتابه ،ولعلّ السبب في ذلك أنه في رأيه ألطف بكثير من مصطلح السرقة ،وكأن السرقة عند ابن قتيبة غير موجودة بمفهومها المعروف .

ان ابن قتيبة في حديثه عن هذا الموضوع ، يتناوله من ناحيتين : ناحية اللفظ ،وناحية المعنى ،أما اشارته الى سرقة الالفاظ عند الشعراء فتبدو في قول امرىء القيس يصف امرأة (٢) :

نَظَرَتْ اليْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلى طِفْلِ (٣)

فجاء المسيب وأخذه منه ،وقال :

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ في ظِلِّ بَارِدَةٍ مِنَ السِّدرِ

أما ما يستدل به ابن قتيبة على سرقة المعاني (٤) ،فيتضح ذلك من المعنى الذي أخذه زهير والنابغة من بيت لأوس بن حجر :

لَعَمْرُك إنا والأحاليفَ هوّلا لفي حِقبةٍ أظهارُها لم تُقلَّمِ

فأخذ معناه زهير وقال :

لدى أسدٍ شاكي السِّلاحِ مقذَّف له لَبَدٌ أظفارُه لم تُقلَّمِ

وقال النابغة :

وبنو قُعَيْنٍ لا مَحَالَةَ أنهم أتوكَ غير مقلّمي الأظفارِ

ولم تقف ملاحظات ابن قتيبة عند أخذ اللفظ والمعنى ،بل تعدى ذلك الى الاحتذاء في الاسلوب والمنهج ،فهو يقول في مسلم بن الوليد : " وهو أول من ألطف في المعاني ورقق في القول ،وعليه يعوّل الطائي في ذلك وعلى أبي نواس " (٥) .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٨ .
(٣) امرؤ القيس : الديوان ،ص ٢٣٨ .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٢١١ ، ٢١٢ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٨٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن لا نجد عند ابن المعتز اشارات لهذه القضية كتلك التي وجدناها عند كل من ابن سلام وابن قتيبة ، الاّ أنه طرق فكرة احتذاء المثال ، وهذا يبدو في قوله : " وكان جماعة مثل أبي نواس والخليع وأبي هفان وجلقتهم انما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي ، وبما استنبطوا من معاني شعره " (١) .

وها هو ذا ابن المعتز يثبت أن المثال المحتذى لا يقتصر على القدماء ، وانما هو عند المحدثين أيضا ، فهذا أبو نواس ورهطه لا يتطلعون الى القدم من أجل محاكاته واحتذائه ، وانما وجدوا بغيتهم عند المحدثين من أمثالهم (٢) . واذا نحن فتّشنا عند ابن الجراح في ورقته فلن نجد عنده الاّ بعض الاشارات القليلة التي توحي بأنه مرّ بهذه القضية مسرعا ، دون أن يتريّث .

---

(١) ابن المعتز : ص ١٤٢ .
(٢) انظر د . هدارة: ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبقات الشعر والوجوه التي يختار عليهـــا :

لم يقسم ابن سلام الشعر في طبقات لأن اهتمامه انصبّ بالدرجة الاولـــى على الشعراء وما قاله العلماء فيهم من آراء ، وان كان قد حشد نماذج شعريـــة كثيرة في طبقاته من أجل أن تكون شاهدا على شاعرية هؤلاء الشعراء ، وعلـــى رأيه وآراء العلماء فيهـــم .

أما ابن قتيبة فانه كما أولى الشعراء اهتمامه وترجم لهم في طبقاته ، فانـــه صرح في مقدمة " الشعر والشعراء " أنه يهدف مـــن تأليفه هذا الكتاب الـــى الحديث عن طبقات الشعر وأقسامه ، وعن كيفية اختيار النماذج الجيدة مـــن الشعر . يقول في مقدمة الكتاب : " وأخبرت فيه عن اقسام الشعر وطبقاتـــه ، وعن الوجوه التي اختاروا الشعر عليها ويستحسن لها ". (١)

لقد نظر ابن قتيبة مليّا في الشعر ، ووازن بينه ، ثم خرج من ذلـــك بأن الشعر يقع في أربع طبقات ، وأتى بأمثلة من الشعر على كل طبقة منها :
يقول : " تدبرت الشعر فوجدته اربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه ، وجـــاد معناه ، كقول القائل في بعض بني أميـــة :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِـــقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عُرْنِينِهِ شَمَـــمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِـــمُ " (٢)

ويعقب على هذين البيتين بقوله : " لم يقل في الهيبة شيء أحسن منـــه " (٣) .

ونلاحظ أن الطبقة الاولى من الشعر التي مثل لها بهذين البيتيـــن ، قد اكتملت مبنى ومعنى ، وان اللفظ والمعنى فيها على قدر بعضهمـــا .

أما الطبقة الثانية ، فيقول فيها : " وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائـــل :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَـــةٍ ... وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِـــحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارِي رِحَالُنَـــا ... وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَـــا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ " (٤)

---

(١) ابن قتيبـــة : الشعر والشعراء ، ص ٦٥ .
(٢) المصدر نفســه : ص ٧٠ — ٧١ .
(٣) المصدر نفســه : ص ٧١ .
(٤) المصدر نفســه : ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواضح من ذلك أن معنى هذا الشعر عنده لا يطابق لفظه ،فهوسهل على اللسان ، وتتاح له الاذان ،ولكن المعنى كما عبّر عنه عادىّ ليس بمستوى اللفظ الذى وضع له .

والطبقة الثالثة منه : " وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ،كقول لبيد بن ربيعة :

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسِه والمرءُ يُصلِحُهُ الجليسُ الصالحُ "(١)

ويعقب على هذا القول : " هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق " (٢) . ويبيّن لنا أن هذه الطبقة من الشعر عنده على نقيض سابقتها .

أما الطبقة الرابعة والأخيرة : " وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ،كقول الاعشى في امرأة :

وفوها كأقاحيّ غذاهُ دائمُ الهطلِ
كما شيبَ بِراحٍ بما ردٍ من عسل النحلِ " (٣) .

أما رأيه في هذه الطبقة من الشعر ، فهي أنها فقدت أهم مقومات الشعر الجيّد الرصين ، فسقم معناه ، وسقم لفظه ، وهو يمثل بهذا النوع من الشعر بأشعار العلماء كالأصمعي ،والخليل ،وابن المقفع ، لغلبة غير الشعر عليهم (٤) . ثم يعرض لنموذج من شعر الخليل بن احمد العروضي (٥) ، فيقول : " وهذا الشعر بين التكلّف ردىء الصنعة . وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن اسماح وسهولة . كشعر الاصمعي ،وشعر ابن المقفع ،وشعر الخليل ،خلا خلف الاحمر، فانه كان أجودهم طبعا ، وأكثرهم شعرا "(٦) . وواضح أنه استثنى خلفا من العلماء لأنه أوتي من الطبع ما لم يؤته أحد من أمثاله من العلماء ،وميزه عن غيره لأنه كان مكثرا ،بينما لا يقول غيره الّا الشيء اليسير من الشعر .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٧٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٥ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ص ٧٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٧٦ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان ابن قتيبة لم يلتفت الى هذه الطبقة من الشعراء التي سفلت طبقة شعرها . "ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر". (١) وهو يقول لو أنه أدرج في كتابه كل من قال البيت أو البيتين لاستغرق كتابه معظم الناس ، لأنه كما يقول ما من أحد الا وتجود قريحته بشيء من الشعر. (٢)

اننا نحسّ من خلال هذا التقسيم الرباعي للشعر اعتمادا على صفات الالفاظ، والمعاني ، والأوزان ، والصلات بينها ببداية توجه النقد نحو القواعد البلاغية، وان ما يقصده ابن قتيبة بالمعنى ، ذلك الذي يخدم الناس والفكر بتقديم الشيء المفيد ، وما أراده من اللفظ أن يكون خلوا من الغرابة والتعقيد ، ومن اختلال الوزن .

ومن هذا نجد أن ابن قتيبة قد قرّر ان الشعر لفظ ومعنى ، وأن التفاوت فيه والتباين في تقييمه يعود الى الاجادة في كليهما ، أو التفنن في أحدهما الى درجة تغطي على الضعف الموجود في الثاني .

هذا ما كان من تقسيم الشعر في طبقات. أما بالنسبة للوجوه التي يختار على أساسها الشعر فهي قضية لا تتضح كثيرا عند ابن سلام كما تتضح عند ابن قتيبة . فابن سلام يحدد أمورا يختار الشعر على هديها (٣) . منها أن يكون في عربية هذا الشعر حجة ، أي أن يجد فيه النحويون حججا وشواهد للقواعد التي يضعونها ، أو لتفسير القرآن الكريم . ومنها أيضا أن يحمل هذا الشعر المفيد من الادب وأن يجد فيه السامع الامثال ، وما يشبع الرغبة الفنية من المديح الرائع ، أو الهجاء المقذع ، أو التحدّ المعجب ، أو النسيب المستطرف.(٤)

أما ابن قتيبة فان اختيار الشعر عنده يستوجب أمورا منها : الاجادة في فن التشبيه ، ويمثل لذلك من الشعر بقول احدهم في وصف القمر :(٥)

بَدَا أَنَ بِنَا وابْنُ اللَّيَالِي كَأَنَّهُ حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ
فما زِلْتُ أُفْنِي كَلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ إِلى أَنْ أَتَتْكَ العِيسُ وهُوَ ضَئِيلُ

وكذلك يختار الشعر ويحفظ من أجل خفة الروى ، كهذه الابيات التي اختارها الاصمعي للسبب ذاته :

يا تَمْلَلُ يا تَمْلَلُ يا تَمْلَلُ عِلِّينِي وذَرِي عَذْلِي
ذَرِينِي وسِلاَحِي ثُمَّ شُدِّي الكَفَّ بالغَزْلِ (٦)

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٦٧ — ٦٨ . (٢) أنظر المصدر نفسه، ص ٦٨ .
(٣) أنظر ابن سلام: ص ٤ .
(٤) انظر د . مصطفى صادق: مجلة تراث الانسانية، ص ٦٦٠ .
(٥) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٩٠ . (٦) أنظر المصدر نفسه، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يختار الشعر ويحفظ لأنه ليس لقائله غيره ،أو لأن قائله مقل في الشعر، كقول عبد الله بن أبي بن سلول المنافق :

متى ما يكُنْ مولاك خَصْمَكَ لا تَـزِلْ
تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الّذِينَ تصارعُ
وهل ينهنهى البازى بغير جَنَاحيه
وان قَصّ يوماً ريشه فهو واقعُ (١)

كما أنه قد يختار ويحفظ لأنه غريب المعنى ،كقول القائل في الفتى :

ليس الفَتَى بفتىً لا يستضاءُ به ولا يكونُ لهُ في الارْضِ أثـارُ (٢)

وقد يختار لأن قائله نبيل الخلق ،كقول الرشيد :

النَفْسُ تَطْمَعُ والأسبابُ عاجِزَةٌ والنَفْسُ تُهلِكُ بَيْنَ اليأسِ والطَّمَعِ (٣)

أما أبو زيد القرشي ،فانه كما مرّ بنا قد قسّم الشعر الى سبع طبقات تقسيما متوافقا مع طبقات الشعراء المعروفين آنذاك ، وقد أعطى كل طبقة من هذه القصائد اسما خاصا بها .

ان ما نأخذه على هؤلاء النقاد ، كابن قتيبة وابن سلام ،أنهما وضعا أسسا كي يختارا الشعر على ضوئها ،الا أنهما لم يتبعاها ،وانساقا وراء الذوق العام وما اختاره من قبلهم في اختيار النماذج الشعرية . فها هو ذا ابن سلام يأتي بنماذج من الشعر لمشاهير الشعراء كامرىء القيس ،ولكنه لا يطلعنا على السبب الذى دفعه لاختيار هذه النماذج دون غيرها ،فهو يقول انه من أحسن طبقته تشبيها ، ثم يأتي بما راق له عند الناس من تشبيه منساقا وراء ذوق الآخرين. ومن ذلك قوله : " واستحسن الناس من تشبيه امرىء القيس" (٤) . ومثل هذا يصدق كذلك على ابن قتيبة الذى فصّل في الحديث عن الوجوه التي يختار على هديها الشعر ،ومع هذا فقد اختار نماذجه الشعرية وفق ما هو مشهور عند الناس .

---

(١) أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٩٢ .
(٢) أنظر المصدر نفسه : ص ٩٢ .
(٣) أنظر المصدر نفسه : ص ٩٣ .
(٤) ابن سلام : ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأة الشعر العربي وتحوله بين القبائل :

لقد تناول النقاد ممن ألفوا في الطبقات موضوع نشأة الشعر عند العرب ، في محاولة منهم للتعرف على حركة تطور هذا الشعر الى أن وصل الى ذلك الشكل الذي وجدوه ، أما ابن سلام فانه درس نشأة الشعر لهد ف آخر ، وهو التوثق مما بين يديه من شعر وضع على لسان قبائل بادت كعاد وثمود ، وقد أثبت ابن سلام زيف مثل هذا الشعر وبطلانه . (١) وقد أورد صاحب الجمهرة في المقدمة الاساطير ، وما لا يعقل ، حتى انه جعل آدم عليه السلام والملائكة وابليس والجن يقولون الشعر ، وان كان قد داخله الشك فيما رواه ، وقال بعد ذلك : " والله أعلم " (٢) .

لقد واصل ابن سلام بحثه في نشأة الشعر العربي بعد أن أكد زيف ذلك الشعر الموضوع ، فوجد أن الشعر بشكله المتطور آنذاك حديث العهد ، وأن العرب قديما لم يعرفوا مثل هذا النمط من القصائد الطويلة المتناسبة ، ولم يقولوا الا الابيات القليلة يقولونها في حاجاتهم . " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في حاجته " . (٣) ثم يستدل ابن سلام على ذلك بنماذج من الشعر القديم ، الذي هو عبارة عن مقطوعات قصيرة ، فيورد أبياتا للعنبر بن عمرو بن تميم ، ولدويد بن زيد بن نهد ، ولأعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان ، وهو يصل من ذلك الى أحد أدلته في اثبات زيف الشعر الذي حمله محمد بن اسحق لقوم عاد وثمود وغيرها . " وذلك يدل على اسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبّع " (٤) . وبعد ذلك يعزو ابن سلام تطور القصيدة العربية الطويلة بشكلها النهائي الى المهلهل بن ربيعة . " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل " (٥) .

ونحن بعد ذلك نتيقن مما ذهب اليه ابن سلام حين يؤكد الجاحظ أن الشعر العربي حديث العهد لا يتجاوز عمره قبل مجيء الاسلام مائتي عام ، وهو يعزو تطور هذا الشعر الى امرئ القيس ومهلهل بن ربيعة . " وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق اليه : امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة " . (٦)

---

(١) انظر ابن سلام : ص ٤ — ١١ .
(٢) ابو زيد القرشي : ص ١٤٠ .
(٣) ابن سلام : ص ٢٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٦ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٣٩ .
(٦) الجاحظ : الحيوان ، ١ / ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أيضا : " فاذا استظهرنا الشعر،وجدنا له الى أن جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام". (١)

هذا ما كان من أمر ابن سلام ونشأة الشعر،أما ابن قتيبة فانه لم يضف جديدا الى ما ذهب اليه ابن سلام ،وهو لا يكتفي بنقل رأيه ،وانما يأتي بشواهد ابن سلام ذاتها على أقدم الشعراء وما قالوه من أبيات قليلة يقول : لم يكن لأوائل الشعراء الا الابيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة". (٢)

أما قضية تحول الشعر بين القبائل ،فلقد نظر فيها ابن سلام ،فخلص الى أن الشعر في الجاهلية كان أولا في ربيعة ، " وكان شعراء الجاهلية في ربيعة : أولهم المهلهل ، والمرقشان ،وسعد بن مالك ،وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ،والحارث بن حلزة ، والمتلمس ،والأعشى ، والمسيب بن علس". (٣) فهو يرى أن ربيعة اول من نبغ في الشعر،ومن أبرز بطون القبيلة بكر،وتغلب ، وعبد القيس ،والنمر بن قاسط ،ويشكر،وعجل ، وشيبان ،وضبيعة. وأن هذه البطون كان موطنها الاصلي في اليمن ،ثم انتقلت الى نجد . ومن أبرز شعراء ربيعة من أشار اليهم وهم من فحول الجاهلية .(٤)

لقد بيّن ابن سلام علة بدء الشعر في ربيعة ،لأن منهم المهلهل ابن ربيعة ،وهو أول من قصد القصائد وذكر الوقائع في مقتل أخيه كليب. (٥) ولكن الشعر لم يبق في ربيعة،بل تحول بعد ذلك في قيس عيلان ، وهي كربيعة تعود في نسبها الى مضر. يقول : " ثم تحول الشعر في قيس، فمنهم: النابغة الذبياني وهم يعدون زهير بن ابي سلمى من عبد الله بن غطفان ،وابنه كعبا ، ولبيد والنابغة الجعدي ،والحطيئة ،والشماخ ،وأخوه مزرد ،وخداش بن زهير" (٦)

---

(١) الجاحظ : الحيوان ،ص ٧٤ .
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ،ص ١١٠ .
(٣) ابن سلام: ص ٤٠ .
(٤) انظر جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٧٤ .
(٥) انظر ابن سلام: ص ٣٩ .
(٦) المصدر نفسه: ص ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبيلة قيس هذه مترامية الاطراف كثيرة البطون كربيعة ، فمن بطونها غطفان ، وعبس ، وذبيان ، وثقيف ، وهوازن ، وعامر بن صعصعة ، وغيرها ، وكانت تقيم في نجد وأعالي الحجاز ، ولقد نبغ منهم شعراء فحول كالذين ذكرهم ابن سلام . (١)

وكما لم يبق الشعر في ربيعة ، فانه لم يستمر في قيس ، فآل ذلك الى تميم . يقول : " ثم آل ذلك الى تميم ، فلم يزل فيهم الى اليوم " (٢) . وتميم أيضا من قبائل مضر . ومن أشهر بطونها يربوع ، ودارم ، ومازن ، ومجاشع ، وزرارة ، وكانت اقامتها في تهامة ثم استقرت في بادية العراق الجنوبية ، ومن أبرز شعرائها أوس بن حجر الذى كان مبرزا في الجاهلية الى أن ظهر النابغة وزهير فتفوقا عليه . " كان أوس فحل مضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه . وكان زهير راويته " . (٣)

ويقف بحث ابن سلام في هذه القضية عند قبيلة تميم بدليل قوله : " فلم يزل فيهم الى اليوم " (٤) ولكن الشعر ظهر بعد ذلك في بطون أخرى من مضر ، كهذيل ، وقريش ، وأسد ، وكنانة ، وغيرها . (٥)

اننا نلاحظ من حركة الشعر العربي أن بدايتها كانت في قبائل مضر العدنانية ، ولم تكن في القبائل القحطانية . يقول الدكتور طه حسين : " ان الشعر العربي كان عدنانيا مضريا ولم يكن قحطانيا يمنيا وأنه في العصر الاسلامي لم يزدهر الا حيث استطاعت المضرية أن تسود أو حيث استطاعت القبائل والمجموعات الاخرى أن تتصل بالمضرية وأن تتأثر بها " . (٦)

---

(١) انظر جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) ابن سلام : ص ٤٠ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٩٧ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٤٠ .
(٥) أنظر جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٧٥ .
(٦) د . طه حسين : من تاريخ الادب العربي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٤٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بناء القصيدة العربية :

من الموضوعات التي شغلت ابن قتيبة في كتابه شكل القصيدة العربية وبناءها التقليدي ، وعلل بدء القصيدة العربية بالنسيب ، فبيّن أن النسيب من الموضوعات التي كانت تستهوي العربي ، لأن طبيعة حياته كانت تعتمد على الترحال والتنقل من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ ، وهذا التنقل كثيرا ما كان يجلب للشاعر الأسى والحزن لفراقه محبوبته . وكانت هذه التجربة الشعورية بما تحمله من قلق وحزن كثيرا ما تدفع بالشاعر كي يبحث عن أثر لمن يحب ، يقف عنده ويبثه لواعجه ، فيستوقف الرفيق ، ثم يعرج على ذكر الظاعنين عن هذا الأثر . " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها " . (١) والشاعر في ذلك يحاول بأسلوب مؤثر أن يستميل سامعيه ، وأن يجتذب عواطفهم ومشاركتهم الوجدانية لما يحمله من تباريح الهوى ، وألم الفراق ، وشدة الوجد . " ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الأسماع اليه " . (٢)

ان بدء القصيدة بالتشبيب والغزل يحقق للشاعر استمالة العواطف والمشاعر أكثر من غيره من الموضوعات ، لما ركب في طبيعة الناس من شغف بالغزل وذكر النساء ، لأن كل انسان يحالفه نصيب منه . " لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ، حلال أو حرام " . (٣)

ان الشاعر بعد أن يتمكن من استمالة سامعيه ، وشدهم نحوه ، ينتقل الى المرحلة الثانية من قصيدته ، وهي غالبا ما تكون وصفا للرحلة والاهوال التي واجهها في طريقه . " فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النّصَبَ والسهر ، وسُرى الليل وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير " . (٤)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٨١ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٨١ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ينتقل بعد ذلك الى موضوعه الاساسي ،وهو في معظم الاحيان المديح، وهو يصف في مديحه هذه المعاناة الشديدة التي لاقاها ،وذلك كي يكون أجره عند الممدوح على قدر مشقته ، وهو كلّما بالغ في هذا الوصف ، كلّما كان عطاؤه أجزل . " فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ،وذمامة التأميل ،وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح ،فبعثه على المكافأة وهزّه للسماح ". (١)

ان ابن قتيبة يطالب الشعراء بالاعتدال والتناسب بين هذه الاقسام، فلا يطول قسم على حساب آخر حتى لا يبعث على الملل ، ولا يقطع في قسم حيث في النفوس حاجة . " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدّل بين هذه الاقسام ،فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين . ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد ". (٢) ويأتي ابن قتيبة بمثال على ما كان يحدث من اختلال في بناء القصيدة ، فقد أتى بعض الرجاز نصر بن سيار وهو والٍ على خراسان يمدحه ، فمدحه بقصيدة تشبيبها مائة بيت ،ومديحها عشرة أبيات ،فقال له نصر : " والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الّا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك ، فان أردت مديحي فاقتصد في النسيب ،فأتاه فأنشده :

هل تَعْرِفُ الدَّارَ لامَّ الفَمْرِ دَعْ ذَا وَخَبِّرْ مِدْحَةً في نَصْرِ

فقال نصر: لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين ". (٣) وقد انتقد عقيل ابن علّفة لأنّه لا يطيل في الهجاء ،فقال : " يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ". (٤)

ان ابن قتيبة محق في هذه الناحية ، فعلى الرغم من أن الشعر نتاج عاطفة متدفقة ،الّا أنه لا بدّ من أن يشرف العقل على هذه العاطفة ليحدّ من جموحها أحيانا ،حتى تخرج القصيدة في صورة غنية رائعة وجميلة . ولكنّنا نفاجأ بعد ذلك حين يطالب ابن قتيبة الشعراء بعدم الخروج على مذهب المتقدمين في هذا البناء ،وقد أخذ عليه بعض النقاد ذلك حين رأوه يناقض نفسه بتعصبه للقديم بعد أن وعد بالوقوف وقفة عادلة ما بين القديم والحديث ، فهو يريد أن يكون الشعراء صورة مشابهة لمن سبقهم ،وأن يقف الشعر جامدا، لا يواكب سير الحياة .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٨١ .
(٢) المصدر نفسه: ص ٨١ ، ٨٢ .
(٣) المصدر نفسه: ص ٨٢ .
(٤) المصدر نفسه: ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو معجب بالنسج الجاهلي وطريقة بناء القصيدة التقليدي ، ولا يملك من القدرة ما يدفعه الى الانفكاك من تأثير هذا البناء التقليدي . يقول : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكي عند مشيّد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافي . أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير " . (١)

ولكن ابن قتيبة لم يرد هذا بالتحديد ، فهو لا يريد من الشاعر أن يسعى وراء التقليد المضحك والمستهجن ، فيحل أدوات الحضارة محل أدوات البداوة كاستعمال الحصان أو الحمار بدل الناقة ، وذكر التفاح بدل الشيح والقرار ، فهو يريد من الشاعر أن يجدد بما يوافق عصره دون تقليد مضحك أو اقحام عادة لفظها الزمن . ومن هذا نستشف أن ابن قتيبة يعتبر أن أبا نواس لم يصنّف شيئا فنّيا في دعوته للوقوف على الحانات بدل الوقوف على الاطلال . (٢)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٢ .
(٢) أنظر د . احسان عباس : ص ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر بين الطبع والصنعة :

اذا كان ابن سلام قد تحدث في موضوع الشعر المصنوع ، فان ابن قتيبة لم يفته الحديث في موضوع لا يقل أهمية عن ذلك ، فلقد نظر ابن قتيبة في الشعر نظرة فاحصة دقيقة ، فوجده قسمين : شعر مطبوع ، وشعر مصنوع " متكلف" . وهذا قاد ابن قتيبة لكي يوازن بين الشعراء على أساس الغريزة ، فوجدهم اثنين أيضا : شاعر مطبوع ، وآخر متكلف . وعلى هذا فاننا سنلاحظ وجود مدرستين في الشعر العربي : المدرسة الاولى وهي مدرسة الطبع ، وشعراؤها يقولون الشعر ارتجالا ومن غير معاناة أو مكابدة . وقد حدّد ما يميزهم بقوله : " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبين على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر " . (١)

أما شعراء المدرسة الثانية ، وهي مدرسة الصنعة ، فهم الشعراء المتكلفون الذين قالوا الشعر بعد شدة عناء وطول تفكر ، ورشح جبين ، ثم حككوا ونقحوا وزادوا وأنقصوا في المعاني (٢) ، ولذلك فان الاصمعي أسماهم "عبيد الشعر" (٣) . وقد وصفهم ابن قتيبة بقوله : " والمتكلف هو الذي قوّم شعراه بالثقاف ونقّحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر" . (٤) ويوضح ابن قتيبة أسلوبه في تمييز الشاعر المتكلف من الشاعر المطبوع ، حين يوازن بينهما ، فيقول : " ويتبين التكلف في الشعر أيضا بأن ترى البيت منه مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفقه ، ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذلك ؟ فقال : لأني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وابن عمه " . (٥) وهو لا يكتفي بهذا بل انه يذهب الى أن معرفة الشعر المتكلف ليست مفضلة أمام أصحاب العلم والنظر السديد ، لما كثر فيه من ضرورات كصرف ما لا يصرف ، ورفع المنصوب ، وحذف وزيادة بعض المعاني . " والمتكلف من الشعر وان كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوي العلم ، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر ، وشدة

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٩٦ .
(٢) انظر المصدر نفسه : ص ٩٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٥٠ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨٣ — ٨٤ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغناء ، ورشح الجبين ،وكثرة الضرورات ،وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه " . (١) وهو يستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

وعَضّ زَمَانٍ يا بْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلّا مُسْحَتًا أوْ مُجَلَّفُ

فاضطر الى رفع آخر البيت وأتعب الاهل الاعراب في طلب العلة . (٢)

لقد استثنى ابن قتيبة طبقة العلماء من الشعراء المطبوعين لانشغالهم عن الشعر بغيره ،وهو يعقب على أبيات للخليل بن أحمد بقوله : " وهذا الشعر بين التكلف ،ردئ الصنعة ،وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن اسماح وسهولة كشعر الاصمعي ،وشعر ابن المقفع ،وشعر الخليل ،خلا خلفٍ الأحمر ،فانه كان أجودهم طبعا ،وأكثرهم شعرا ". (٣) ونلاحظ أنه استثنى خلفا من بينهم لجودة طبعه ، ولكنه لا يقيس على هذا الاستثناء . وحتى هذا الطبع الذى أقام ابن قتيبة موازنته بين الشعراء على أساسه ليس واحدا بين الشعراء . " والشعراء أيضا في الطبع مختلفون : منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء . ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل ". (٤) وقد لاحظ ابن قتيبة تدخل الميل والقابلية الفنية عند الشاعر، لذلك فهو يستدل على ذلك بذى الرمة ،فيقول : " فهذا ذو الرمة ،أحسن الناس تشبيها ،وأجودهم تشبيها ،وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحيّة ،فاذا صار الى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك آخره عن الفحول "(٥) ويقول في الفرزدق : " وكان الفرزدق زير نساء وصاحب غزل ، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب " . (٦)

ان ما يلاحظ على ابن قتيبة أنه خلط ما بين الطبع والارتجال ، وجعلهما في منزلة واحدة ،مما جره بعد ذلك الى الجور في حكمه على شعراء فحول كزهير والحطيئة وأمثالهما ممن حككوا ونقحوا في قصائدهم ،فجعلهم في عداد المتكلفين من الشعراء . (٧) فهو يقول : " فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ،ونقحه بطول التفتيش ،وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٧٦ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٠٠ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٠٠ .
(٦) المصدر نفسه : ص ١٠٠ .
(٧) أنظر د . محمد طاهر درويش : النقد الادبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجرى ،دار المعارف ،القاهرة ، ١٩٧٩ ،ص ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشباههما (من الشعراء) عبيد الشعر ،لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ". (١)

ان ابن قتيبة كما يبدو لنا يخلط أيضا بين مصطلحي التكلف والصنعة ،فهو قد اعتبر زهيرا والحطيئة من المتكلفين وكان الاجدر به أن يعتبرهما من الصانعين المبدعين ،يقول الدكتور محمد زغلول سلام : " ففرق بعيد بين الصنعة والتكلف ، اذ في الصنعة قدرة وحنكة وجمال ،وفي التكلف قصور وعدم اكمال وقبح " . (٢) وهناك من الشعراء الذين عرفوا بالطبع وسرعة البديهة ، ومع ذلك فلم يكن الشعر يسيرا عليهم في كل حين . " قال الفرزدق : أنا أشعر تميم عند تميم ، وربما أتت علي ساعة ونزع ضرس أسهل عليّ من قول بيت ". (٣) ورأي ابن قتيبة هذا لا يمنعنا من القول ان شعر زهير والحطيئة أفضل بدرجات من شعر كثير من الشعراء الذين عدّوا في عداد المطبوعين ، لأن الموهبة الشعرية هي الأصل ،والصنعة لا تغيب الموهبة الشعرية كما أن الطبع لا يعني الارتجال أو القول على البديهة . (٤) غير أن هناك من يرى أن ابن قتيبة لا يقصد من ذلك الحط من شعر زهير والحطيئة أو ان يضعهم في مرتبة دون من أطلق عليهم " الشعراء المطبوعون " . (٥)

ان مما لا شك فيه أن ابن قتيبة في تقسيمه للشعر على هذا الاساس لا ينطلق من قاعدة فنية بقدر ما هو محكوم بتذوقه للجمال . (٦) كما أنه في موقفه من الشعراء الصانعين المحكّكين متأثر بالذوق العام ، الذي درج على تفضيل أصحاب البديهة السريعة والقول الحاضر ،حتى أنه حينما ظهر هؤلاء الشعراء المنقحين كزهير والحطيئة وجدوا كثيرا من الانتقاد لأن الشاعر العربي كان يعول على بديهته وقدرته على الارتجال في معظم الاحوال الى أن أصبحت هذه الميزة مفترضة في الشاعر، لا يجوز أن يتجاوزها والاّ رُمِيَ بما لا يحمد. يقول الرافعي في ذلك: " وما ظهرت الصنعة والتجويد في الشعر حتى اتّقته العرب اتّقاء شديدا لأنها رأت الشاعر في ترويته انما يسُم كلماته ". (٧)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) د . محمد زغلول سلام: ص ١٤٤ .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٨٧ ؛ الجاحظ: البيان والتبيين ، ١/ ٢٠٩ .
(٤) د . محمد زغلول سلام: ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٥) أنظر د . احسان عباس : ص ١٠٩ .
(٦) أنظر د . اسحق الحسيني : ص ١٠٦ .
(٧) مصطفى الرافعي : ٣/ ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بواعث الشعر وأوقاته :

ان أول بواعث الشعر عند ابن سلام هي الحروب التي كانت تنشب بين القبائل ،فتحفزهم على القول في الفخر وحث المحاربين والاشادة ببطولاتهم وغير ذلك . يقول ابن سلام : " والذى قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذى قلل شعر عمان ". (١) غير أن هذا ليس باعثا أساسيا بدليل وجود أقوام لم يكن لها وقائع ومع هذا كان فيها شعر ، وابن سلام يقول : " وأهل الطائف في طرف ،ومع ذلك كان فيهم ". (٢)

أما ابن قتيبة فانه يفصل في الحديث عن بواعث الشعر ،ويحصرها في خمسة أمور أساسية : " وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ،منها الطمع ، ومنها الشوق ،ومنها الشراب ،ومنها الطرب ،ومنها الغضب ". (٣) ويستشهد على ذلك بما قاله بعض الشعراء : " قيل للحطيئة ، أى الناس أشعر؟ فأخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حيّة ،فقال : هذا اذا طمع ". (٤) ولقد سأل عبد الملك ابن مروان أرطاة بن سهيّة فيما لو كان قادرا على ارتجال الشعر فردّ عليه بقوله : " كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ،وانما يكون الشعر بواحدة من هذه ". (٥)

ان ابن قتيبة يضيف بواعث أخرى الى تلك ،منها أثر الطبيعة وسحرها في حفز الشاعر على القول . " ويقال أيضا : انه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالي والمكان الخضر الخالي ". (٦) ولا يفوته أن يتحدث عن الاوقات التي يسهل فيها قول الشعر والتي يستصعب فيها قوله ، مبينا العلة في ذلك ، وحديثه هنا لا يقتصر على الشاعر وحده ،وانما يشمل الناثر أيضا : " وللشعر تارات يسعد فيها قريبه ، ويستصعب فيها رَيِّضُه . وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ،فقد يتعذّر على الكاتب الاديب وعلى البليغ الخطيب ،ولا يعرف لذلك سبب الّا ان يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم ". (٧)

---

(١) ابن سلام : ص ٢٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٥٩ .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٨٥ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٨٦ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٨٥ .
(٧) المصدر نفسه : ص ٨٦ ، ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد سبق قول الفرزدق حين اعتبر نزع الضرس أهون من قول بيت من الشعر في بعض الأحيان .(١)

ينتهي ابن قتيبة من ذلك الى تقديم نصحه للشعراء في اغتنام بعض الاوقات التي بذل فيها الشعر ويسهل لمن يقوله ، " وللشعر أوقات يسرع فيها آتيه ، ويُسْمَحُ فيها أبيه ، منها أولُ الليل قبل تَغَشّي الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغذاء ،ومنها يوم شرب الدواء ،ومنها الخلوة في الحبس والمسير " . (٢)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٨٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقد اللغوي والفني في كتب الطبقـــات :

أرّخ ابن سلام في مقدمة طبقاته لعلوم اللغة العربية ، ووجد أن أول من اهتمّ بها هم أهل البصرة ، الذين سبقوا غيرهم في هذا المجال ، يقول : " وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عنايـــة" . (١) وأن أول من اهتمّ بهذا العلم وأرسى دعائمه أبو الاسود الدؤلي الذي مهّد الطريق لمن بعده . " وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ، وأنهج سبيلهـــا ، ووضع قياسها : أبو الاسود الدؤلي " . (٢)

ولكن لا بدّ من معرفة الاسباب التي دفعت الى الاهتمام بعلوم اللغـــة العربية ، ومن أبرزها ذلك الخلل والاضطراب الذي أصاب اللغة ، كما أن اللحـــن قد فشا بين العامة والخاصة من الناس ، مما جعل هناك ضرورة ملحّة لصون اللغـــة والاهتمام بها ، فكان أول من تحفز لهذا الخطر أبو الاسود . " وانما قـــال ذلك حينما اضطرب كلام العرب ، ففلبت السليقية ، ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ، ووجوه الناس " . (٣) ثم امتد الاهتمام بعلوم اللغة الى كثيـــر من الناس ممن أحسوا بهذا الخطر الذي بدأ يهدد اللغة العربية ، فتبعـــوا أبا الاسود وأخذوا العلم عنه ، ثم كان لهم فيما بعد شأن ، من مثل يحي بن يَعْمَر الذي خطأ الحجاج حين سمعه يلحن في القرآن ، فاضطر الحجاج الـــى نفيه الى خراسان خشية أن يقف على أخطائه فيما بعـــد . (٤) ومن هـــؤلاء الاعلام الذين كانت لهم مكانة بارزة في هذا المجال عبد الله بن أبي اسحـــق الحضرمي ، الذي يقول فيه ابن سلام : " وكان أول من بَقَج النحو ، ومـــد القياس والعلل " . (٥) ومنهم أبو عمرو بن العلاء . " وكان أبو عمرو أوســـع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها " . (٦) وقال فيه يونس : " لو كان أحـــد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العـــلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وأنت آخذ من قوله وتـــارك " . (٧)

---

(١) ابن ســـــلام : ص ١٢ .
(٢) المصدر نفســـه : ص ١٢ .
(٣) المصدر نفســـه : ص ١٢ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ص ١٣ .
(٥) المصدر نفســـه : ص ١٤ .
(٦) المصدر نفســـه : ص ١٤ .
(٧) المصدر نفســـه : ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم عيسى بن عمر تلميذ ابن أبي اسحق ، ومنهم مسلمة الفهرى ،وآخرون(١)

عرض ابن سلام لبعض المطارحات اللغوية التي كانت تدور بين علماء البصرة ،وعلماء الكوفة ،ونجد عنده أيضا نقدا لكثير من الشعراء ، ومن بينهم بعض الفحول ،ومن أمثلة ذلك ما أخذه ابن ابي اسحق على الفرزدق حين قال يمدح يزيد بن عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّأْمِ ـ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ
عَلَى عَمَائِمِنَا يُلْقَى وَأَرْحُلِنَا ... عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى ،مُخُّهَا رِيرِ

فعدّ ابن ابي اسحق قوله " ريرِ " مخالفا لقياس النحو ، وكان الأجدر به أن يقول " ريرُ " . (٢)

أما ابن قتيبة ،فان له اهتماما خاصا باللغة ، فقد ذكر له ابن النديم مؤلفين في النحو ،هما : " جامع النحو " و " جامع النحو الصغير " (٣) ونلمس أثر ثقافته النحوية في كتابه : " الشعر والشعراء " فهو ينصح الشعراء المحدثين بأن تكون لهم لغتهم الخاصة ،وأن لا يجعلوا من لغة القدامى سلاسل تكبلهم فلا يستطيعون الانفكاك منها ، فاللغة متطورة وليست جامدة . " وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذى لم يكثر "(٤) . ثم يعرض للعيوب اللغوية وبعض ضرورات الشعر التي يقع فيها الشعراء ،كتسكين ما ينبغي أن يحرك(٥) ، ويأتي بأمثلة كثيرة ،منها قول لبيد :

تُرَّاكُ أَمْكِنَةٍ اذا لَمْ أَرْضَهَا ... أو يَعْتَلِق بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

ومنها نصب ما ينبغي أن يخفض(٦) ،أو اضطرار الشاعر لقصر الممدود ،أو صرف غير المصروف ،وترك الهمز من المهموز(٧) ، وغير هذه الضرورات .

ومن العيوب الفنية في الشعر التي تشير اليها كتب الطبقات : الاقواء ، وهو اختلاف الاعراب في القوافي ، حين يرفع الشاعر قافيته وينصب أخرى ، وقد أطلق عليه بعضهم " الاكفاء " . وكان ابن سلام قد تنبّه له من منطلق الحرص على الناحية الموسيقية في الشعر ، حين عرض لاقواء النابغة في شعره ، وقد

---

(١) أنظر ابن سلام : ص ١٥ .
(٢) المصدر نفسه : ص ١٧ .
(٣) ابن النديم : ص ٨٦ .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،ص ١٠٧ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٠٤ .
(٦) المصدر نفسه : ص ١٠٤ .
(٧) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنبه النابغة لهذا العيب حين قدم الحجاز وغنّت احدى الجواري أبياته المعيبة ،فأحس بما أحدثه الاقواء من خلل في الوزن ، فأقلع عنه بعد ذلك، وقد قال : " قدمت الحجاز وفي شعري ضَعَة ،ورحلت عنها وأنا أشعر الناس".(١) كما تنبّه للاقواء أيضا ابن قتيبة ، حين أحس به في شعر النابغة ، وبشر بن أبي خازم. (٢) ومن العيوب الفنية الأخرى التي عرض لها ابن قتيبة : السناد ،وهو اختلاف إرداف القوافي، كأن يقال : "عَلَيْنا " في قافية ،و " فِينَا " في قافية أخرى ، وقد مثل لذلك بما وقع فيه عمرو بن كلثوم. (٣) ومنها أيضا : الايطاء ، وهو تكرار القافية مرتين ،وكذلك الاجازة التي تعنى عند الخليل بن أحمد أن تكون قافية ميما ، وأخرى نونا على سبيل المثال . (٤)

أراد ابن قتيبة من كل هذه المحاذير التي نبّه عليها أن يتجنّب الشاعر ما يجلب لشعره التعقيد ،والكزازة، والاستغراب. فهو يقول : " أردت من اختيارك أحسنَ الرّوى ، وأسهل الالفاظ ،وأبعدها من التعقيب والاستكراه ، وأقربها من إفهام العوام ". (٥)

---

(١) ابن سلام : ص ٦٨ .
(٢) أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ١٠١ .
(٣) أنظر المصدر نفسه : ص ١٠٢ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ص ١٠٣ .
(٥) المصدر نفسه : ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــة

انتهينـا في هذا البحث الى النتائج التاليـــــة :

أولا ـ ان لفكرة الطبقات عند النقّاد مفهومين رئيسيين توصلنا اليهما مـــن خلال مناهجهم في اختيار الشعراء وتصنيفهم. الأول : مفهـــوم " الطبقات الرأسية المغلقة " وهو يتضح عند ابن سلام الذى صنّـف الشعراء في طبقات رأسية " سلّمية " متفاوتة في القيمة من أعلى الـــى أدنى ،وحدّد شعراء كل طبقة بأربعة شعراء لا يزيدون ولا ينقصـــون. وقد كان مفهوم ابن سلام هذا حادّا ضيّقا لم يستوعب الشعراء ،ولهـذا فانه لم يستمر ولم يأخذ به من جاء بعد ابن سلام من النقاد ، وانمـا أخذوا بالمفهوم الثاني للطبقات ،وهو مفهوم " الطبقات الأفقية المفتوحة " وهو مفهوم يتضح عند كل من ابن قتيبة وابن المعتز ، اللذين صنّفـــا طبقاتهما وفق هذا المفهوم الحر المرن الذى تكون فيه الطبقـــات متساوية أفقيا في القيمة ، مع الاختلاف في الموضوع الشعرى لكل طبقـة.

ثانيا ـ ان فكرة الطبقات موجودة في الميدان الديني قبل الميدان الأدبـــي ، ومن دوافع وجودها عند أهل الحديث ضياع كثير من أحاديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف بعضها ،وحين تعرض الشعر لمثـــل هذه الظروف من انتحال ووضع ،وجد ابن سلام الفرصة مهيأة لاقتبـاس هذه الفكرة وتطبيقها على الشـــعراء .

ثالثا ـ ان فكرة الطبقات في الشعر لم تنجح ،ولم تعط ثمرتها المرجوّة منهـــا ، كما أعطتها في الميدان الديني ،فهي لم تنصف الشعراء ،بدليـــل أن وضع الشعراء في طبقات كان دائما عرضة للاضطراب كما هو عند ابن سلام. ثم ان نجاح هذه الفكرة عند علماء الحديث يأتي من وحدة الموضـــوع ، وهو أحاديث رسول الله ، وهذه الأحاديث محدودة وثابتة، والمقاييس التي وضعت لتنخيف المحدّثين أيضا واضحة ومحددة . وهذا التحديـد والثبات هو الذى جعل فكرة الطبقات في هذا الميدان أكثر قوة ومرونـــة منه في مجال الشعر ،لأن علماء الحديث اذا اتفقوا على أن فلانـــا ضعيف ومدلس ،فلا مجال للوثوق فيه بعد ذلك ،بينما نجد أن الآراء متفاوتة في الشعراء بين ناقد وآخر ، فقد يضع ابن سلام شاعرا ما فـــي طبقة متقدمة ،ويرى ابن قتيبة أو ابن المعتز أن مكانه دون المكانـــة التي وضعه فيها ابن سلام. ولهذا فان التأليف في طبقات الشعـــراء لم يتعدّ القرن الثالث ،وانما نجد بعض المؤلفات في الشعراء جـــرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها أصحابها وراء التقليد ، وهي لم تتعدّ أن تكون كتب معاجم أو تراجم رتّب مؤلفوها تراجمهم حسب المعجم أو حسب مقاييس خاصة لا تمتّ للنقد بصلة . ثمّ انّ هذا التقليد انسحب بعد ذلك على المؤلفات الأخرى في غير موضوعات الشعر والشعراء ، فنجد مؤلفات في طبقات النحويين ، وطبقات اللغويين ، وطبقات الحكماء ، وطبقات الأطباء وغير ذلك .

رابعاً ـ ان فكرة الطبقات لم تقتصر على الشعراء فقط ، وانما انسحبت على الشعر ذاته ، فاختار النقاد طبقات القصائد التي بلغت القاية في الشهرة ، كما فعل أبو زيد القرشي الذي صنّف القصائد العربية في سبع طبقات مراعيا في ذلك طبقات الشعراء المعروفين آنذاك ، كما وجدت بعض كتب الاختيارات الشعرية كالمفضليات والأصمعيات وكتب الحماسات .

خامساً ـ ان هناك قيمة نقديّة هامة لكتب الطبقات ، فهي قد حفظت لنا الكثير من الآراء والأحكام النقدية المتداولة ، كما أنها بحكم أوليتها عكست لنا صورة واضحة لحياة النقد العربي منذ بداياته الاولى وحتى نهاية القرن الثالث الهجري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر والمراجـــع

(أ) المصـــادر:

١. القرآن الكريـــم .

٢. الآمـدي ،أبو القاسم الحسن بن بشر المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ،
" الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري "،تحقيق السيد أحمد صقـر، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٣. ابن أبي أصيبعة ،أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي المتوفى سنة ٦٦٨هـ:
" طبقات الأطباء " ،شرح وتحقيق د . نزار رضا ،مكتبة الحيـــاة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٤. ابن الأثير الجزري ،أبو السعادات المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦هـ:
" النهاية في غريب الحديث والأثر " ،تحقيق طاهر أحمد الـــزاوي ومحمود الطناحي ،دار احياء الكتب العربية ، ؟ ، ؟ .

٥. الأصفهاني ،أبو الفرج علي بن الحسين الاموي المتوفى سنة ٣٥٦هـ :
" الأغانـي " ،دار الثقافة ،بيـروت ، ١٩٥٨ .

٦. الأصمعـي ،أبو سعيد عبدالملك بن قريب المتوفى سنة ٢١٦هـ :
" فحولة الشعراء " ،تحقيق ش . تورى ،تقديم د . صلاح المنجـد ، ط١ ،دار الكتاب الجديد ، ؟ ، ١٩٧١ .

٧. امرؤ القيس ،الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار :
" الديوان " ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط٣ ،دار المعـارف بمصر ،القاهرة ، ؟ .

٨. الانبـاري ،عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد المتوفى سنة ٥٧٧هـ :
" نزهة الألباء في طبقات الأدباء " ، ؟ ،القاهرة ، ١٢٩٤ هـ .

٩. البخـاري ،أبو عبدالله محمد بن اسمعيل الجعفي المتوفي سنة ٢٥٦هـ ،
" الصحيح " ،شرح السندي ،دار احياء الكتب العربية ، ؟ ، ؟ .

١٠. البخـاري : " الصحيح " ،شرح الكرماني ،المطبعة المصرية ، ؟ ، ١٩٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. البخاري : " الصحيح " ،شرح الكرماني ،ط١ ،المطبعة البهية بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

١٢. البكري ،ابو عبدالله بن عبدالعزيز المتوفى سنة ٣٥٦ هـ :
" سمط اللآلي " ،تحقيق عبدالعزيز الميمني ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، ١٩٣٦ .

١٣. الترمذي ، الامام الحافظ ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ :
" الصحيح " ، شرح الامام الحافظ ابن عربي ،دار العلم للجميع، بيروت ، ؟ .

١٤. التهانوي ،محمد أعلى بن علي المتوفى سنة ١٥٨ اهـ:
" موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية " ،المكتبة الاسلامية ،بيروت، ؟ .

١٥. الجاحظ ،ابو عثمان عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٥٥ هـ :
" البيان والتبيين " ،تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ،ط٢ ، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ،القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٦. الجاحظ : " الحيوان " ،تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ،ط٣ ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، ١٩٦٩ .

١٧. حاجي خليفة ،مصطفى بن عبدالله القسطنطيني المتوفى سنة ١٠٦٧هـ:
" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ،مكتبة المثنى ،بغداد، ؟ .

١٨. ابن حجر العسقلاني ،أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ :
" فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، دار الفكر،بيروت ، ؟ .

١٩. ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري بشرح صحيح البخاري "، اشراف محب الدين الخطيب وآخرين ،دار المعرفة ،بيروت ، ؟ .

٢٠. ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢١. ابن حنبل ،ابوعبدالله احمد بن محمد الشيباني المتوفى سنة ٢٤١ هـ:
" المسند " ، المكتب الاسلامي ودار صادر ،بيروت ، ؟ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢. ابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد الخضرى المتوفى سنة ٨٠٨هـ :
" المقدمة " ،تحقيق كاترمير ،مكتبة لبنان،بيروت ، ١٩٧٠م.

٢٣. ابن خلكان ،احمد بن محمد بن ابي بكر المتوفى سنة ٦٨١هـ :
" وفيان الاعيان وأنباء أبناء الزمان " ،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ؟ .

٢٤. ابن خياط ،ابو عمرو خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ :
" الطبقات " ،تحقيق سهيل زكار،مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ،دمشق ، ١٩٦٦ .

٢٥. ابو داود ،سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ:
" السنن " ،تعليق الشيخ احمد سعد علي ،ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،القاهرة ، ١٩٥٢ .

٢٦. الراغب الاصفهاني ،ابو القاسم حسين بن محمد المتوفى سنة ٥٠٢ هـ:
" المفردات في غريب القرآن " ،تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة ،بيروت ، ؟ .

٢٧. ابن رشيق ،ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣هـ:
" العمدة في صناعة الشعر ونقده " ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد ،ط٣ ، مطبعة السعادة بمصر ،القاهرة، ١٩٦٣ .

٢٨. الزبيدى ،محمد مرتضى الحسيني المتوفى سنة ١٢٠٥هـ :
" تاج العروس" ،دار ليبيا للنشر والتوزيع ،بنغازى ، ١٩٦٦ .

٢٩. الزمخشرى ، جارالله أبي القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨هـ:
" أساس البلاغة " ، دار صادر ،بيروت ، ١٩٧٩ .

٣٠. ابو زيد القرشي ،محمد بن ابي الخطاب القرشي من رجال القرن الثالث ومطلع الرابع :
" جمهرة أشعار العرب" ،تحقيق د . محمد علي الهاشمي ، ط١ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ؟ ، ١٩٧٩ .

٣١. ابن سلام ،ابوعبدالله محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ:
" طبقات فحول الشعراء " ،تحقيق محمود شاكر،ط٢، مطبعة المدني ،القاهرة ، ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٢. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر المتوفى سنة ٩١١ هـ:
" الاقتراح " ، ط٢ ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٥٩ هـ .

٣٣. السيوطي : " المزهر " ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ؟ .

٣٤. ابن طباطبا ، محمد بن احمد العلوى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ:
" عيار الشعر " ، تحقيق وتعليق الدكتورين طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٣٥. ابن عبد ربه ، ابو عمرو احمد بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ:
" العقد الفريد " ، ط٢ ، المطبعة الازهرية بمصر ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

٣٦. ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبدالحي بن احمد المتوفى سنة ١٠٨٩هـ:
" شذرات الذهب في أخبار من ذهب " ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ .

٣٧. ابن الفراء ، ابو يعلى محمد بن الحسين المتوفى سنة ٥٢٦ هـ :
" طبقات الحنابلة " ، مطبعة السنّة المحمدية ، القاهرة ، ؟ .

٣٨. ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦ هـ:
" تأويل مختلف الحديث " ، صححه وضبطه محمد زهرى النجار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣٩. ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " ، تحقيق وشرح احمد شاكر ، ط٣ ، دار التراث العربي ، ؟ ، ١٩٧٧ .

٤٠. قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٢٧ هـ :
" نقد الشعر " ، تحقيق وتعليق د . محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط١ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٤١. ابن ماجة ، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ:
" السنن " ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، ؟ ، ؟ .

٤٢. المرزباني ، ابوعبيدالله محمد بن عمران المتوفى سنة ٣٨٤ هـ :
الموشح " ، اشراف محب الدين الخطيب ، ط٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٣. مسلم ،ابوالحسين بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ :
" الصحيح " ،محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٢ ،دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ .

٤٤. ابن المعتز ،عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد المتوفى سنة ٢٩٦ هـ :
" طبقات الشعراء " ،تحقيق عبد الستار احمد فراج ،ط٤ ،دار المعارف القاهرة ،؟ .

٤٥. ابن منظور ،ابوالفضل جمال الدين المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ :
" لسان العرب " ،دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٤٦. النابغة الذبياني ،ابو أمامة زياد بن معاوية :
" الديوان " ،تحقيق وشرح كرم البستاني ،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٤٧. ابن النديم ،ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق المتوفي سنة ٣٨٠هـ:
" الفهرست " ،تحقيق رضا تجدد ،مطبعة دانشگاه ،طهران، ؟ .

٤٨. النَسائي ،ابوعبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي المتوفى سنة ٣٠٣هـ:
" السنن " ،شرح السيوطي ،ط١ ، المطبعة المصرية بالازهر ، القاهرة ،؟ .

٤٩. ياقوت ،ابوعبد الله بن عبد الله الرومي الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ:
"ارشاد الأريب الى معرفة الأديب"، تحقيق مرجليوث، ؟ ،القاهرة، ؟ .

٥٠. ياقوت : " معجم الأدباء " ،دار المستشرق ، بيروت ، ؟ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب) — المراجع العربية :

١. د. احسان عباس :
" تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ط٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٢. أحمد أبو حاقة :
" فن المديح " ، ط١ ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٣. أحمد أمين :
" ضحى الاسلام " ، ط٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ؟ .

٤. أحمد أمين :
" فجر الاسلام " ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

٥. أحمد بدوى :
" أسس النقد الأدبي عند العرب " دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ؟ .

٦. أحمد الشايب :
" أصول النقد الأدبي " ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٧. د. أحمد النجار :
" شعراء اليهود في الجاهلية وصدر الاسلام " ، دار النهضة العربية ، ؟ ، ١٩٧٨ .

٨. د. اسحق الحسيني :
" ابن قتيبة " ، ترجمة د. هاشم ياغي ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٩. اسماعيل البغدادى :
" ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون " ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، ١٩٤٥ .

١٠. اسماعيل البغدادى :
" هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين " ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ، ١٩٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. أفرام البستاني :
" دائرة المعارف " ، م٤ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٢ .

١٢. د . أمجد الطرابلسي :
" حركة التأليف عند العرب " ، ط٦ ، دار الفتح ، دمشق ، ١٩٧٦ .

١٣. د . بدوى طبانة :
" دراسات في نقد العرب من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث " ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ؟ ، ١٩٥٤ .

١٤. د . بدوى طبانة :
" معلقات العرب " ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ؟ ، ١٩٦٧ .

١٥. جرجي زيدان :
" تاريخ آداب اللغة العربية " ، مراجعة وتعليق د . شوقي ضيف ، دار الهلال ، ١٩٥٧ .

١٦. جرجي زيدان :
" تاريخ التمدن الاسلامي " ، مراجعة وتعليق د . حسين مونس ، دار الهلال ، ؟ ، ؟ .

١٧. د . داود سلوم :
" مقالات في تاريخ النقد " ، دار الرشيد للنشر ، ؟ ، ١٩٨١ .

١٨. د . داود سلوم :
" النقد العربي القديم " ، ط٢ ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٧٠ .

١٩. د . زكي مبارك :
" الموازنة بين الشعراء " ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، القاهرة ، ؟ .

٢٠. السباعي السباعي :
" تاريخ الأدب العربي " ، مطبعة العلوم ، ؟ ، ١٩٣٢ .

٢١. سليمان البستاني :
" الياذة هوميرس " ، مطبعة الهلال ، مصر ، ؟ ، ١٩٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٢. سنية احمد محمد :
" النقد عند اللغويين في القرن الثاني " ،دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٢٣. د.شوقي ضيف :
" تاريخ الأدب العربي / العصر الاسلامي "،ط٤، دار المعارف بمصر ،القاهرة ، ؟ .

٢٤. د . شوقي ضيف:
" تاريخ الادب العربي / العصر الجاهلي " ،ط٧،دار المعارف بمصر ،القاهرة ، ١٩٧٦ .

٢٥. طه ابراهيم:
" تاريخ النقد الأدبي عند العرب" ،دار الحكمة ،بيروت ، ؟ .

٢٦. د . طه حسين:
" حديث الاربعاء " ، ط٢ ،دار المعارف بمصر،القاهرة ، ؟ .

٢٧. د . طه حسين:
" من تاريخ الأدب العربي " ،ط١ ،دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٧٠ .

٢٨. د . عبدالحميد الجندى :
" ابن قتيبة العالم الناقد الأديب" ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر ، ؟ ،؟ .

٢٩. د . عبدالعزيز عتيق :
" تاريخ النقد الأدبي " ، ط٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٢ .

٣٠. د . عبدالواحد الشيخ :
" قضايا النقد الأدبي والبلاغة " ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

٣١. د . عثمان موافي :
" الخصومة بين القدماء والمحدثين " ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ؟ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٢. د. عزالدين اسماعيل :
" المصادر الأدبية واللغوية " دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ .

٣٣. د. عفت الشرقاوى :
" دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي " ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٣٤. د. عمر الدقاق :
" مصادر التراث العربي " ، المكتبة العربية ، حلب ، ؟ .

٣٥. د. محمد زغلول سلام :
" تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى " ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ؟ .

٣٦. د. محمد طاهر درويش :
" النقد الأدبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجرى " ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٣٧. د. محمد عبد المنعم خفاجي :
" ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان " ، ط١ ، مكتبة الحسين التجارية ، ؟ ، ١٩٤٩ .

٣٨. د. محمد عبد المنعم خفاجي :
" دراسات في النقد الادبي " ، الحلقة الاولى ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، ؟ .

٣٩. د. محمد مصطفى هدارة :
" مشكلة السرقات في النقد العربي " ، مكتبة الانجلو المصرية ، ؟ ، ١٩٥٨ .

٤٠. د. محمود السمرة :
" القاضي الجرجاني " ، ط٢ ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٤١. مصطفى صادق الرافعي :
" تاريخ آداب العرب " ، ط١ ، مطبعة الاستقامة ، ؟ ، ١٩٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٢. د. منير سلطـــان :
" ابن سلام وطبقات الشعراء " ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ .

٤٣. د. ناصرالدين الأسد :
" مصادر الشعر الجاهلي " ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهـــرة ، ١٩٦٢ .

٤٤. يوسف سركيس :
" معجم المطبوعات العربية والمعرّبة " ، مطبعة سركيس بمصـر ، ؟ ، ١٩٢٨ .

(ج) ـ المراجـع المترجمـــة :

١. بروكلمـــان :
" تاريخ الادب العربي " ، ترجمة د. عبدالحليم النجار ، دارالمعارف بمصر ، القاهرة ، ؟ .

٢. بوتومـــور :
" الطبقات في المجتمع الحديث " ، ط١ ، ترجمة وتقديم د. محمـــد الجوهري وآخرين ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .

(د) ـ الدوريـــات :

١. مجلة " تراث الانسانية " : م١ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمـــة والطباعة والنشر ، ؟ ، ؟ .

٢. مجلة " الكتاب " : م١٢ ، عدد ٣ ، ؟ ، ؟ ، جمادى الآخرة ١٩٥٣ .

٣. مجلة " المجمع العراقي " : م٧ ، ؟ ، ؟ ، ١٩٦٠ .

٤. مجلة " الموقف الادبي " السورية : عدد (١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣) ، شباط ـ آذار ، ؟ ، ١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Summary

This study deals with the question of classification with critics in the past used to classify poets applying to them contemporary critical judgement. No research on the subject has been undertaken so as it would give the authors of classification in dependent treatment. The studies available on the subject are mainly biographal pieces written about those who wrote on classification such as Ibn Sallàm, Ibn Qutaibah and Ibn AL-Mu'taz .

The study I am undertaking here begins with the early works on classification and extends over towards the end of the third century H. as we find no trace of this phenomenon afterwords .

I have divided my study into four chapters. Cahpter I offers a linguistic, social and religious definition for the notion of classification, and I hav come to the conclusion that the term classification was first used in religious studies from which literary critics borrowed their own terminology afterwards. This chapter further explores the early achievements on the subject and the way those achievements were viewed by critics .

Chapter II points out to the books which carry the title "classification" as they occur in the literary and historical references particularly that of Ibn AL-Nadim's al-Fihrist.The books I have found are ten in number out of which only three survived: one by Ibn Sallam, another by Ibn-Qutaibah, and the third one is by Ibn al-Mu'taz. I have also found books about classification but with no title as such. Examples on this is Jamharat Ash'ar AL-Arab by Abu-Zaid AL-Qurashi, who classified Arabic poems into seven categories taking into consideration the ranks of contemporary well-known poets. In this chapter I have identified two approaches which critics used for studying classification: one is what is called the "closed vertical classification" as we find in Ibn Sallam, who classified poets into ranks which vary in value as they move downward in classification. In each classification Ibn Sallam includes four poets only.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The other approch is called the "open horizantal classification" which was used by Ibn Qutaibah and Ibn al-Mu'taz. This flexible approach to classification puts poets on equal basis as far as the value of their work is concerned, yet it maintains a different classification among them based on the difference in their subject-matter .

The chapter is concluded by showing the critical value of each book of those classification which evidently illuminate us in connection with the literary scene of the time, from the early beginnings until the end of the third century H.

Chapter III presents the critical judgements which critics used for classification, some of which are related to time, environment, quality and quantity of poetry, the artifice of genres of poetry, and the choice of certain subject-matter .

Chapter IV discusses the main critical issues which the aut thors had involved themselves before they started the process of classifying poets; some of these issues include the autonomous state of criticism and critic, the question of forgery ascription in poetry, development of Arabic poetry, spontaneity and artificality in poetry, and motivation in poetry .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

University of Jordan
Faculty of Arts
Department of Arabic

Classification by Ranks in Arabic Literary until the Third Century H.:A Critical study

by

Jihad Shaher AL-Majali
Supervised by
Professor Mahmud Samra

Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree Master of Arts in the Department of Arabic .

University of Jordan

1985

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
شكر وتقدير	٠٦	لن أُفي	لن أُنسى
٠٢	٢٦ء	بحث	بحثت
٠٨	٠١	فتناول	فتناوله
٠٩	١٩	نمط العلاقات القائم	نمط العلاقات القائمة
١٢	٠٨	توابع	توابع
١٦	٠١	اما	ما
١٩	٢٤	شلام	سلام
٢٠	١٢	يعمد	يعد
٢٠	١٧	التحويين	النحويين
٢١	١٣	مقتوحة	مفتوحة
٢٤	٠٨	سلبيل	سبيل
٢٥	٢٣	من طبقات	عن طبقات
٢٥	٢٥	معاصرة	معاصره
٢٦	١٥	غلى	على
٢٩	٢٥	استند عليها	استند اليها
٣٣	٠٥	تشمخ	تشفع
٣٥	١٧	الوصل	الوصول
٣٦	٢٠	عير	غير
٣٧	١٩	فكلما	فكما
٣٨	٠٥	لاجادتهم	لإجادتهم
٣٩	٠٦	حيادا	جيادا
٣٩	٢٢	مغلق	مغلق
٤٠	٢٤	مِن	مَن
٤١	٢٦	ا شعر	الشعر
٤٢	١٤	لانْ	لانْ
٤٣	١٦	شهورى	شهوري
٤٥	٠٦	النقاد	نقاد
٤٥	٢٧	عناوين	عناوين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٠	٢٣	اعتياد	اعتماد
٥٣	١١	الرتبة	المرتبة
٥٣	٢٢	منهج	منهم
٥٤	١٠	اهل العرب	أهل الأدب
٥٦	١٢	ما لا يؤخذ	ما يؤخذ
٥٧	٠٧	التسلم	التسليم
٥٧	١٠	الاعسى	الأعشى
٥٧	٢١	وكانت شعراء..	** وكانت شعراء..
٥٩	٢٢	غيرو	غير
٦٠	٢٠	اللحيدة	الحيدة
٦١	٠٤	الائه	الائمة
٦١	٣٠	محمود	محمد
٦٢	٢٢	مغمورى	مغمورى
٦٢	٢٣	هي الاساس	الأساس
٦٣	٠٣	خاصة وأنه	خاصة أنه
٦٣	٢٤	التكسير	التكثير
٦٥	٠٨	يستند على	يستدالى
٦٨	١٢	او النماذج	أم النماذج
٦٨	٢٠	البعض	بعضهم
٦٨	٢٦	للعرب	العرب
٦٩	١٧	الأديب	الأريب
٧٠	١٧	منطق	منطلق
٧١	١٢	الشهر	الشعر
٧٢	١٠	قهس	قيس
٧٢	٢٦	الأجرى	الأخرى
٧٢	٣٠	قيه	قيمة
٧٤	١٠	أدلية	أوليّة
٧٤	١١	طلك	ذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٥	١٢	شعرائه	لشعرائه
٧٥	٢٠	وها هو	وها هو ذا
٧٥	٢٤	بابناء	بالبناء
٧٧	٠٩	وخصوصا	خصوصا
٧٧	٢٤	أفله	أقله
٧٩	٠٨	وأن	وإن
٧٩	٢١	قصّر	قَصَر
٨٠	١٧	طبقات الشعر	طبقات الشعراء
٨٤	١١	يتهيئاون	يتهيأون
٨٥	١٧	استند على	استند الى
٨٥	٢٣	الشعراء	الشعر
٨٨	٠٦	لجاجتهم	لحاجتهم
٨٩	٠٥	مجّ	مجّ
٩٠	١٧	خير	خبير
٩٣	١٩	أن	لأن
٩٤	٠٧	وجودة	موجودة
٩٥	العنوان	( )	(٢)
٩٨	٠٧	الحال	الحال
٩٨	٢٠	الكيث	الكيت
٩٩	٠١	فصلحتهم	فصاحتهم
١٠٠	٠٤	على ان	على
١٠٠	٠٤	عدى	عدي
١٠٣	٠٦	يمثلها	بمثلها
١٠٤	٠٢	يستند عليه	يستند اليه
١٠٤	٠٣	يستند عليه	يستند اليه
١٠٤	٠٩	بالحور	بالبحور
١٠٥	١٥	جبلا	جميلا
١٠٧	٠٨	خاصة وأن	خاصة أن
١٠٧	٢١	المحدّثين	المحدِّثين
١١٥	١٨	اجبنا	احببنا
١١٩	٢٤	تأثيرها	تأثرها

٦٦/٦٦٠

٤/٠٠٠٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	١٦	تليتها	تليها
١٢٤	١٩	الاستاد طى	الاستاد التى
١٢٧	٢١	عمروة	عمرو
١٣٤	١٦	النحول	النحل
١٣٩	٠٧	ضمه	ضمنه
١٤٢	٠٣	وجلقتهم	وجماعتهم
١٤٤	١٤	بهذا	لهذا
١٤٥	٠٩	اخنلال	اختلال
١٤٦	٠٦	قَصّ	قُصّ
١٤٦	١٢	متوفقا	متوافقا
١٤٧	٠٢	لتعرف	للتعرف
١٤٨	٠٦	لم يكن..	لم يكن..
١٥٤	١٧	آخره	أخرّه
١٦٢	٠٥	أطى	أعلى
١٦٣	٠٨	الغاية	الغاية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit